

الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستيعاب

لأخبار دول المغرب الاقصى

الدولة المرينية

الجزء الثالث

تحقيق وتعليق ولدى المؤلف صاحبي السادة :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري

حقوق الطبع محفوظة لبولدي المؤلف

دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الدولة المرينية

الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب

وذكر أوليتهم وأصلهم



اعلم أن العلامة الرئيس أبا زيد عبد الرحمن بن خلدون رحمه الله قسم جيل زناتة الى طبقتين ، الطبقة الاولى هي التي كان منها مغراوة ملوك فاس ، وبنو يفرن ملوك سلا ، وقد تقدم الكلام على دولتهم مستوفى ، والطبقة الثانية هي التي كان منهم بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الاوسط وبنو مرين ملوك فاس والمغرب الاقصى ، وهؤلاء هم الذين تعلق الغرض الان بذكرهم .

فاعلم أن جيل زناتة في المغرب كما قال الرئيس المذكور جيل قديم معروف العين والاثر وهم لهذا العهد اخذون من شعار العرب في سكنى الخيام واتخاذ الابل وركوب الخيل والتقلب في الارض وايلاف الرحلتين وتخطف الناس من العمران والاباية من الانقياد الى النصفة ، وشعارهم من بين البربر اللغة التي يتراطنون بها وهي مشتهرة بنوعها عن سائر رطانة البربر ، ومواطنهم في سائر مواطن البربر بافريقية والمغرب

فمنهم ببلاد النخيل ما بين غدامس والسوس الاقصى حتى أن عامة تلك القرى الجريدية بالصحراء منهم ، قوم بالتلول بجبال طرابلس وضواحي افريقية وبجبل أوراس بقايا منهم سكنوا مع العرب الهلاليين لهذا العهد، وأذعنوا لحكمهم ، والاكثر منهم بالمغرب الاوسط حتى أنه ينسب اليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة ، ومنهم بالمغرب الاقصى أمم آخر ، وكان بنو مرين منهم قبل استيلائهم على ملك المغرب احياء ظوانغ بمجالات القفر من فيجج الى سجلماسة الى ملوية ، وربما يخطون في ظعنهم الى بلاد الزاب ويذكر نسابتهم أن الرياسة كانت فيهم في تلك العصور لمحمد بن ورزير بن

فكوس بن كرماط بن مرين ، ومرين يتصل نسبه بزانا بن يحيى أبي الجيل
وكان لمحمد المذكور سبعة من الولد اثنان منهم شقيقان وهم حمامة
وعسكر وخمسة أبناء علات ، وكان يقال لهم بلسان زناتة ثيربعين ومعناه
الجماعة

ويزعمون أن محمد بن ورزير لما هلك قام بأمره في قومه ابنه حمامة بن
محمد وكان الاكبر من ولده ثم من بعده شقيقه عسكر بن محمد ثم من بعده
ابنه المخضب بن عسكر وهلك سنة أربعين وخمسمائة في بعض الحروب (*)
التي كانت بين عبد المومن والمرابطين

ثم قام بأمر بني مرين بعد المخضب ابن عمه أبو بكر بن حمامة بن محمد
الى أن هلك فقام بامرهم ابنه أبو خالد محيو بن أبي بكر ولم يزل مطاعا فيهم
الى أن استتفرهم يعقوب المنصور الى غزوة الارك بالاندلس فشهدوها وأبلوا
فيها البلاء الحسن ، وأصاب محيو بن أبي بكر يومئذ جراحات هلك منها
بصحراء الزاب سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وكان من رياسة عبد الحق
ابنه من بعده وبقائها في عقبه ما تذكره ان شاء الله .

الخبر عن دخول بني مرين أرض المغرب الاقصى

واستيلائهم عليه والسبب في ذلك

كان السبب في دخول بني مرين لهذا القطر المغربي أنه لما كانت وقعة
العقاب بالاندلس سنة تسع وستمائة وهزم الناصر وهلك الجمهور من حامية
المغرب ورعاياه حتى خلت البلاد من أهلها ثم حدث عقب ذلك الوباء العظيم
الذي تحيف الناس الاقليلا. وهلك الناصر سنة عشر بعدها فبايع الموحدون ابنه
يوسف المنتصر وهو يومئذ صبي حدث لا يحسن التدبير ، وشغلته مع ذلك
أحوال الصبا ولذات الملك عن القيام بأمر الرعية فتضافرت هذه الاسباب على
الدولة الموحدية فأضعفتها لحيثها وأمراضها المرض الذي كان سببا لحيثها ،

(*) انظر هذه الحروب في النخيرة السنوية صفحة ١٨ وما بعدها طبع الجزائر

وكان بنو مرين يومئذ موطنين ببلاد القبلة من زاب افريقية الى سجلماسة ،
 ينتقلون في تلك القفار والصحارى لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا تتالهم
 الدولة بهزيمة ولا يؤدون اليها ضريبة كثيرة ولا قليلة ولا يعرفون تجارة ولا
 حرثا انما شغلهم الصيد وطراد الخيل والغارات على أطراف البلاد
 وكانت طائفة منهم ينتجعون تخوم المغرب وتلوه زمان الربيع والصيف
 فيكتالون من أطراف البلاد ما يحتاجون اليه من الميرة ويرعون فيها تلك المدة
 أنعامهم وشاءهم حتى اذا أقبل فصل الشتاء اجتمع نجعهم باكر سيف ثم شدوا
 الرحلة الى بلادهم فكان ذلك دأبهم على مر السنين

فلما كانت سنة عشر وستمائة أقبل نجعهم على عادته للارتفاق والميرة حتى
 اذا أطلوا على المغرب من ثناياه ألقوه قد تبدلت أحواله وبادت خيله ورجاله
 وفيت حماته وأبطاله وعريت من أهله أو طانه وخف منها سكانه وقطانه
 ووجدوا البلاد مع ذلك طيبة المنبت خصيبة المرعى غزيرة الماء واسعة الاكناف
 فسيحة المزارع متوفرة العشب لقلة راعيها مخضرة التلول والربا لعدم غاشيها
 فأقاموا بمكانهم وبعثوا الى اخوانهم فأخبروهم بحال البلاد وما هي عليه من
 الخصب والامن وعدم المحامى والمدافع ، فاعتنوا الفرصة وأقبلوا مسرعين
 بنجعهم وحللهم وانتشروا في نواحي المغرب وأوقفوا عليها بخيلهم وركابهم
 واكتسحوا بالغارات والنهب بسيطها ولجأت الرعايا الى حصونها ومعقلها وتم
 لهم ما أرادوا من الاستيلاء على بسيط المغرب وسهله وانتجاع مواقع طله ووبله.



الخبر عن رياسة الامير ابى محمد عبد الحق بن محيو المرينى

رحمه الله



لما دخل بنو مرين المغرب كان الامير عليهم يومئذ عبد الحق بن محيو بن
 أبى بكر بن حمامة بن محمد المرينى ، فكثر عيئهم وضررهم بالمغرب وأعضل
 داؤهم وتضاعف على الرعية بلاؤهم فرفعت الشكايات بهم الى الخليفة
 بمراكش وهو يومئذ يوسف المنتصر بن الناصر بن المنصور فجهز لهم جيشا

كثيفا من عشرين ألفا وعقد عليه لابي على بن وانودين وكتب له الى صاحب فاس السيد أبى ابراهيم بن يوسف بن عبد المومن يأمره بالخروج معه لغزو بنى مرين والاثخان فيهم وعدم الابقاء عليهم مهما قدر على ذلك

واتصل الخبر بنى مرين وهم فى جهات الريف وبلاد بطوية فتركوا أثقالهم وعيالهم بحصن تازوطا من أرض الريف وصمدوا الى الموحدين فالتقى الجمعان بوادى نكور (*) فكان الظهور لبنى مرين على الموحدين فهزموهم وقتلوهم وامتلات الايدى من أسلابهم وأمتعتهم ورجع الموحدون الى فاس يخلصون عليهم من ورق النبات المعروف عند أهل المغرب بالمشعلة لكثرة الخصب يومئذ واعتمار الفدن بالزرع وأصناف الباقلى فسميت تلك السنة يومئذ بعام المشعلة وهى سنة ثلاث عشرة وستمائة ، ثم زحف الامير عبد الحق فى ذى الحجة من السنة المذكورة بجموع بنى مرين الى رباط تازة (*) حتى وقف بازاء زيتونها فخرج عاملها لحربه فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشد من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم فقتلت بنو مرين العامل المذكور وهزموا جيوشه

وجمع عبد الحق الاسلاب والخيل والسلاح وقسم ذلك كله فى قبائل بنى مرين ، ولم يمسك منها لنفسه شيئا وقال لبنيه : اياكم أن تأخذوا من هذه الغنائم شيئا فانه يكفيكم منها الثناء والظهور على أعدائكم



(*) وتمت المعركة بحفص الوادى ما بين رباط تازا والمقرمدة (الذخيرة السنينة ص ٢٧ طبع الجزائر)

(*) راجع الذخيرة السنينة فى أخبار الدولة المرينية صفحة ٣١ طبع الجزائر

حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق

رحمه الله



لما انتصر بنو مرين على أعدائهم الموحدون حصل في نفوس بنى عسكر ابن محمد من عشيرتهم نفاسة عليهم وضاعت صدورهم من استقلال بنى عمهم حمامة بن محمد بالرياسة دونهم ، فخالفوا الامير عبد الحق وعشيرته الى مظاهرة الموحدون وأولياهم من عرب رياح ، وكانت رياح يومئذ أشد قبائل المغرب قوة وأقواهم شوكة وأكثرهم خيلا ورجالا لحدوث عهدهم بالغر والبداءة ، فأغراهم الموحدون يومئذ بنى مرين لينتصفوا لهم منهم وانفقت كلمتهم عليهم وسمعت بنو مرين باقبال العرب والموحدون وبنى عسكر اليهم ، فاجتمعوا الى أميرهم عبد الحق فقالوا له : ما ترى في أمر هؤلاء العرب المقبلين الينا ؟ فقال : يامعشر مرين أما مادتم في أمركم مجتمعين ، وفي آرائكم متفقين وكنتم على حرب عدوكم أعوانا وفي ذات الله اخوانا ، فلا أخشى أن ألقى بكم جميع أهل المغرب وان اختلفت أهواؤكم وتشتت آراؤكم ظفر بكم عدوكم فقالوا له : «انا نجددك الان بيعة على السمع والطاعة وأن لا نختلف عليك ولا نفر عنك أو نموت دونك فانهض بنا اليهم على بركة الله» فنهض الامير عبد الحق في جموع بنى مرين فكان اللقاء بمقربة من وادي سبو على أميال من تافرطاست فكانت بينهم حرب بعد العهد بمثلها وقتل فيها الامير عبد الحق وكبير أولاده ادريس

ولما رأت بنو مرين ما وقع بأمرها وابنه حميت وغضبت وأقسمت بايمانها أن لا يدفن حتى يأخذوا بثاره فصمموا العزم لقتال رياح واستأنفوا الجد لقراعهم ، وصبروا صبورا جميلا فنصرهم الله على عدوهم فهزموا رياحا وقتلوا منهم خلقا كثيرا وشردوهم في الشعاب والاوادية ورؤوس الهضاب ، واحتوا على ما كان في محلتهم من السلاح والخيل والاثاث ، وقام بأمر بنى مرين بعد هلاك عبد الحق ابنه عثمان على ما نذكره ان شاء الله



بقية اخبار الامير عبد الحق وسيرته



قالوا كان الامير عبد الحق المريني مشهورا في قومه بالتقى والفضـ والدين ، موسوما بالصلاح وصحة اليقين معروفا بالورع والعفاف ، مود في سيرته بالعدل والانصاف يطعم الطعام ويكفل الايتام ويوثر المساكين ويحنو على المستضعفين وكانت له بركة معروفة ودعوة مستجابة موصوفـ وكانت قنيسوته وسراويله يتبرك بهما في جميع احياء زناتة ، وكانوا يحمـ فضلة وضوئه فيستشفون بها لمرضاهم وكان يسرد الصوم فلا يزال صائمـ طول عمره في الحر والبرد لا يرى مفطرا الا في ايام الاعياد ، كثير الذكـ والاوراد لا يفتر عنها في سائر الحالات متحريرا لاكل الحلال لا يقتات الا لحوم ابله وألبانها أو ما يعاينه من الصيد ، معظما في بني مرين مطاعا في يقفون عند أمره ولا يصدرون الا عن رأيه

حكى ابن أبي زرع عن حدثه من الثقات أنه قدم على أمير المسلمي يعقوب بن عبد الحق في وفد من أعيان فاس وفقهائها وذلك في رمضان سنـ ثلاث وثمانين وستمائة والامير يعقوب يومئذ برباط الفتح يريد العبور الـ الاندلس برسم الجهاد قال : فجرى في مجلسه ذكر والده الامير عبد الحق فقال الامير يعقوب « كان الامير عبد الحق رحمه الله صادق القول اذا قا فعل واذا عاهد وفي لم يحلف بالله قط بارا ولا حائثا ولم يشرب مسكرا قط ولا ارتكب فاحشة ، تضع الحوامل ببركة ازاره متى عسرت عليهن الولاد وكان يسرد الصوم ويقوم أكثر الليل واذا سمع بخبر صالح أو عابد قصـ لزيارته ، واستوهب منه الدعاء شديد الخوف من الصالحين متواضعا لهم وكان يأمع ذلك سيما لاغدائه قاهرا لهم وما وجدنا الا ببركته وبركة من دعا لـ من الصالحين » .

قالوا : وكان الامير عبد الحق في ابتداء أمره قليل الاولاد فرأى ذات ليلة في منامه كأن شعلا أربعا من نار خرجن منه فعلمون في جو المغرب ثم احتوين على

جميع أقطاره ، فكان تأويلها تملك بنيه الأربعة من بعده وهذا مثل الرؤيا التي رآها عبد الملك بن مروان من بونه في المحراب أربع مرات فكان تأويلها أن ولي الخلافة أربعة من بنيه الوليد وسليمان ويزيد وهشام .
 وكان للامير عبد الحق تسعة من الولد : ادريس وهو أكبرهم وقتل معه في حرب رياح وعثمان ومحمد وأبوبكر ويعقوب وهؤلاء الأربعة هم الذين ولوا الأمر بعده ، وعبد الله وعبد الرحمن ويقال له بلسانهم رحو وزيان وأبو عياد وبنت هي العاشرة والله أعلم

الحبر عن رياسة الأمير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله

لما فرغ بنو مرين من حرب رياح ورجعوا من اتباعهم اجتمعوا الى الامير أبي سعيد عثمان بن عبد الحق وكان أكبر بنى أبيه بعد ادريس فعزوه بمصاب أبيه وأخيه وبايعوه عن رضى منهم فاجتمعت عليه كلمتهم ولما فرغ الامير أبو سعيد من تجهيز أبيه وأخيه ودفنهما أقسم أن لا يرجع عن حرب رياح حتى يثار بمائة شيخ منهم فسار اليهم وأثخن فيهم حتى شفا نفسه وأذعنوا الى الطاعة ولاذوا بالسلم ، فسالمهم على اتاوة يؤدونها اليه كل سنة

ثم ضعفت شوكة الموحدين وتداعى أمرهم الى الاختلال وأشرف ملكهم على ربوة الاضمحلال وتقلص ظل حكمهم عن البدو جملة وفسدت السابلة واختلط المرعى بالهمل

فلما رأى الامير أبو سعيد ما عليه أمر الموحدين من الضعف وما نزل برعايا المغرب من الجور والعسف جمع أشياخ مرين وندبهم الى القيام بأمر الدين والنظر في مصالح المسلمين فأسرعوا الى اجابته وبادروا لتلبية دعوته ، فسار بهم أبو سعيد في نواحي المغرب يتقرى مسالكة وشعوبه ويتبع تلولة ودروبه ويدعو الناس الى طاعته والدخول في عهده وحمايته ، فمن أجابه منهم أمنه ووضع عليه قدرا معلوما من الخراج ، ومن أبى عليه نابذه وأوقع به فبايعه من قبائل المغرب هواره وزكارة ثم تسول ومكناسة ثم بطوية وفشتالة ثم سدراتة وبهلولة ومديونة ففرض عليهم الخراج وفرق فيهم العمال ، ثم

فرض على أمصار المغرب مثل فاس ومكناسة وتازا وقصر كنامة ضريبة معلومة يؤدونها على رأس كل حول على أن يكف الغارة عنهم ويصلح سابلتهم ثم لما كانت سنة عشرين وبستمائة غزا بلاد فازاز ومن بها من طواعن زناتة فأنخن فيهم حتى أذعنوا للطاعة وقبض أيديهم عن اذاية الناس بالغارات والنهب في الطرقات

ثم في سنة احدى وعشرين بعدها غزا عرب رياح أهل أزغار وبلادالهبط فأنخن فيهم حتى كاد يأتى عليهم ولم يزل دأبه ذلك من تدويخ بلاد المغرب وأقطاره حتى هلك باغتيال عالج له كان رباه صغيرا ، فشب وسول له الشيطان الفتك به فترصد غرته وطعنه بحربة في منحره فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين وكان ذا نجدة وشجاعة وعزم وكرم وايتار مكرما للفقهاء وأهل الصلاح سالكا في ذلك سنن أبيه رحمه الله



الخبر عن رياسة الامير ابى معرّف محمد بن عبد الحق رحمه الله



لما هلك الامير أبو سعيد قام بالامر بعده أخوه أبو معرف محمد بن عبد الحق ، فاقنقى سنن أخيه في تدويخ بلاد المغرب وأخذ الضريبة من أمصاره وجباية المغارم من باديته ، وبعث الرشيد بن المامون صاحب مراکش قائده أبا محمد بن وانودين لحرب بنى مرين وعقد له على مكناسة فأجحف بأهلها في المغارم ، ثم نزل بنومرين في بعض الاحيان بنواحيها وأجلبوا عليها فنادى أبو محمد في عسكره وخرج اليهم فدارت بينهم حرب شديدة هلك فيها خلق من الجانبين ، وبارز محمد بن ادريس بن عبد الحق قائدا من قواد الفرنج فاختلفا ضربتين هلك العالج باحدهما وجرح محمد بالاخرى فاندمل جرحه وصار أثرا في وجهه لقب من أجله بأبى ضربة ، ثم شد بنو مرين على الموحدين فانكشفوا ورجع بن وانودين الى مكناسة مفلولا

وبقى بنو عبد المومن من أثناء ذلك في مرض من الايام وتناقل عن الحماية ثم أومضت دولتهم ايماضة الخمود وذلك أنه لما هلك الرشيد بن المامون سنة

أربعين وستمئة وولى أخوه على وتلقب بالسعيد وبايعه أهل المغرب انصرفت عزائمه الى غزو بنى مرين ، وقطع أطماعهم عما سمت اليه من تملك المواطن فجهز عساكر الموحدين لقتالهم ومعهم قبائل العرب والمصامدة وجموع الفرنج فنهضو سنة اثنتين واربعين وستمئة فى جيش كثير يناهز عشرين ألفا ، فسمع الامير أبو معرف بأقبالهم فاستعد لقتالهم وزحف اليهم فكان اللقاء بموضع يعرف بصخرة أبى بياش من أحواز فاس فدارت بينهم حرب شديدة وصبر الفريقان ، ولما كان عشى النهار قتل الامير أبو معرف بن عبد الحق فى الجولة بيد زعيم من زعماء الفرنج تحاملا فغر فرس أبى معرف به ، وأمكن العليج فيه الفرصة فاعتنمها وطعنه فمات ، فانهزمت بنو مرين وتبعهم الموحدون فاتخذوا الليل جملا وأسروا طول ليلتهم بحلهم وعيالاتهم وأموالهم فأصبحوا بجبال غياثة من نواحي تازا فاعتصموا بها أياما ثم خرجوا الى بلاد الصحراء وولوا عليهم أبا بكر بن عبد الحق على ما نذكره ، وكانت هذه الواقعة وهلاك الامير أبى معرف عشية يوم الخميس تاسع جمادى الاخرة سنة اثنتين وأربعين وستمئة

الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمة الله

هذا الامير هو الذى رفع من راية بنى مرين وسما بها الى مرتبة الملك وكنيته أبو يحيى وهو أول من جند الجنود منهم ، وضرب الطبول ونشر البنود وملك الحصون والبلاد واكتسب الطارف والتلاد . بايعه بنو مرين بعد مهلك أخيه أبى معرف فى التاريخ المتقدم فكان أول ما ذهب اليه ورآه من النظر لقومه : أن قسم بلاد المغرب وقبائل جبايته بين بنى مرين وأنزل كلا منهم بناحية منه سوغهم اياها سائر الايام طعمة لهم وأمر كل واحد من أشياخ بنى مرين أن يتركب الرجل ويستلحق الاتباع فحسننت حالهم وكثرت غاشيتهم وتوفرت جموعهم

استيلاء الامير أبى بكر على مكناسة

وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته



تم نواز الامير أبو بكر بمحلته فنزل جبل زرهون ودعا أهل مكناسة الى بيعة الامير أبى زكرياء بن أبى حفص صاحب افريقية لانه كان يومئذ على دعوته وفى ولايته ، وحاصرها وضيق عليها بمنع المرافق وترديد الغارات الى أن أذعنوا لطاعته ، فافتتحها صلحا بمداخلة أخيه يعقوب بن عبد الحق لزعيمها أبى الحسن ابن أبى العافية وبعثوا بيعتهم الى الامير أبى زكرياء الحفصى ، وكانت البيعة من انشاء أبى المطرف بن عميرة المخزومي وكان من أعلام ذلك العصر ومشاهيرة ، ولى القضاء لبنى عبد المومن بمدينة سلا ، ثم استقضوه بعدها بمكناسة فشهد هذه القضية وكتب البيعة

ولما فتح الامير أبو بكر مكناسة أقطع أخاه يعقوب ثلث جبايتها جزاء له على وساطته وكان فتح مكناسة سنة ثلاث واربعين وستمائة ، ثم آنس الامير أبو بكر من نفسه الاستبداد ومن قبيله الاستيلاء فاتخذ الالة لذلك وسما بنفسه الى مرتبة الملك وأعد له عدته وانتهى الخبر الى السعيد صاحب مراکش بتغلب الامير أبى بكر على مكناسة وصرفها لابن أبى حفص فوجم لها وفاوض الملا من أهل دولته فى أمره وأراهم كيف أقطع الامر عنهم شيئا فشيئا حتى لم يبق بيدهم الا قرارة مراکش وما حولها بعد امتداد ظل ملكهم على المغربين وافريقية والاندلس

ثم نهض السعيد من مراکش سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبنى مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن بن زيان ثانيا ثم افريقية وابن أبى حفص آخر

ولما وصل الى وادى بهت عرض جيوشه وميزها واتصل الخبر بالامير أبى بكر وهو بمكناسة فخرج وحده ليلا يتجسس الاخبار ويستطلع أحوال السعيد وجموعه فتقدم حتى أشرف على محلة السعيد من كتب ولا علم لاحد به

فرأى مالا طاقة له به ورأى من الرأى أن يتخلى للسعيد عن البلاد ولا يناجزه الحرب فلدق بمكناسة واستدعى بنى مرين من أماكنهم التى عين لهم ، فتلاحقوا به وساروا الى قلعة تازوطا من بلاد الريف فتحصنوا بها

وتقدم السعيد الى مكناسة فتلقاها أهلها خاضعين مستشفعين اليه بشيوخهم وصبيانهم فعفا عنهم ، ثم سار الى فاس فنزل بظاهرها من ناحية القبلة وخرج اليه أشياخها فسلموا عليه وسألوه الدخول الى البلد فتكرم عنهم وأبى ، ثم ارتحل الى رباط تازا فنزل بظاهرها وهناك بعث اليه الامير أبوبكر ببيعتة فقبلها وكتب له ولقومه بالامان وكان فيما خاطبه به الامير أبوبكر أن قال له : « ارجع يا أمير المؤمنين الى حضرتك وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتج لك تلمسان ، فشاور السعيد خاصته فى ذلك فقالوا : « لا تفعل يا أمير المؤمنين فان الزناتى أخو الزناتى لا يسلمه ولا يخذله وانا نخاف أن يسطلحا على حربك » فأسغفهم وكتب الى الامير أبوبكر يقول له : « أقم بموضعك وابعث الى بحصة من قومك » فأمدد بخمسائة من بنى مرين وعقد عليها لابن عمه أبى عياد بن أبى يحيى ابن حمامة

وتقدم السعيد الى تلمسان فكان من هلاكه على قلعة تامزردكت ما قدمناه فى أخبار دولته ، وكان الامير أبو بكر لما نزل حصن تازوطا وأهل ذلك الحصن يومئذ هم بنو وطاس بطن من بنى مرين أجمعوا الفتك به غيره ونفاسة عليه فدىس اليه بذلك بعض شيوخهم وأعلمه بما تواطأوا عليه من غدرة فارتحل الامير أبو بكر عنهم الى بنى يزناسن وكانوا نازلين يومئذ بعين الصفا فأقام هنالك معهم حتى رجعت اليه الحصنة التى كانت مع السعيد وأعلموه بمقتله وافتراق جموعه فانتهاز الامير أبو بكر الفرصة فى فل الموحدين واعترضهم بأكر سيف فاستلبهم وانتزع الالة من أيديهم وأدار اليه كنية الفرنج والناشبة من الانغراز ، واتخذ المركب الملوكى من يومئذ ثم أغذ السير الى مكناسة فدخلها واستولى عليها وأقام بها أياما ثم نهض الى أعمال وطاط وحصون ملوية فافتتحها ودوخ جبالها وذلك أواخر صفر سنة ست وأربعين وستمائة



استيلاء الامير ابي بكر على فاس وبيعة أهلها له



لما فرغ الامير أبو بكر من فتح حصون ملوية صرف عزمه الى فتح فاس وانتزاعها من يد بني عبد المومن وكان العامل بها يومئذ السيد أبا العباس من بني عبد المومن فأناخ عليها الامير أبو بكر بخيله ورجله وتلطف فى مداخلة أهلها وضمن لهم جميل النظر وحميد السيرة وكف الاذى عنهم ، فأجابوه ووثقوا بعهدده وغناؤه وأووا الى ظله وركنوا الى طاعته وانتحال الدعوة الحفصية بأمره ونبذوا طاعة بني عبد المومن يأسا من صريخهم فبايعوه بالرابطة خارج باب الشريعة وحضر هذه البيعة الشيخ أبو محمد الفشتالى ونشده الله على الوفاء بما اشترط على نفسه من النظر لهم والذب عنهم وسلوك طريق العدل فيهم فكان حضوره ملاك تلك العقدة والبركة التى يتعرف أثرها خلفهم فى تلك البيعة

ودخل الامير أبو بكر مدينة فاس زوال يوم الخميس السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة ست واربعين وستمائة بعد موت السعيد صاحب مراکش بشهرين ، ولما دخل الامير أبو بكر قصبة فاس أمن السيد أبا العباس عامل الموحدين بها وأخرجه من القصبة بعياله وأولاده وبعث معه سبعين فارسا يبلغونه الى مأمنه فأجازوه وادى أم الربيع ورجعوا .

ثم نهض الامير أبو بكر الى منازل تازا وبها يومئذ السيد أبو على بن محمد أخو أباى دبوس فنازلها أربعة أشهر حتى نزلوا على حكمه فقتل بعضهم ومن على آخرين منهم وسد ثغورها وأقطع أخاه يعقوب بن عبد الحق زباط تازا وحصون ملوية ورجع الى فاس فأقام بها نحو سنة واستقامت له الامور ، وقدمت عليه الوفود وأمر القبائل بالنزول فى البسائط وعمارة القرى والمداشر وأمنت الطرقات وتحركت التجار ورخصت الاسعار وصلاح أمر الناس واعتبطوا بولايته

انتفاض أهل فاس على الأمير أبي بكر ومحاصرته إياهم

لما استولى الأمير أبو بكر على المغرب وملك مدينة فاس كما ذكرنا نهض في ربيع الأول سنة سبع وأربعين وستمائة إلى معدن العوام من بلاد فازان لفتح بلاد زناتة وتدويخ نواحيها واستخلف عنى فاس مولاة السعود بن خرباش من جماعة الحشم أحلاف بني مرين وكان الأمير أبو بكر لما فتح فاسا استبقى من كان فيها من عسكر بني عبد المؤمن من غير نسبهم على الوجه الذي كانوا عليه من الخدمة مع الموحدين ، وكان من جملتهم طائفة من النصاري نحو المائتين ، وعليهم قائد منهم يقال له شريد الفرنجي فكانوا من حصة السعود هنالك ، فوقعت بينهم وبين شيعة الموحدين من أهل فاس مداخلة وعزم الفاسيون على الفتك بالسعود وتحويل الدعوة إلى المرتضى فاجتمعوا إلى القاضي أبي عبد الرحمن المغيلي وفاوضوه في ذلك فوافقهم على رأيهم ، فاستدعوا شريدا وقالوا له : «تقتل هذا الأسود وتضبط البلد حتى نكتب إلى المرتضى فيبعث إلينا من يقوم بأمرنا» فأجابهم إلى ذلك وكان ميله إلى الموحدين وهواه معهم لكونه صنيعتهم وكان الذي مشى في هذه الثورة وتولى كبرها المشرف ولد القاضي المذكور وابن جشار وأخوه وابن أبي طاط وولده .

فلما كانت صبيحة الثلاثاء الموفى عشرين من شوال سنة سبع وأربعين وستمائة طلع الأشياخ المذكورون إلى القصبة للسلام على السعود على عادتهم في ذلك فدخلوا عليه بمجلس حكمه وهاجوه ببعض المحاورات فغضب وانتهرهم فوثبوا به ونادوا بشعارهم وكان شريد الفرنجي واقفا في عسكره أمام القصبة قد واطأهم على ذلك فالتحم على السعود فقتله وقتل معه أربعين من رجاله واحتز العامة رأسه ورفعوه على عصا وطاقوا به في أسواق البلد وسككها واقتحموا القصر فانتهبوه وسبوا الحرم ونصبوا النصراني لضبط البلد وبعثوا ببيعتهم إلى المرتضى صاحب مراکش واتصل الخبر بالأمير أبى بكر وهو منازل بلاد فازان فافرج عنها وأغذ السير إلى فاس فاناخ عليها بعساكره وشمر لحصارها وقطع المادة عنها :

وبعث أهل فاس الى المرتضى بالصريخ فلم يرجع اليهم قولا ولا ملك لهم ضرا ولا نفعا ولا وجد لكشف ما نزل بهم حيلة ولا وجها ، سوى أنه استجاش على الامير أبى بكر بيغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان وأمله لكشف هذه النازلة عمن انجاش الى طاعته فأجابته بيغمراسن الى ذلك وطمع ان يكون ذلك سببا له فى تملك المغرب وسلما للصعود الى ذروة ملكه فاحتشد لحركته ونهض من تلمسان للاخذ بحجزة الامير ابى بكر عن فاس وأهلها .
واتصل بالامير أبى بكر خبر نهوضه اليه لتسعة أشهر من منازلته فاسا ، فجمر الكئاب عليها وصمد اليه قبل فصوله عن تخوم بلاده فلقية بسوادى ايسلى من بسيط وجدة فتزاحف القوم وكانت ملحمة عظيمة هلك فيها عبد الحق بن محمد بن عبد الحق بيد ابراهيم بن هشام من بنى عبد الواد

ثم انكشفت بنو عبد الواد ونجا بيغمراسن بن زيان الى تلمسان بـراس طمرة ولجام وترك محلته بما فيها فاحتوى عليها الامير أبو بكر وانكفا راجعا الى فاس للاخذ بمخنفها فوصل اليها فى جمادى الاخرة سنة ثمان وأربعين وستمائة وأناخ عليها بكليلة واستأنف الجد وأرهف الحد وشد فى الحصار وأيس أهل فاس من اغاثة المرتضى وسقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا ولم يجدوا وليجة من دون مراجعة طاعة بنى مرين فسألوا الامير أبا بكر الامان فبذله لهم على غرم ما أتلفوا له بالقصر من المال يوم الثورة وقدره مائة ألف دينار فتجملوها وأمكنوه من قياد البلد فدخلها فى الثالث والعشرين من الشهر المذكور فأقام بها الى رجب الموالى له وطالبهم بالمال فسوفوه وتلوا فى المقال

فلما رأى ذلك منهم قبض على جماعة من أشياخها وأمنائها وأثقلهم بالحديد وطالبهم بالمال والاثاث الذى اتهبوه من القصر فقال له شيخ يعرف بابن الخبا : « انما فعل الذنب مناستة فكيف تهلكنا بما فعل السفهاء منا؟ ولو فعل الامير ما أشير به عليه لكان صوابا من الرأى » فقال : « وما ذلك؟ » قال : « تعلمد الى هؤلاء نفر الستة الذين شنعوا فى الفتنة فتأخذ رؤوسهم وتشردهم من خلفهم ثم تأخذنا نحن بغرم المال » فقال : « لعمرى لقد أصبت »

ثم أمر بالقاضي المغيلي وابنه وابن أبي طاو و ابنه وابن جشار وأخيه فقتلوا ورفع على الشرفات رؤوسهم وأخذ الباقين بغير المال طوعا وكرها قال ابن خلدون : « فكان ذلك مما عبد رعية فاس وقادها لاحكام بنى مريـن وضرب الرهب على قلوبهم فخشعت منهم الاصوات وانقادت منهم انهم ولم يحدثوا بعدها أنفسهم بغمس يدفى فتنه» وكان مقتل النفر المذكورين خارج باب الشريعة يوم الاحد الثامن من رجب المذكور



استيلاء الامير ابى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك



لما أكمل الله للامير أبى بكر فتح مدينة فاس واستوسق أمر بنى مريـن بها رجع الى ما كان فيه من منازل بلاد فازاز فافتتحها ودوخ أوطان زناتة واقتضى مغارهم وحسم علل الثائرين بها ، ثم تخطى ذلك الى مدينة سلا ورباط الفتح سنة تسع وأربعين وستمئة فملكها وتاخم الموحيدين بثرها ، واستعمل عليها ابن أخيه يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق وعقد له على ذلك الثغر وضم الاعمال اليه

وبلغ الخبر بذلك الى المرتضى بمراكش فأهـمـه الشآن وأحضر الملا من الموحدين وفاوضهم واعتزم على حرب بنى مريـن وسرح العساكر سنة خمسين وستمئة فأحاطت بسلا ثم افتتحوها وعادت الى طاعة المرتضى وعقد عليها لابى عبد الله بن يعلو من مشيخة الموحدين ثم أجمع المرتضى النهوض بنفسه الى بنى مريـن فبعث فى المدائن والقبائل حاشرين فأهرعت اليه أمم الموحدين والعرب والمصامدة وغيرهم وفصل من مراكش سنة ثلاث وخمسين وستمئة فى نحو الثمانين ألفا ، ووالى السير حتى انتهى الى جبال بهلولة من نواحي فاس وصمد اليه الامير أبو بكر فى عساكر بنى مريـن ومن اجتمع اليهم من ذويهم

والتقى الجمعان هنالك وصدقهم بنو مرين الجلاب فاقتل مصاف الموحدين وانهزمت عساكر المرتضى وأسلمه قومه ورجع الى مراكش مفلولا ، واستولى بنو مرين على معسكره واستباحوا سرادقه وانتهبوا فساطيطه وغنموا جميع ما وجدوا بها من المال والذخيرة واستاقوا سائر الكراع والظهر ، وامتلات أيديهم من الغنائم واعتز أمرهم وانبسط سلطانهم وكان يوما له ما بعده ، وفي القرطاس أن انهزام جيش المرتضى في هذه المرة كان عن جولان فرس بين أختيتهم ليلا فحسبوا أن بنى مرين قد أغاروا عليهم فانهزموا لا يلوون على شيء والله أعلم .

ثم غزا الامير أبو بكر بعد هذا بلاد تادلا فاستباح حاميتها من بنى جابرا عرب جشم واستلحم أبطالهم والان من حدهم وخضد من شوكتهم وفي خلال هذه الحروب كان مقتل على بن عثمان بن عبد الحق وهو ابن أخى الامير أبى بكر شعر منه بفساد الدخلة والاجماع للتوثب على الامر فدس لابنه أبى حديد مفتاح ابن أبى بكر بقتله فقتله فى جهات مكناسة سنة احدى وخمسين وستمائة والله تعالى أعلم



استيلاء الامير ابى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة



لما كانت سنة خمس وخمسين وستمائة نهض الامير أبو بكر الى محاربة يغمراسن بن زيان وسمع به يغمراسن فنهض اليه أيضا ، فكان اللقاء بأبى سديط فاقتلوا وانهزم يغمراسن واعتزم الامير أبو بكر على اتباعه فثناه عن رأيه فى ذلك أخوه يعقوب بن عبد الحق لعهد تأكد بينه وبين يغمراسن فرجع

ولما انتهى الى المقرمدة من أحواز فاس بلغه أن يغمراسن قصد سجلماسة ودرعة لمداخلة كانت له من بعض أهلها وعورة أطمعته فى ملكها فأسرع الامير أبوبكر للسير بجموعه الى سجلماسة فدخلها قبل وصول يغمراسن اليها بيوم ، ثم جاء يغمراسن حتى نزل خارجها بباب تاحسنت وسقط فى يده

ويش من غلبة الامير أبى بكر عليها ودارت بينهما حرب تكافأ الفريقان فيها وهلك سليمان بن عثمان بن عبد الحق بن أخى الامير أبى بكر ، وانقلب يغمراسن الى بلده وعقد الامير أبو بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة ليوسف بن يزكاسن واستعمل على الجباية عبد السلام الاوربى وجعل مسلحة الجند بها لنظر أبى يحيى القطراني وملكه قيادتهم وانكأ راجعا الى فاس والله تعالى أعلم .



وفاة الامير ابى بكر رحمه الله



لما رجع الامير أبو بكر من حرب يغمراسن على سجلماسة أقام بفاس أياما ثم نهض الى سجلماسة أيضا متفقا لثغورها فانقلب منها عليلا ووصل الى فاس فتوفى بقصره من قصبتها أواسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة ودفن داخل باب الجيزيين من أبواب عدوة الاندلس بازاء الشيخ أبى محمد الفشتالى حسبما أوصى بذلك وتصدى للقيام بالامر بعده ابنه عمر على ما نذكره



الخبر عن دولة ابى حفص الامير عمر بن ابى بكر بن عبد الحق رحمه الله



لما مات الامير أبو بكر رحمه الله اشتمل العامة من بنى مرين على ابنه أبى حفص عمر فبايعوه ونصبوه للامر وتباروا فى خدمته ، ومالت المشيخة وأهل العقد والحل الى عمه يعقوب بن عبد الحق وكان غائبا عند مهلك أخيه بتازا فلما بلغه الخبر أسرع اللحاق بفاس وتوجهت اليه وجوه الاكابر ، وأحس عمر بميل الناس الى عمه يعقوب فقلق لذلك وأغراد أتباعه بالفتك بعمه فاعتصم بالقصبة ، ثم سعى الناس فى الاصلاح بينهما فتفادى يعقوب من الامر ودفعه الى ابن أخيه على أن تكون له بلاد تازا وبطوية وملوية التى كان أقطعه اياها أخوه من قبل ، فانفصلوا على ذلك وخلص الامر لعمر واستمر بفاس أشهراً الى أن غلب عليه عمه المذكور حسبما نقص عليك

الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان جليل القدر عظيم الشأن وهو سيد بنى مرين على الاطلاق وستسمع من أخباره الحسنة ما يستغرق الوصف ويستوقف السمع والطرف وهو رابع الاخوة الاربعة الذين ولوا الامر بالمغرب من بنى عبد الحق وكانت أمه واسمها أم اليمن بنت علي البطوى رأت وهى بكر كأن القمر خرج من قبلها حتى صعد الى السماء وأشرق نوره على الارض فقصت رؤياها على أبيها فسار الى الشيخ الصالح أبى عثمان الورياكلى فقصها عليه فقال ان صدقت رؤياها فستلد ملكا عظيما فكان كذلك ولما انفصل الامير يعقوب بن عبد الحق عن ابن أخيه عمر بولاية تازا وما أضيف اليها اجتمع اليه كافة بنى مرين وعذلوهم فيما كان منه من التخلي عن الملك وحملوه على العود فى الامر ووعدوه من أنفسهم المظاهرة والنصر الى أن يتم أمره فأجاب وباعوه وصمد الى فاس فبرز الامير عمر للقاءه

ولما تراءى الجمعان خذل عمر جنوده وأسلموه فرجع الى فاس مقلولا ووجه الرغبة الى عمه أن يقطعه مكناسة وينزل له عن الامر ، فأجابه الى ذلك ودخل السلطان يعقوب مدينة فاس فملكها سنة سبع وخمسين وستمائة ونفذت كلمته فى بلاد المغرب ما بين ملوية وأم الربيع وما بين سجلماسة وقصر كنامة واقصر عمر على امارة مكناسة فتولاها أياما ثم اغتاله بعض عشيرته فقتلوه لنحو سنة من امارته فكفى الامير يعقوب أمره واستقام سلطانه وذهب التنازع والشقاق عن ملكه

وكان يغمراسن بن زيان لما سمع بموت قرنه الامير أبى بكر سماله أمل فى الاجلاب على المغرب فجمع لذلك قومه من بنى عبد الواد واستنظر بنى توجين ومغراوة ووعدهم ومناهم وأطمعهم فى غيل الاسد ، ثم نهض بهم الى المغرب حتى اذا انتهوا الى كلدمان صمد اليهم الامير يعقوب فقلهم وردهم على أعقابهم ومر يغمراسن فى طريقه بتافرسيت من بلاد بطوية فأحرق واتسف

دخلها أوائل شعبان من السنة المذكورة لاستشراف أحوال يغمراسن بن زيان فوصل اليه الخبر في اليوم الرابع من شوال المذكور فنهض السلطان يعقوب من فوره بعد أن صلى العصر بتازا من ذلك اليوم فأسرى ليلته تلك في نحو الخمسين فارسا ومن الغد صلى العصر بظاهر سلا فكان قطعه مسافة ما بينهما في يوم وليلة ، وهذا أمر خارق للعادة بلا شك أظهره الله على يد هذا السلطان لصدق عزمه وحسن نيته والا فالمسافة ما بين تازا وسلا ست مراحل أو أكثر، ثم تلاحقت به جيوش المسلمين من القبائل المتطوعة من جميع آفاق المغرب فحاصر النصارى بها وضيق عليهم ووالى القتال عليهم بالليل والنهار حتى اقتحمها عليهم عنوة لأربع عشرة ليلة من حصارها وأثخن فيهم بالقتل ونجا من نجا منهم الى سفنهم فنشروا قلوبهم وذهبوا يلتفتون وراءهم ، ثم شرع السلطان يعقوب رحمه الله في بناء السور الغربي من سلا الذي يقابل الوادى منها فانها كانت لاسور لها من تلك الجهة من أيام عبد المومن بن على فانه كان قد هدم اسوار قواعد المغرب مثل فاس وسبته وسلا حسبما قدمنا الخبر عنه في دولته ومن هذه الثلمة كان دخول النصارى الى سلا فشرع السلطان يعقوب رحمه الله في بنائه فبناه من أول دار الصناعة قبة الى البحر جوفاً وكان رحمه الله يقف على بنائه بنفسه ويناول الحجر بيده ابتغاء ثواب الله وتواضعا وسعياً في صلاح المسلمين حتى تم السور المذكور على أحسن وجه وأكمله

ودار الصناعة المذكورة في هذا الخبر هي الدار التي كانت تصنع بها الاساطيل البحرية والمراكب الجهادية يجلب اليها العود من غابة المعمورة فتصنع هنالك ثم ترسل في الوادى وكان ذلك من الامر المهم في دولة الموحدين حسبما سلف قال في الجدوة : « دار الصناعة بسلا بناها المعلم أبو عبد الله محمد ابن على بن عبد الله بن محمد بن الحاج من أهل اشبيلية وكان من العارفين بالحيل الهندسية ومن أهل المهارة في نقل الاجرام ورفع الاثقال بصيرا باتخاذ الآلات الحربية الجافية » اهـ

وأما يعقوب بن عبد الله الثائر فانه خشي بادرة السلطان يعقوب بن عبد الحق فخرج من رباط الفتح وأسنمه فضبطه السلطان وثقفه ثم نهض الى بلاد

تامسنا فاستولى عليها وملك مدينة آنفى وهى المسماة الان بالدار البيضاء ،
فضبطها ولحق يعقوب بن عبد الله بحصن علودان من جبال غمارة فامتنع به وسرح
السلطان ابنه أبا مالك عبد الواحد وعلى بن زيان لمتازته وسار هو الى لقاء
يغمراسن فلقية وعقد معه المهادنة وافترقا على السلم ووضع أوزار الحرب
ورجع السلطان الى المغرب فخرج عليه بنو أخيه ادريس على ما نذكره



خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق

رحمه الله



قد تقدم لنا أن الامير عبد الحق المريني كان له تسعة من الولد أكبرهم
ادريس وقتل مع والده فى حرب رباح وكان لادريس هذا عدة أولاد بقوا فى
كفالة أعمامهم ولما أفضى الامر الى السلطان يعقوب وكان أولاد ادريس قد
ملكوا أمر أنفسهم واشتدت شكيمتهم فنفسوا عليه ما آتاه الله من الملك ورأوا
أنهم أحق به منه لان أباهم هو الأكبر من ولد عبد الحق كما مر فخرجوا على
عمهم يعقوب ولحقوا بقصر كتامة وتابعوا ابن عمهم يعقوب بن عبد الله على
رأيه واجتمعوا الى كبيرهم محمد بن ادريس بن عبد الحق وانضم اليهم من
كان على رأيهم من عشيرتهم ومواليهم واعتصموا بجبال غمارة فهض اليهم
السلطان يعقوب وتلطف بهم حتى استنزلهم واسترضاهم وعقد لعامر بن ادريس
منهم سنة ستين وستمائة على عسكر من ثلاثة آلاف فارس أو يزيدون من
المتطوعة من بنى مرين وأغزاهم الاندلس لجهاد العدو بها وحملهم وفرض
لهم فى العطاء وشفع بهذه الفعلة الحسنة عمله فى واقعة سلا وهو أول جيش
عبر البحر الى الاندلس من بنى مرين فكان لهم فى الجهاد والمرابطة مواقف
مذكورة ومقامات محمودة تبع الخلف فيها السلف ودام ذلك فيهم برهة من
الدهر وقاموا عن أهل المغرب والاندلس بهذا الواجب العظيم رحمهم الله
وجزاهم عن المسلمين خيرا .

وأما يعقوب بن عبد الله صاحب سلا فإنه أقام خارجاً بالنواحي متنقلاً في الجهات إلى أن قتله طلحة بن محلى من أولياء السلطان يعقوب على ساقية غبولة من ناحية رباط الفتح سنة ثمان وستين وستمائة فكفى السلطان يعقوب أمره .



حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبي دبوس منها إليه وهلاك المرتضى بعد ذلك



لما فرغ السلطان يعقوب من شأن الخارجين عليه من عشيرته أجمع رأيته لمنازلة المرتضى والموحدين في دارهم وحضرتهم ورأى أنه أوهن لشوكتهم وأقوى لامره عليهم ، فبعث في قومه وحشد أهل مملكته واستكمل التعبئة وسار سنة ستين وستمائة حتى انتهى إلى جبل جيليز فشارك دار الخلافة ونزل بعقرها وأخذ بمخفقها وخفقت ألويته على جناباتها ، وعقد المرتضى على حربه لأبي دبوس ادريس بن محمد بن أبي حنص بن عبد المومن فعبأ كتابه ورتب مصافه وبرز لمدافعتهم ظاهر الحضرة فكانت بينهم حرب بعد العهد بمنلها هلك فيها الأمير عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ففت مهلكه في عضدهم وارتحلوا عنها إلى أعمالهم واعترضتهم عساكر الموحدين بوادي أم الربيع وعليهم يحيى ابن عبد الله بن وانودين فاقتلوا في بطن الوادي وانهزمت عساكر الموحدين هزيمة شنعاء وتركوا الأموال والأثاث فاحتوى نو مرين على ذلك كله وهي واقعة أم الرجلين

ثم سعى سمسرة الفتن عند الخليفة المرتضى في ابن عمه وقائد حربه أبي دبوس بأنه يطلب الأمر لنفسه وشعر هو بالسعاية في جانبه فخشى بادرة المرتضى ولحق بالسلطان يعقوب سنة إحدى وستين وستمائة عند دخوله إلى فاس من محاصرته مراکش فأقام عنده ملياً ثم سأله الإعانة على أمره بعسكر يمدد به وآلة يتخذها للملكه ومال يصرفه في ضرورياته ، على أن يشركه في

الفتح والغنيمة والسلطان فأمدده السلطان يعقوب . بخمسة آلاف من بنى مرين وبالمستجد من الالة والكفاية من المال وأهاب له بالعرب والقبائل من أهل مملكته وغيرهم أن يكونوا معه يدا واحدة حتى يبلغ مراده من فتح مراکش ، وسار أبو دبوس في الكتائب حتى شارف الحضرة ودس الى أشياعه من الموحدين بأمره فتاروا بالمرتضى فكان من فراره الى آزمور ونزوله على صهره ابن عطوش ومقتله على يده ما قدمنا ذكره في دولته ، واستتب أمر أبي دبوس بمراكش وثبت قدمه بها فبعث اليه السلطان في الوفاء بالمشارطة فاستنكف واستكبر ونقض العهد وأساء الرد فنهض اليه السلطان يعقوب في جموع بنى مرين وعساكر المغرب فخام عن اللقاء واعتصم بالاسوار فزحف اليه السلطان يعقوب وحاصره أياما ثم سار في الجهات والنواحي يحطم الزروع وينسف الاقوات وعجز أبو دبوس عن مدافعتة فاستجاس عليه بيغمراسن بن زيان ليفت في عضده ويشغله عما أمامه بما وراء فكان ما نذكره



وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما نزل السلطان يعقوب حضرة مراکش وربض على ترائبه للتوثب عليها لم يجد أبو دبوس ملجأ من دون الاستظهار عليه بيغمراسن بن زيان ليأخذ بحجزته عنها فبعث اليه بالصريخ في ذلك وأكد العهد وأسنى الهدية فشمر يغمراسن لاستنقاذه وجذب السلطان يعقوب عنه من خلفه بشن الغارات على ثغور المغرب وایقاد نار الفتنة بها ، فهاج عليه من السلطان يعقوب ليث عاديا وأرهف منه حدا ماضيا فأفرج للوقت عن مراکش ورجع عوده على بدئه يريد تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان فنزل فاسا وتلوم بها أياما حتى أخذ أهبة الحرب وعدة النزال ثم نهض الى تلمسان منتصف محرم سنة ست وستين وستمائة وسلك على أكرسيف ثم على تافرطاست .

وتزاحف الفريقان بوادي تلاغ وعبا كل منهما كتابه ورتب مصافه وبرز

النساء في القباب سافرات على سبيل التحريش والتحريض والتحم القتال وطال القراع والنزال ، ولما فاء الفياء ومال النهار وكثرت حشود بني مرين جموع بني عبد الواد ومن اليهم انكشفوا ومنحوا العدو أكتافهم وهلك في الحومة أبو حفص عمر بن يغمراسن بن زيان وكان كبير أولاده وولى عهده وهلك معه جماعة من عشيرته ، ولما انهزم بنو عبد الواد بقى يغمراسن في ساقتهم حاميا لهم من بني مرين أن تركبهم من خلفهم فكان ردها لهم إلى أن وصلوا إلى بلادهم ، وكانت وقعة تلاغ يوم الاثنين الثاني عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ورجع السلطان يعقوب إلى مكانه من حصار مراکش والله غالب على أمره .



فتح حضرة مراکش ومقتل أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين بها



لما قفل السلطان يعقوب من حرب يغمراسن صرف عزمه إلى غزو مراکش والعود إلى حصارها كما كان أول مرة فهض إليها من فاس في شعبان سنة ست وستين وستمائة ولما عبروا وادي أم الربيع بث السرايا وشن الغارات وأطلق الأعداء والأيدي للنهب والعيث فحطموا زروعها وانتسفوا آثارها وتقربوا نواحيها كذلك بقية عامه ، ثم غزا عرب الخلط من جشم بتادلا فأتخن فيهم واستباحهم ، ثم نزل وادي العبيد فأقام هناك أياما ثم غزا بلاد ضهاجة فاستباحها ولم ينزل ينقل ركابه في أحواز مراکش ويجوس خلالها إلى آخر ذي القعدة من سنة سبع وستين وستمائة فاجتمع أشياخ القبائل من العرب والمصامدة عند أبي دبوس وقالوا له : «يامولانا كم تقعد عن حرب بني مرين وقد ترى ما نزل بنا في حريمنا وأموالنا منهم فاخرج بنا إليهم لعل الله يجعله سبب الفتح فانهم قليلون وجمهورهم وذوو الشوكة منهم قد بقوا برباط تازا لحراسة ذلك الثغر من بني عبد الواد ولم يزلوا يفتلون له في الذروة والغارب حتى أجابهم إلى رأيهم فاستعد للحرب وبرز من حضرة مراکش في جيوش ضخمة وجموع

وافرة ، فاستجره السلطان يعقوب بالفرار أمامه ليعد عن مدد الصريخ فيتمكن منه ، فلم يزل أبو دبوس يسعى خلفه حتى نزل ودغفوا فحينئذ كر عليه السلطان يعقوب فالتحمت الحرب واختل مصاف أبي دبوس وفر يسابق إلى مراکش وأين منه مراکش فأدرسته الخيول وحطمته الرماح فخر صريعا واحتز رأسه وجيء به إلى السلطان يعقوب فسجد شكرا لله تعالى وذلك يوم الاحد ثاني محرم سنة ثمان وستين وستمائة ، ثم تقدم السلطان يعقوب نحو مراکش وفر من كان بها من الموحدين إلى تينملل وبايعوا اسحق أخا المرتضى فبقى ذبالة هنالك إلى أن قبض عليه سنة أربع وسبعين وستمائة وجيء به في جماعة من قومه إلى السلطان يعقوب فقتلوا جميعا وانقرض أمر بني عبدالمومن والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ثم خرج الملا وأهل الشورى من الحضرة إلى لقاء السلطان يعقوب ففرح بهم وأمنهم ووصلهم ، ودخل مراکش في عسكر ضخم وموكب فخم يوم الاحد التاسع من محرم المذكور وورث ملك آل عبد المومن وتملاه واستوسق أمره بالمغرب وتطامن الناس لبأسه وسكنوا لظل سلطانه ، وأقام بمراكش إلى رمضان من سنته ثم أغزا ابنه الامير أبا مالك عبد الواحد بن يعقوب بلاد السوس فافتتحها وأوغل في ديارها ودوخ أقطارها ورجع إلى أبيه واستمر السلطان يعقوب بمراكش يصلح شؤونها إلى رمضان من سنة تسع وستين وستمائة فخرج بنفسه إلى بلاد درعة فأوقع بعربها الواقعة المشهورة التي خضت من شوكنهم ورجع لشهرين من غزاته ، ثم أجمع الرحلة إلى دار ملكه بفاس فعقد على مراکش لمحمد بن عنى ابن يحيى من كبار أوليائهم ومن أهل خولته وكان من طبقة الوزراء وأنزله بقصبة مراکش وجعل المسالحي في أعمالها لنظره وعهد إليه بتدوين الأقطار ومحو آثار بني عبد المومن وفصل من مراکش قاصدا حضرة فاس في شوال من السنة المذكورة والله تعالى أعلم



مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي
للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمهما الله



كانت دولة بني أبي حفص أصحاب تونس وأفريقية فرعا من دولة بني عبد المومن وشعبة منها حسبما نبهنا عليه غير مرة ، ولما ضعفت دولة بني عبد المومن بمراكش والمغرب كان صاحب افريقية أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد الهنتاتي يأمل الاستيلاء عليها والتملك لها ويتمنى ذلك لو ساعده القدر لانه كان يرى أنه أولى بتلك الحضرة من غيره حتى من بني عبد المومن لأنها أرض سلفه وموطن أصله وعشيرته لان عمالة مراكش لم تعرف الا للمصامدة من قديم الزمان وقبيلة هنتاتة هي صميمها وذوآبتها فهذا ونحوه كان بنو أبي حفص يتناولون الى ملك مراكش ، ولما نبغ بنو مرين بالمغرب وغلبوا على الكثير من ضواحيه كانوا يدعون الى أبي زكرياء الحفصي تأليفا لاهل المغرب واستجلابا لمرضاتهم واتيانا لهم من ناحية أهوائهم. اذ كانت صبغة الدعوة الموحدية قد رسخت في قلوبهم فلو دعوا الى غيرها من أول الامر لحاصوا عنها حصة حمر الوحش ، ولما لم يمكن بني مرين أن يدعوا الى بني عبد المومن لانهم أقتالهم واياهم ينازعون ولهم يحاربون ويجالدون دعوا الى طاعة الحفصيين الذين هم فرع منهم والدعوة الى الفرع كالدعوة الى أصله ، فلم تنفر نفوس أهل المغرب عنها وانما كان بنو مرين يسرون من ذلك حسوا في ارتغاء ولهذا لما استقل السلطان يعقوب بالامر وتمكن له السلطان بالمغرب قطع دعوة الحفصيين حالا بعد أن كان أولا يدعو اليها هو واخوته من قبله وكان بنو أبي حفص ينشطون لذلك ويهادون بني مرين ويمدونهم بالمال والسلاح وغير ذلك ولما عزم السلطان يعقوب على منازلة مراكش كتب الى أبي عبد الله محمد المستنصر بالله بن أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص يخبره بذلك ويستمدده حتى كأنه نائب عنه لاغير وأرسل بكتابه مع ابن أخيه عامر بن ادريس بن عبد الحق في جماعة من وجوه دولته فأكرم المستنصر وفادتهم ، ثم لما فتح السلطان

يعقوب مراکش واستولى عليها بعث اليه المستنصر بهدية فيها من أصناف الخيل الجياد والسلاح والثياب الرفيعة ما اختاره واستحسنه وبعث بذلك مع جماعة من وجوه دولته أيضا وفيهم الكاتب أبو عبد الله محمد الكنانى فتلطف الكاتب المذكور فى ذكر المستنصر على منبر مراکش حتى تم به ذلك بمحضر وفد الموحدين فعظم سرورهم وانقلبوا الى صاحبهم بالخبر واتصلت المودة والمهاداة بين المستنصر والسلطان يعقوب سائر أيامهم ، ولما هلك المستنصر وبويع ابنه أبو زكرياء يحيى المدعو بالوائق أقضى سنن أبيه فى ذلك فبعث الى السلطان يعقوب بهدية حافلة مع قاضى بجاية أبى العباس الغمارى سنة سبع وسبعين وستمائة فعظم موقعها من السلطان يعقوب وكان لابی العباس الغمارى هذا بالمغرب ذكر تحدث الناس به دهرا وقطع السلطان يعقوب لاول أمره الدعوة الى الحفصيين كما قلنا والله تعالى أعلم



عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبى مالك بسلا

وما نشأ عن ذلك من خروج قرابته عليه



كان السلطان يعقوب حين خرج من مراکش بعد فتحها قاصدا حضرة فاس دار ملك بنى مرين اجتاز بمدينة سلا فأراح بها أياما فطرقة مرض وعك منه وعكا شديدا ، فلما أبل من مرضه جمع قومه وعقد العهد لأكبر أولاده أبى مالك عبد الواحد بن يعقوب لما علم من أهليته لذلك وأخذ له البيعة عليهم جميعا فأعطوها طواعية وعز ذلك على القرابة من بنى عبد الحق وهم أولاد سوط النساء بنو ادريس بن عبد الحق وبنو عبد الله بن عبد الحق وبنو رحو بن عبد الحق وإنما قيل لهم أولاد سوط النساء لان هؤلاء الثلاثة من بنى عبد الحق كانوا أشقاء أمهم اسمها سوط النساء ، فلما بايع السلطان يعقوب لابنه أبى مالك بولاية العهد آسفهم ذلك لانهم كانوا يرون أنهم أحق بالامر حسبما سلف فارتدوا على أعقابهم وقلبوا لعنهم ظهر المجن وعادت هيف الى أديانها وأسروا

من ليلتهم من سلا ولم يصبحوا الا بجبل علودان من بلاد غمارة عش خلافهم ومدرج فقتهم وكان ذلك في عيد الفطر من سنة تسع وستين وستمائة وانضم اليهم بنو أبي عياد بن عبد الحق وشايعهم على رأيهم ، فخرج السلطان يعقوب في أثرهم وقدم بين يديه ابنه الامير يوسف بن يعقوب في خمسة آلاف فأحاط بهم وأخذ بمخنقهم ولحق به أخوه أبو مالك في عسكره ومعه مسعود بن كانون شيخ سفيان ثم لحق بهم السلطان يعقوب في عساكره فحاصروهم ثلاثة ولما رأوا أن قد أحيط بهم سألوا الامان فبذله لهم وأنزلهم ومسح صدورهم واسترضاهم واستل سخائمهم ووصل بهم الى حضرته فسألوا منه الاذن في اللحاق بتلمسان حياء مما ارتكبوه من الخلاق فأذن لهم فأجازوا البحر الى الاندلس وخالفهم عامر بن ادريس لما آتس من ميل عمه اليه فبقى بتلمسان حتى توثق لنفسه بالعهد وعاد الى قومه بعد منازلة السلطان يعقوب لتلمسان حسبما نذكره عن قريب .

قال ابن خلدون : « واحتل هؤلاء القرابة من بنى عبد الحق بأرض الاندلس على حين أفقر من الحامية جوها واستأسد العدو على ثغورها وتحلبت شفاهه لالتهامها ، فتبوأوها أسودا ضارية وسيوفا ماضية معودين لقاء الابطال وقراع الحتوف والنزال مستغلظين بخشونة البداوة وصرامة العز وبسالة التوحش فعظمت نكايتهم في العدو واعترضوا في صدره سجي دون الوطن الذي كان طعمة له في ظنه وارتدوه على عقبه ونشطوا من همم المسلمين المستضعفين وراء البحر وبسطوا من آمالهم لمدافة طاغيتهم وزاحموا أمير الاندلس في رياستها بمنكب قوى فتجافى لهم عن خطة الحرب ورياسة الغزاة من أهل العدو من أعياصهم وغيرهم من أمم البربر وثأفوه في مستقر عزه وساهموه ، في الجباية بفرض العطاء والديوان فبذله لهم واستعدوا على العدو وحسن أثرهم فيه حسبما تلمع بالبعض من ذلك ان شاء الله



هجوم النصارى على العرائش وتيشمس من ثغور المغرب



لما كان المحرم من سنة ثمان وستين وستمائة هجم النصارى على مدينة العرائش وتيشمس من ثغور العدو المغربية فقتلوا رجالها وسبوا نساءها وانتهبوا أموالها وأضرموها نارا ورجعوا عودهم على بدهم فركبوا أجنانهم ولحقوا ببلادهم ولم تنلهم شوكة السلطان يعقوب لانه كان مشغولا بفتح مراکش فى التاريخ المذكور ولم يبين فى القرطاس هؤلاء النصارى من هم



وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان



لما أنعم الله على السلطان يعقوب بامتداد ظل ملكه فى أقطار المغرب ونواحيه ونفوذ كلمته فى حواضره وبواديه وتم له الصنع بفتح مراکش وورائسة كرسى بنى عبد المومن بها وعاد الى فاس كما قلنا تحرك ما كان فى نفسه من ضغائن يغمراسن بن زيان وما آسفه به من تخذيل عزائمه ومجاذبته عن قصده ورأى أن وقعة تلاغ لم تشف صدره ولا أطفأت نار موجدته فأجمع أمره لغزوه ونشطه لذلك ما صار اليه من الملك وسعة السلطان ، فحشد جميع أهل المغرب وعزم على استئصاله وقطع دابره فعسكر بفاس وبعث ولده أبا مالك الى مراکش فى جماعة من خواصه حاشرين فى مدائنها وضواحيها ، فاجتمع عليه من قبائل العرب والمصامدة وصنهاجة وبقايا عساكر الموحدين بالحضرة وحامية الامصار من جند الفرنج وناشبة الغزو ، استكثر من ذلك كله واحتفل السلطان يعقوب بفاس كذلك ، ثم نهض منها غرة صفر سنة سبعين وستمائة فسار حتى نزل وادى ملوية فأقام عليه أياما حتى لحقه ابنه أبو مالك فى جموعه وتوافت لديه أمداد العرب من قبائل جشم أهل تامسنا الذين هم سفيان والخلط والعاصم وبنو جابر ومن معهم من الاثبيج وقبائل ذوى حسان والشبانان من معقل أهل

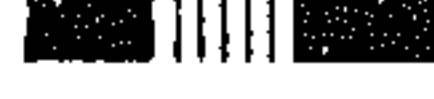
السوس الأقصى وقبائل رياح أهل أزغار وبلاد الهبط ، فعرض هنالك عساكره وميزها ورتبها فيقال انها بلغت ثلاثين ألفا وارتحل يريد تلمسان

ولما انتهى الى أنكاد قدمت عليه رسل ابن الأحمر ووفد أهل الاندلس يستصرخونه على العدو ويسألونه الاعانة والنصر ويخبرونه بأنه قد كلب عليهم وشره لالتهام بلادهم فتحركت همته رحمه الله للجهاد ونصر المسلمين واغاثة المستضعفين منهم ، ونظر في صرف الشواغل عن ذلك وجنح للسلم مع يغمراسن وعزم عليها واستشار الملا من أشياخ العرب ، وبني مرين في ذلك فصوبوا رأيه لما كانوا عليه أيضا من ايثار الجهاد ومحبته ، فبعث السلطان يعقوب جماعة من أشياخ القبائل الى يغمراسن يدعونه الى الصلح واجتماع الكلمة وقال لهم في جملة قوله : « ان الصلح خير كله فان جنح يغمراسن اليه وأتاب فذاك والا فأسرعوا الى بالخبر . » فسار الاشياخ الى يغمراسن فوافوه بظاهر تلمسان وقد أخذ أهفته واستعد للقاء وحشد قبائل زناتة المجاورين له في تلك البلاد من بني عبد الواد وبني راشد وأحلافهم ومغراوة من عرب بني زغبة فبلغوه الرسالة وعرضوا عليه مقالة السلطان يعقوب فأبى واستكبر وصم عن سماع قولهم وموعظتهم وقال : «أبعد مقتل ولدي أصالحه، والله لا كان ذلك أبدا حتى أثار به وأذيق أهل المغرب النكال من أجله » فرجعت الرسل الى السلطان يعقوب بالخبر ، وتزاحف الفريقان فكان اللقاء على وادي ايسلى من بسيط وجدة وعبا السلطان يعقوب كتائبه ورتب مصافه وجعل ابنه عبد الواحد في الميمنة وابنه يوسف في اليسرة ووقف هو في القلب ، ودارت بينهم رحى الحرب وركدت مليا وهلك في الحومة أبو عنان فارس بن يغمراسن بن زيان في جماعة من بني عبد الواد ، وهلك عامة عسكر الفرنج الذين كانوا معهم لثباتهم بثبات يغمراسن فطحتهم رحى الحرب وتقبض على قائدهم برئيس وانهمزم الباقون ، ونجا يغمراسن في فله حاميا لهم ومدافعا عنهم من خلفهم ، ومر في هزيمته بفساطيطه فأضرمها نارا تفاديا من حصرة استيلاء العدو عليها. وانتهت بنو مرين باقى معسكره واستبيحت حرمة وارتحل السلطان يعقوب من الغد في أثره حتى اذا انتهى الى وجدة وقف عليها فأمر بهدمها فتسارعت ايدي

الجند اليها وجعلوا عاليها سافلها والصقوا بالرغام جدرانها وتركوها قاعا صفصفا، وكانت هذه الواقعة منتصف رجب من سنة سبعين وستمائة .

ثم تقدم الى تلمسان فنزل عليها وحاصرها أياما وأطلق الايدي في ساحتها بالنهب والعيث ثم شن الغارات على البسائط فاكتسحها سبيا ونسفها نسفا وهلك في طريقه الى تلمسان وزيره عيسى بن ماساي وكان من عليه وزراءه وحماة ميدانه وله في ذلك اخبار مذكورة ، وكان مهلكه في شوال من السنة المذكورة وقدم عليه وهو محاصر لتلمسان الامير ابو زيان محمد ابن عبد القوي بن العباس بن عطية كبير بني توجين من زناطة في جيش كثيف من قومه مباحيا بنوده وطبوله وآله حربيه ، وكان قدومه هذا بقصد مظاهره السلطان يعقوب علي يغمراسن وتلمسان لعداوة كانت بينهما فأكرم السلطان يعقوب وفادته واستركب الناس للقاءه واتخذ رتبة السلاح لمباهاته واستمر الحصار على تلمسان ، وعظمت نكاية بني توجين فيها بنخريب الرباع وانتساف الجنات وقطع الثمار وافساد الزرع وتحريق القرى والضياع لما كان يغمراسن يعاملهم في بلادهم بمثل ذلك أو أكثر ، ولما امتعت تلمسان على السلطان يعقوب وأيس من فتحها لحصانيتها واشتداد شوكة حاميتها عزم على الافراج عنها وأشار على الامير محمد بن عبد القوي بالقفول الى مأمنه قبل أن ينهض هو عن تلمسان ووصله وقومه وملا حقايبهم من التحف وجنب لهم مائة من الخيل المقربات الجياد بمراكبها وأراح عليهم ألف ناقة حلب وعمهم بالخلع الفاخرة والصلوات الوافرة واستكثر لهم من السلاح والغازات والفساطيط وحملهم على الظهر وارتحلوا الى منجاتهم ومقرهم من جبل وانشريس ، وتلوم السلطان يعقوب عليهم أياما ريثما وصلوا حذرا عليهم من يغمراسن أن ينتهز الفرصة في اتباعهم ، ثم أقنع السلطان عن تلمسان ونسي عنانه الى المغرب فوصل الى رباط تازا في أول يوم من ذي الحجة من السنة المذكورة فعيد بها عيد النحر ثم ارتحل الى فاس فدخلها فاتح سنة احدى وسبعين وستمائة فأقام بها الى اليوم الحادي عشر من صفر فتوفى ولده وولى عهده الامير أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب فأسف لفقده ثم صبر واحتسب

ثم نهض * الى مراکش فدخلها أوائل ربيع الثانى من السنة المذكورة فأقام بها شهرا حتى أصلح من شأنها ثم نهض الى طنجة وسبته على ما نذكره



فتح طنجة وسبته وما كان من أمر العزفى بهما



قد تقدم لنا فى دولة أبى حفص عمر المرتضى أن الفقيه أبا القاسم العزفى استبد عليه بسبته وتوارث ذلك بنوه من بعده وكان هؤلاء العزفيون من بيوتات سبته وأهل الرياسة والعلم والدين فيهم ، ولما ضعف أمر بنى عبد المومنين بالمغرب استقل الفقيه أبو القاسم بن أبى العباس العزفى برياستها وضمبطلها وانتظم فى طاعته سائر أعمالها ، ولما كانت سنة ثلاث وستين وستمائة بعث الفقيه المذكور أجفانه الى مدينة أصيلا فهدموا أسوارها ونقضوا قصبتها لانه خاف عليها من خلائها أن يملكها العدو ويتمنع بها ، واستمرت أموره فى سبته ونواحيها على السداد وكانت طنجة تالية لسبته فى سائر أحوالها وكاتتا معا من أحسن بلاد المغرب فدخل صاحب طنجة وهو أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني المعروف بابن الامير فى طاعة أبى القاسم المذكور ، ثم انتقض عليه لمضى سنة من طاعته واستبد وخطب لابن أبى حفص صاحب افريقية ثم للخليفة العباسى صاحب بغداد ثم لنفسه ، وسلك فى طنجة مسلك العزفى فى سبته ولبتوا على ذلك ما شاء الله ، حتى اذا ملك بنو مرين المغرب وافتتخوا

(*) قال فى الذخيرة السننية فى تاريخ الدولة المرينية ما نصه : فلما انقضى شهر صفر الذى توفى فيه له ولدا أبو مالك ارتحل أمير المسلمين إلى حضرة مراکش فوصل إلى رباط الفتح فى الثانى عشر من ربيع الاول فأخذ البيعة لولده الامير أبى يعقوب علي بنى مرين بولاية العهد بها لولده الامير أبى يعقوب ثم سار إلى مراکش فدخلها فى نصف ربيع الآخر فقعدها أياما ثم ارتحل إلى بلاد السوس الخ ... وهذا خلاف ما عند المؤلف هنا فراجع ذلك ص ١٥٤ طبع الجزائر .

معاقله وحصونه وهلك الامير أبو بكر بن عبد الحق وابنه أبو حفص عمر من بعده فتحيز بنوه في أتباعهم وحشمهم الى ناحية طنجة واصيلا فأوطنوا ضاحتها وعاثوا في نواحيها وضيقوا على أهل طنجة حتى شارطهم ابن الامير على خراج معلوم على أن يكفوا الاذية ويحموا الحوزة ويصلحوا السابلة فانصلت يده بيدهم وترددوا الى البلد لاقتضاء حاجاتهم ، ثم مكروا وأضروا الغدر فدخلوا في بعض الايام متأطنين السلاح وفتكوا بابن الامير غيلة ، فثارت بهم عامة أهل طنجة واستلحموهم لحينهم في مصرع واحد سنة خمس وستين وستمائة ، واجتمعوا على ولده فبايعوه وبقيت في ملكته خمسة أشهر. ثم استولى عليها أبو القاسم العزفي فنهض اليها بعساكره من الرجل برا وبحرا وملكها وفر ابن الامير فلاحق بتونس ونزل على المستنصر الحفصي واستقرت طنجة في ايالة العزفي فضبها وقام بأمرها وولى عليها من قبله وأشرك الملائ من أشرافها في الشورى

ولما استولى السلطان يعقوب على حضرة مراکش ومحا دولة آل عبد المومن منها وفرغ من أمر عدوه يغمراسن هم بتلك الناحية وأحب أن يضيفها الى ما بيده ليصفو له أمر المغرب الاقصى كله فنهض الى طنجة ونازلها مفتح اثنتين وسبعين وستمائة لانها كانت في البسيط دون سبته فكان أمرها أسهل فحاصرها نحو ثلاثة أشهر فامتعت عليه ويئس منها وعزم على الافراج عنها فينما هو يقاتل في عشي اليوم الذي عزم على النهوض في غده اذا بجماعة من رماتها قاموا على برج ورفعوا لواء أبيض ونادوا بشعار بنى مرين ، وذلك لخلاف وقع بينهم داخل البلد فتسارع الجند اليهم فملكوهم البرج فتسوروا اليه الحيطان وقاتلوا عليه سائر ليلتهم الى الصباح ثم تكاثرت جيوش بنى مرين واقتمحوا البلد عنوة ونادى منادى السلطان يعقوب بالامان فلم يهلك من أهلها الا نفر يسير ممن رفع يده للقتال وشهر السلاح ساعة الدخول ، وكان ذلك في ربيع الاول سنة اثنتين وسبعين وستمائة ، ولما فرغ السلطان يعقوب من طنجة بعث ولده الامير يوسف الى سبته فحاصر بها العزفي أياما ثم لاذ بالطاعة على أن يبقى ممتنعا بحصنه ويؤدى للسلطان خراجا معلوما كل سنة فقبل السلطان منه ذلك وأفرجت عنه عساكره وعاد الى فاس والله غالب على أمره

فتح سجلماسة وما كان من أمرها



قد ذكرنا ما كان من استيلاء الامير أبى بكر بن عبد الحق على سلجماسة ودرعة وانه عقد على مسلحتها لابي يحيى القطراني الذي كان السبب في فتحها عليه ، ولما هلك الامير أبو بكر استبد القطراني المذكور بسجلماسة ثم غلبه عليها المرتضى وقتل القطراني بواسطة القاضي ابن حجاج حسبما تقدم ذلك كله ثم غلب عليها بعد حين يغمراسن بن زيان بواسطة عرب المنبات من بنى معقل أهل الصحراء وعقد عليها لعبد الملك بن محمد العبد الوادى المعروف بابن حنينة نسبة الى أمه وهى أخت يغمراسن بن زيان ولما فتح السلطان يعقوب بلاد المغرب وانتظمها في ملكته وجه عزمه الى افتتاح سجلماسة وانتزاعها من أيدي بنى عبد الواد المتغلبين عليها فنهض اليها في رجب سنة اثنتين وسبعين وستمائة هي جموع بنى مرين وقبائل المغرب من العرب والبربر ، ونازلها ونصب عليها آلات الحصار من المجانيق والعرادات وغير ذلك

قال ابن خلدون : « ونصب عليها هندام النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة امام النار الموقدة في البارود بطبيعة غريبة ترد الافعال الى قدرة يارئها » اه كلامه . قلت وفيه فائدة : أن البارود كان موجودا في ذلك التاريخ وأن الناس كانوا يقاتلون به ويستعملونه في محاصراتهم وحرورهم يومئذ وفيه رد لما نقله أبو زيد الفاسى في شرح منظومته الموضوعة في العمل الجارى بفاس قال : « كان حدوث البارود سنة ثمان وستين وسبعمائة حسبما ذكره بعضهم في تأليف له في الجهاد وأنه استخرجه حكيم كان يعمل الكيمياء ففرقع له فأعاده فأعجبه فاستخرج منه هذا البارود » اه وصرح الشيخ أبو عبد الله بنائى في حاشيته ، على مختصر الشيخ خليل بان حدوثه كان في وسط المائة الثامنة وهو غير صواب لما علمت من كلام ابن خلدون أنه كان موجودا قبل ذلك بنحو مائة سنة ويغلب على ظنى أن لفظ الستمائة تصحف بالسبعمائة فسرى الغلط من ذلك والله أعلم

وأقام السلطان يعقوب على حصار سجلماسة حولا كاملا وكان سفهاؤها يصعدون فوق الاسوار ويعلنون بالنسب والفحش الى أن هنك المنجنيق ذات يوم طائفة من سورها فدخلت من هنالك عنوة بالسيف وعاث الجند في أهلها * فقتلوا المقاتلة وسبوا الذرية وأتى القتل على عاملها عبد الملك ابن حنينة ومن كان بها من أشياخ بنى عبد الواد وعرب المنبات وكان فتحها آخر صفر وقيل يوم الجمعة ثالث ربيع الاول سنة ثلاث وسبعين وستمائة وكمل بفتحها للسلطان يعقوب فتح بلاد المغرب وتمشت طاعته في أقطاره فلم يبق فيه أهل حصن يدينون بغير دعوته ولا جماعة تتحيز الى غير فته



أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني في الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله



قد تقدم لنا ما كان للعدو الكافر على المسلمين في وقعة العقاب من الظهور والغلبة وأن تلك الوقعة كانت سبب ضعف المسلمين بالمغرب والاندلس واستيلاء العدو الكافر على جل ثغورها وحصونها ، ولما ضعف أمر الموحدين بالمغرب استبد السادة منهم بالاندلس وصاروا الى المنافسة فيما بينهم واستظهار بعضهم على بعض بالطاغية واسلام حصون المسلمين اليه في سبيل تلك الفتنة فمشت رجالات الاندلس بعضهم الى بعض وأجمعوا على اخراج الموحدين من أرضهم فثاروا بهم لوقت واحد وأخرجوهم وتولى كبر ذلك محمد بن يوسف بن هود الجذامي ثم من بعده محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر ونازع ابن هود الرياسة بالاندلس ، ولا تسأل عما ذهب في منازعتها من حصون المسلمين الكثيرة وبلادهم العديدة الشهيرة التي منها قرطبة واشيلية قاعدتا أرض الاندلس كان كل واحد من هذين الثائرين يتقرب الى الطاغية بما غلب

(*) الذي في الذخيرة السنينة صفحة ١٥٨ أن السلطان يعقوب أمن سائر اهلها وعفا عنهم ونظر في مصالحهم ورفع مظالمهم وأصلح احوالهم وبلادهم

عليه من ذلك ليعينه على صاحبه والامر لله وحده ، وانقرض أمر ابن هود عن أمد قريب واستمرت دولة ابن الاحمر في عقبه الى آخر المائة التاسعة ولما استتب أمر ابن الاحمر بالاندلس عقد السلم مع الطاغية على أن ينزل له عن جميع بسائط عرب الاندلس فنزل له عنها أجمع ولجأ بالمسلمين الى سيف البحر معتصمين بأوعاره ومنشبين بمعاقله وحصونه ، واختار ابن الاحمر لنزوله مدينة غرناطة واتخذها كرسى مملكته وابتنى بها لسكناء حصن الحمراء

وكان ابن الاحمر هذا يدعى بالشيخ وكان قد عهد الى ولده القائم من بعده محمد المعروف بالفقيه لانتحاله طلب العلم في صغره وأوصاه اذا نابه أمر من العدو أو وصل اليه مكروه أن يستنصر عليه بنى مرين ويدراً بهم في نحره ويجعلهم وقاية بين العدو وبين المسلمين ، فلما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس بادر محمد الفقيه الى العمل باشارة والده وأوفد (*) مشيخة الاندلس كافة على السلطان يعقوب رحمه الله فلقية وفدهم منصرفا من فتح سجلماسة فتبادروا للسلام عليه وألقوا اليه كنه الخبر عن كلب العدو على المسلمين وثقل وطأته فحيا وفدهم واستبشر بمقدمهم وبادر لاجابة داعي الله واشار الجنة وكان السلطان يعقوب رحمه الله منذ أول أمره موثرا عمل الجهاد كلفابه مختارا له لو أعطى الخيار على سائر أعماله حتى لقد كان اعترم على الغزو الى الاندلس أيام أخيه الامير أبى بكر وطلب اذنه في ذلك فلم يأذن له فكان في نفسه من ذلك شغل وله اليه صاغية ، فلما قدم عليه هذا الوفد نبهوا عزيمته وايقظوا همته فأعمل في الاحتشاد وبعث في النفير ونهض من فاس في شوال سنة ثلاث وسبعين وستمائة فوصل الى طنجة وأقام هناك وجهاز خمسة آلاف من قومه أزاح عنهم وأجزل أعطياتهم وعقد عليهم لابنه أبى زيان وأعطاه الراية واستدعى من العزفي صاحب سبته السفن لاجازتهم فوافاه بقصر المجاز منه

(*) راجع نص الكتاب الذي جاء به مشيخة الاندلس من ابن الاحمر إلى السلطان يعقوب يستنهضه فيه للجهاد في كتاب الذخيرة السنوية صفحة ١٥٩ طبع الجزائر .

وراجع ايضا جواب السلطان يعقوب على كتاب ابن الاحمر في الذخيرة السنوية ايضا صفحة ١٦٢ .

عشرون أسطولاً فأجاز العسكر المذكور ونزل بطريف في السادس عشر من ذي القعدة من السنة المذكورة فأراح الأمير أبو زيان بطريف ثلاثاً، ثم دخل دار الحرب وتوغل فيها وأجلب على ثغورها وبسائطها وامتلات أيديهم من المغنم وأثخنوا بالقتل والأسر وتخريب العمران ونسف الآثار حتى نزل بساحة شريش فخام حاميتها عن اللقاء وتحصنوا بالأسوار وقفل الأمير أبو زيان إلى الجزيرة الخضراء وقد امتلات أيدي عسكره من الأموال وحقائبهم من السبي وركائبهم من السلاح والآنث ورأى أهل الأندلس أن قد تأروا بعام العقاب بعد أن لم تنصر لهم راية من ذلك اليوم إلى الآن والله غالب على أمره .



الجواز الأول للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



ثم اتصل الخبر بالسلطان يعقوب رحمه الله أن العدو قد أخذ في الاستعداد وعزم على الخروج إلى بلاد المسلمين فاعتزم على الغزو بنفسه ، وخشى على ثغور بلاده من عادية يغمراسن صاحب تلمسان فبعث حافده تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب في وفد من بني مرين لعقد السلم مع يغمراسن والرجوع للاتفاق والموادة ووضع أوزار الحرب بين المسلمين للقيام بوظيفة الجهاد فأكرم موصله وموصل قومه ، وبادر إلى الإجابة والالفة وأوفد مشيخة بني عبد الواد على السلطان يعقوب لعقد السلم وبعث معهم الرسل وأسنى الهدية وجمع الله كلمة الإسلام وعظم موقع هذه السلم من السلطان يعقوب لما كان في نفسه من الميل إلى الجهاد وإيثار مبرورات الأعمال ، فبث الصدقات شكراً لله تعالى على ما منحه من التفرغ لذلك ، ثم استنفر الكافة واحتشد القبائل والجموع ودعا المسلمين إلى جهاد عدوهم وخاطب في ذلك سائر أهل المغرب من زناتة والعرب والموحدين والمصامدة وصنهاجة وغمارة وأوربة ومكناسة وجميع قبائل البربر من المرتزقة والمتطوعة وأهاب بهم وشرع في عبور البحر فأجازهم من فرضة قصر المجاز في صفر سنة أربع وسبعين وستمائة واحتل بساحل طريف

وكان السلطان يعقوب حين استصرخه ابن الاحمر وأوفد عليه مشايخ الاندلس
اشترط عليه السلطان يعقوب النزول عن بعض النغور بساحل افرضه لاحتلال
عساكره بها فنجأ في له عن رندة وطريف

ولما أحس الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة باجازة السلطان يعقوب قدم اليه
الوفد من أهل مالقة بيعتهم وصريخهم وكان أبو محمد بن اشقيلولة وأخوه أبو
اسحق من أصهار ابن الاحمر وكانا مستولين على مالقة ووادي آش وقمارش
ووقعت بينهما وبين ابن الاحمر منافسة فخرجا عن طاعته ، ولما عبر السلطان
يعقوب الى الاندلس بادر أبو محمد بن اشقيلولة اليه واتصل به وأمضه الود
والنصح وسابق ابن الاحمر في ذلك ونازعه في برور مقدمه والاذعان له وربما
صدرت من ابن اشقيلولة في حق ابن الاحمر جفوة بمحضر السلطان يعقوب
أدت الى بعض الفساد وانصرف ابن الاحمر مغاضبا للسلطان من أجل ذلك

ولما احتل السلطان بناحية طريف ملات كتائبه ساحة الارض ما بينها وبين
الجزيرة الخضراء ، ثم نهض الى العدو قبل أن يسبق اليهم الخبر فدخل دار
الحرب وانتهى الى الوادي الكبير فعقد هنالك لولده الامير يوسف على خمسة
آلاف من عساكره قدمها بين يديه ثم تبعه على أثره وسرح كتائبه في البسائط
وخلال المعامل تنسف الزروع وتحطم الغروس وتخرب العمران وتنتهب
الاموال وتكنسح السرح وتقتل المقاتلة وتسبى النساء والذرية حتى انتهى الى
حصن المدور وبياسة وأبدة واقتحم حصن بلمة عنوة ، وأنى على سائر الحصون
في طريقه فطمس معالمها واكتسح أموالها

وقفل السلطان يعقوب رحمه الله والارض تموج سيبا الى أن عرس
باستجة من تخوم دار الحرب وجاءه النذير باتباع العدو آثاره لاستنقاد أسراه
واسترجاع أمواله وأن زعيم الفرنج وعظيمهم نونه خرج في طلبهم في أمم
للصراية من المحتلم الى الشيخ فقدم السلطان الغنائم بين يديه وسرح ألفا
من الفرسان أمامها وسار يقتفيها من خلفها حتى اذا أطلت رايات العدو من
ورائهم كان الزحف ورتب المصاف وجرّد السيف وذكر اسم الله وراجعت
زناتة بصائرهما وعزائمهما وتحركت هممها وأبلى في طاعة ربها والذب عن دينها

وجاءت بما يعرف من بأسها وبلائها في مقاماتها ومواقفها فلم يكن الا كالا ولاحتي هبت ريح النصر وظهر أمر الله وانكشفت جموع النصرانية وقتل الزعيم نونه وكان هذا اللعين زعيم النصرانية بالاندلس قد قدمه الفئس على جيوشه واستعمله على حروبه وفوض له في جميع أموره وكان النصارى قد سعدوا بطائره وتيمنوا بنقيته لانه لم تهزم له قط راية وكان وبالا على بلاد الاسلام كثير الغارات عليها حتى جمع الله بينه وبين السلطان يعقوب فأراحه من تعب الحرب وكد الغارات وألحقه بأمة الهاوية ، ومنح المسلمين رقاب الفرنج واستحر فيهم القتل حتى بلغت قتلاهم عدد الالوف وجمعوا من رؤوسهم ما آذن أذنوا عليها لصلاتي الظهر والعصر ، واستشهد من المسلمين ما يناهز الثلاثين (*) أكرمهم الله تعالى بالشهادة وآثرهم بما عنده ونصر الله حزبه وأعز أوليائه وأظهر دينه ، وبدا للعدو ما لم يكن يحتسبه بمحاربة هذه العصاة عن الملة وقيامها بنصر الكلمة وبعث السلطان يعقوب رحمه الله برأس الزعيم نونه الى ابن الاحمر فيقال انه بعثه سرا الى قومه بعد أن طيبه وأكرمه ولاية أخلصها لهم ، ومدارة وانحرافا عن السلطان يعقوب ظهرت شواهد ذلك عليه بعد حين

واعلم أن هذا الزعيم يسميه كثير من المؤرخين دون نونه ولفظة دون معناها في لسانهم السيد أو العظيم أو ما أشبه ذلك فلذا أسقطناها وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه الى الجزيرة الخضراء منتصف ربيع من السنة المذكورة فقسم في المجاهدين الغنائم وما نفلوه من أموال عدوهم وسباياهم واسراهم وكراهم بعد الاستئثار بالخمس لبيت المال على موجب الكتاب والسنة ليصرفه في مصارفه ، ويقال كان مبلغ الغنائم في هذه الغزاة مائة ألف من البقر وأربعة وعشرين ألفا من السبي ومن الاسارى سبعة آلاف وثمانمائة وثلاثون ومن الكراع أربعة عشر ألفا وستمائة ، وأما الغنم فأتسعت عن الحصر كثر حتى لقد زعموا أنه قد بيعت الشاة الواحدة بدرهم وكذلك السلاح

وأقام السلطان يعقوب بالجزيرة أياما ثم نهض في جمادى الاولى من

(*) ذكر في الذخيرة السنوية أن عددهم أربعة وعشرون صفحة ١٧٣ طبع الجزائر .

السنة المذكورة غازيا اشيلية فجاس خلالها وتقرى نواحيها وأقطارها واثخن بالقل والنهب في جهاتها وعاث في عمرانها وأوغل في مسيره حتى وقف على بابها وزعقت طبوله في جوها وخفقت ألويته على جنباتها ولجأت الفرنج الى الاسوار واعتمدوا على الحصار ولم يخرج اليه منهم أحد ، ثم ارتحل الى تريس فأذاقها من وبال العيث والاكساح مثل ذلك أو أكثر ورجع الى الجزيرة لسهرين من غزاته فبيعت الفرنجية من سبيه بها بمئقال ونصف لكثرة السبي حينئذ (*)

ودخل فصل الشتاء فنظر السلطان يعقوب في اختطاط مدينة بفرضة المجاز من العدو لنزول عسكره متبذبا عن الرعية لما يلحقهم من ضرر العسكر وجفائهم وتخير لها مكانا ملاصقا للجزيرة فأوعز ببناء المدينة المشهورة بالبنية ، ثم أجاز البحر الى المغرب في رجب من سنته أعنى سنة أربع وسبعين وستمائة فكان مغيه وراء البحر ستة أشهر واحتل بقصر مصمودة وأمر ببناء السور على بادس مرفأ السفن ومحل العبور من بلاد غمارة ثم رحل الى فاس فدخلها في النصف من شعبان من السنة المذكورة



فتح جبل تينملل ونبش قبور بنى عبد المؤمن على يد المليانى عفا الله عنه



قد تقدم لنا أن جبل تينملل كان حصنا للموحدين وملجأ لهم اذا نابهم مكروه وكان مسجده مزارا عظيما لهم لانه مدفن امامهم وملحد خلفائهم فكانوا بعكفون عليه ويلتمسون بركة زيارته ويقدمون ذلك بين يدي غزواتهم قربة يتقربون بها الى الله تعالى ، ولما استولى السلطان يعقوب على مراکش فر من كان بها من الموحدين الى الجبل المذكور واعتصموا به وبايعوا اسحق أخا المرتضى

(*) ذكر في الذخيرة السنية أن السلطان يعقوب كتب بهذا الفتح لبلاد العدو وقرئ كتابه على المنابر و كذلك كتب الفقيه أبو القاسم العزفي رسالة إلى فقهاء المغرب وصلاحاته بشرح هذه الغزاة فانظرها هناك صفحة ١٧٥ طبع الجزائر .

وأملوا منه رجوع الكرة وادالة الدولة واستمر الحال على ذلك الى هذه السنة فنهض عامل مراکش من قبل السلطان يعقوب وهو محمد بن علي بن محلي أحد خوئلته ونازل الجبل المذكور وحاصره مدة ثم افتحمه عنوة وافتض عذرتة وفك ختامه وتقبض على خليفة الموحدين اسحق وابن عمه السيد أبي سعيد بن أبي الربيع ومن معهما من الاولياء وجنبا الى مصارعهم باب الشريعة من مراکش فضربت أعناقهم وصلبت أشلاؤهم وكان فيمن قتل منهم الكاتب القبائلي وأولاده

وعانت عساكر بني مرين في جبل تينملل واكنسحوا أمواله ونبشوا قبور خلفاء بني عبد المومن واستخرجوا أشلاءهم وكان فيها شلو يوسف بن عبد المومن وابنه يعقوب المنصور فقطعت رؤوسهم وتولى كبر ذلك أبو علي بن أحمد الملياني ، كان أبو علي هذا ثار على الحفصيين بمدينة مليانة فجهزوا اليه عساكرهم وأجهضوه عنها ففر الى السلطان يعقوب فقبله وآواه وأقطعه بلد أعامت اكراما له ، فحضر هذه الواقعة في جملة العسكر وارتكب هذا الفعل الشنيع ورأى أنه قد شفى نفسه باستخراج هؤلاء الخلائق من أرماسهم والعبت بأشلائهم وقد انكر الناس عامة والسلطان يعقوب خاصة هذه الفعلة منه ولم يرضوها ومع ذلك فقد تجاوزله السلطان يعقوب عنها تأنيسا لغربته ورعا لجواره ولما توفى السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف سعى اليه فى الملياني هذا فكبّه على ما نذكره ان شاء الله

ولما وصل السلطان يعقوب من غزوته الى فاس انتقض عليه طلحة بن محلي أحد أخواله وتمنع بجبل آصروا من بلاد فازاز فسار اليه السلطان يعقوب وحاصره به فأتاب الى الطاعة ونزل على الامان(*) وذلك فى منتصف رمضان سنة أربع وسبعين وستمائة وفى ثانى يوم من شوال من هذه السنة ثارت العامة باليهود بفاس بسبب حدث أحدثوه فقتلوا منهم أربعة عشر يهوديا ولولا أن السلطان ركب بنفسه ورد العامة عنهم لكانت اياها .

* وطلب من السلطان أن يبيح له التوجه إلى المشرق وأداء فريضة الحج وأسغفه ووصله بمال جليل وخيل عتاق وما يحتاج إليه . الذخيرة السنوية صفحة ١٨٦ طبع الجزائر

بناء المدينة البيضاء المسماة اليوم بفاس الجديد



لما فتح جبل تينملل ومحيت منه بقية آل عبد المومن وتمهد ملك المغرب للسلطان يعقوب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأى أن يحتط بلدا ينسب اليه ويتميز بسكناه وينزل فيه بحاشيته وأولياؤه الحاملين لسرير ملكه، فأمر ببناء المدينة البيضاء ملاصقة لمدينة فاس على ضفة واديها المخترق لها من جهة أعلاه وشرع في تأسيسها ثالث شوال من سنة أربع وسبعين وستمائة ، وركب السلطان بنفسه فوقف عليها حتى خطت مساحتها وأسست جدرانها وجمع الأيدي عليها وحشر الصناع والعملة لبنائها وأحضر لها أهل النجامة والمعدلين لحركات الكواكب فاختروا لها من الطوالح ما يرضون أثره ويحمدون سيره وأسست فيه وكان في أولئك المعدلين امامان شهيران أبو الحسن بن القطان * وأبو عبد الله ابن الحباك المقدمان في الصناعة فكمل تشييد هذه المدينة على ما رسم رحمه الله وكما رضى ، ونزلها بحاشيته وذويه سنة أربع وسبعين المذكورة ، واخطت الناس بها الدور والمنازل وأجريت فيها المياه الى القصور ، وكانت من أعظم آثار هذه الدولة وأبقاها على الايام

قال ابن أبي زرع : ومن سعادة طالعتها أنه لا يموت فيها خليفة ولم يخرج منها لواء قط الا كان منصورا ولا جيش الا كان ظافرا
ثم أمر رحمه الله ببناء قسبة مكناسة فشرع في بنائها وبناء جامعها في السنة المذكورة ثم استوزر صنيعنه أبا سالم فتح الله السدراتى وأجرى له رزق الوزارة على عادتهم

ثم كافأ يغمراسن بن زيان على هديته التي كان بعث بها اليه قبل اجازته الى الاندلس فبعث اليه فسطاطا زائقا كان صنع له بمراكش وثلاثين من البغال الفارهة ذكرانا واناثا وغير ذلك مما يباهى به ملوك المغرب
وفي سنة خمس وسبعين وستمائة أهدى اليه الامير محمد بن عبد القوى

(*) في الذخيرة السنية بدل ابن القطان أبو الربيع سليمان الغياش صفحة ١٨٧ طبع الجزائر

التوجيني صاحب جبل وانشريس أربعة من الجياد انتقاها من خيل المغرب
كافة ورأى أنها على قلة عددها أحفل هدية وفي نفسه أثناء هذا كله من أمر
الجهاد شغل شاغل يتخطى اليه سائر أعماله حسبما نذكره ان شاء الله



الجواز الثاني للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما قفل السلطان يعقوب من غزوته الأولى واستنزل الخوارج وثقـف
الثغور وهادى الملوك واخطت المدينة البيضاء لنزوله كما ذكرنا ، خرج فاتح
سنة خمس وسبعين وستمائة الى جهة مراكش لسد ثغورها وتثقيف أطرافها
وتوغل في أرض السوس وبعث وزيره فتح الله السدراتي في العساكر
فجاس خلالها ثم انكفأ راجعا وهناك خاطب السلطان يعقوب رحمه الله قبائل
المغرب كافة بالنفير الى الجهاد فتأقلوا عليه فلم يزل يحرضهم وهم يسوفون
الى أن دخلت سنة ست وسبعين بعدها ، ولما رأى تناقل الناس عليه نهض الى
رباط الفتح وتلوم به أياما في انتظار الغزاة فأبطأوا عليه فخف في خاصته
وتقدم في حاشيته حتى انتهى الى فصر انجاز ، وقد تلاحق به الناس من كل
جهة لما رأوا من عزمه وتصميمه فأجاز بهم البحر واحتل بطريف آخر
محرم من السنة المذكورة ، ثم ارتحل الى الجزيرة الخضراء ثم الى رندة ،
فوفاه بها الرئيسان أبو محمد عبد الله بن أبي الحسن علي بن اشقيلولة
صاحب مالقة وأخوه أبو اسحق ابراهيم بن أبي الحسن برسم الجهاد معه
ثم ارتحل السلطان من رندة فاتح ربيع الاول من السنة المذكورة حتى
اتتهى الى اشيلية فعرس عليها يوم المولد النبوي وكان بها يومئذ ملك
الجلالقة ابن اذفونش فلم يجد بدا من الخروج اليه بعد أن خام عن اللقاء
أولا فبرز في جموعه وصفها على ضفة الوادي الكبير من ناحية السلطان
وأظهر من أبهة الحرب ما قدر عليه فكانت جيوشه كلها في الدروع السوابغ
والبيض اللوامع والسيوف البواتر وغير ذلك من آلات الحرب التي يكاد

شعاعها يدهش البصر وزحف اليه السلطان يعقوب رحمه الله بعد أن صلى ركعتين ودعا الله تعالى ووعظ الناس وذكرهم فرتب مصافه وجعل ولده الامير يوسف في المقدمة وزحف على التعية فاقتتلوا مليا ، ثم انهزمت الفرنج فسافط بعضهم في الوادي وانحدر آخرون مع ضفته وتصاعد آخرون كذلك واقفح المسلمون عليهم وسط الماء وقتلوهم في لجة حتى صار الماء أحمر وطفت جيفهم من الغد عليه فكان فيهم عبرة لمن اعتبر ، وبات السلطان والمسلمون تلك الليلة على صهوات خيولهم يقتلون ويأسرون وأضرموا النيران بساحة اشيلية حتى صار الليل نهارا وباتت الفرنج على الاسوار ينفخون في القرون ويخرسون طول ليلتهم

ثم ارتحل السلطان من الغدالى جبل الشرف وبث السرايا في نواحيه فلم يزل يتقرى تلك الجهات حتى أباد عمرانها وطمس معالمها ودخل حصن قطينانة وحصن جليانة وحصن القليعة عنوة وأثنخ في القتل والسبى ثم ارتحل بالغنائم والاثقال الى الجزيرة الخضراء فدخلها في الثامن والعشرين من ربيع الاول المذكور فأراح بها وقسم الغنائم في المجاهدين ثم خرج غازيا مدينة شريش منتصف ربيع الاخر فنازلها وأذاقها نكال الحرب ووبال الحصار وقطع الزياتين والاعناب وسائر الاشجار وأباد خضراءها وحرق ديارها وأثنخ فيها بالقتل والاسر وكان السلطان يعقوب يباشر قطع الشجر والثمر بيده وسرح ولده الامير يوسف من معسكره في سرية للغارة على اشيلية وحصون النوادي الكبير فبالغ في النكاية واكتسح حصن روطة وشلوقة وجليانة والقناطر ثم صبح اشيلية فاكتسحها وانكفأ راجعا بالمغانم والسبى الى السلطان يعقوب فسر بمقدمه وقفلوا جميعا الى الجزيرة الخضراء فأراح السلطان بها أياما وقسم في المجاهدين غنائمهم ثم جمع أشياخ القبائل وندبهم الى غزو قرطبة وقال : « يامعشر المجاهدين ان اشيلية وشريش وأحوازهما قد ضعفت وبادت ولم يبق لكم بها كبير نفع ولا نكاية وان قرطبة وأعمالها بلاد حصينة عامرة وعليها اعتماد الفرنج ومنها معاشهم وما دتتم فان غزوتموها واستأصلتم خضراءها مثل ما فعلتم باشيلية وشريش كان ذلك سبب ضعف النصرانية

بهذا القطر « فأجابوا بالسمع والطاعة فدعا لهم وفرق فيهم الاموال والخلع
 وخاطب ابن الاحمر يستنفره للجهاد معه وقال : « ان خروجك معي الى قرطبة
 يكون لك مهابة في قلوب الفرنج ما عشت سوى ما تستوجه من الله تعالى
 من الثواب في ذلك »

ونهب السلطان الى قرطبة فاتح جمادى الاولى من سنة ست وسبعين
 المذكورة فوافاه ابن الاحمر بناحية شدونة فاكرم موصله وشكر خوفه الى
 الجهاد وباداره اليه ونازلوا حصن بنى بشير فدخلوه عنوة وقتل المقاتلة
 وسييت النساء ونفلت الاموال وهدم الحصن حتى لم يبق له اثر ثم بيث
 السلطان رحمه الله سرايا والغارات في البساط. فاكسحها وامتلات الايدي
 وأثرى العسكر وفاض عليهم من الغنم والبقر والمعز والخيل والبغال والحمير
 والقمح والشعير والزيت والعسل ما لا يوصف ثم ساروا يتقرون المنازل
 وال عمران في طريقهم حتى احتلوا بساحة قرطبة فنازلوها وخفقت ألوية
 السلطان في نواحيها وزعقت طبوله في فضائها وتقدم في أبطاله وحماته حتى
 وقف على بابها ثم دار بأسوارها ينظر كيف الحيلة في قتالها ووقف ابن
 الاحمر بعساكر الاندلس أمام محاة المسلمين يحرسونها خوفا من كبرة العدو
 وخنس الفرنج وراء الاسوار وانبت بعوث المسلمين وسراياهم في نواحي
 قرطبة وقراها ، فسفوا آثارها وخرّبوا عمرانها وترددوا على جهاتها
 يدخلوا حصن الزهراء بالسيف وأقام السلطان على
 قرطبة ثلاثا ثم ارتحل عنها الى حصن بركونة فدخله عنوة ثم ارجونه كذلك
 ثم قدم بعثا الى مدينة جيان فقاسمها حظها من الخسف والدمار ، وخام
 لطاغية عن اللقاء وأيقن بخراب عمرانها واتلاف بلاده فجنح الى السلم وخطبه
 بن السلطان يعقوب ورغب فيه اليه وبعث الاقسة والرهبان للوساطة في ذلك
 رفعم السلطان يعقوب الى ابن الاحمر وجعل الامر في ذلك
 له تكربة لمشهده ووفاء بحقه وقال لوفد الفرنج : « انما أنا ضيف والضيف
 يصلح على رب المنزل » فساروا الى ابن الاحمر وقالوا له : « ان السلطان يعقوب
 رد الامر اليك ونحن قد جئناك لنعقد معك صلحا مؤبدا لا يعقبه غدر ولا

حرب « وأقسموا له بصلبانهم ان لم يرضه الفئس ليخلعنه لانه لم ينصر الصليب ولا حمى الحوزة فأجابهم ابن الاحمر اليه بعد عرضه على أمير المسلمين واتماس اذنه فيه لما فيه من المصلحة وجنوح أهل الاندلس اليه منذ الممد الطويلة فاتفق السلم في آخر شهر رمضان من السنة المذكورة وقفل السلطان يعقوب من غزاته هذه وجعل طريقه على غرناطة احتفاء بالسلطان ابن الاحمر وخرج له عن الفنائم كلها فاحتوى عليها ابن الاحمر وساقها الى غرناطة وقال له السلطان يعقوب: « يكون حظ بنى مرين من هذه الغزاة الاجر والثواب مثل ما فعل يوسف ابن تاشفين رحمه الله مع أهل الاندلس يوم الزلاقة »

ولما قفل السلطان يعقوب من هذه الغزوة اعتل الرئيس أبو محمد بن اشقيلولة ثم هلك غرة جمادى من السنة المذكورة فلحق ابنه محمد بالسلطان يعقوب آخر شهر رمضان وهو متلوم بالجزيرة الخضراء منصرفه من الغزو كما ذكرناه فنزل له عن مالقة ودعاه الى حوزها منه وقال له : « ان لم تحزها أعطيتها للفرنيج ولا يملكها ابن الاحمر » فحازها السلطان يعقوب منه وعقد عليها لابنه أبي زيان منديل بن يعقوب فسار اليها وتملكها ، وعز ذلك على ابن الاحمر غاية لانه لما بلغه وفاة أبي محمد بن اشقيلولة سما أمه اليها وأن ابن أخته وهو محمد الوافد على السلطان يعقوب شيعة له لا يبغي به بدلا فأخطأ ظنه وخرج الامر بخلاف ما كان يرتقب ، ولما قضى السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء صومه ونسكه خرج الى مالقة فدخلها سادس شوال من السنة وبرز اليه أهلها في يوم مشهود واحتفلوا له احتفال أيام الزينة سرورا بمقدم السلطان واغتباطا بدخولهم في دعوته وانخراطهم في سلك رعيته ، وأقام فيهم الى خاتم سنته ثم عقد عليها لعمر بن يحيى بن محلي من صنائع دولتهم ، وأنزل معه المسالح وترك عنده زيان بن أبي عياد بن عبد الحق في طائفة نظره من أبطال بنى مرين ، واستوصاه بمحمد بن اشقيلولة وارتحل الى الجزيرة الخضراء ، ثم أجاز منها الى المغرب فاتح سنة سبع وسبعين وستمائة وقد اهتزت الدنيا لمقدمه وامتلأت القلوب سرورا بما هياه الله من نصر المسلمين بالاندلس وعلو راية الاسلام على كل راية وعظمت بذلك كله موجدة ابن الاحمر ونشأت الفتنة كما نذكره ان شاء الله

حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك من حصار الجزيرة الخضراء وغير ذلك



قد تقدم لنا أن بنو اشقيلولة كانوا أصحابا لابن الاحمر وأنهم لما قدموا على السلطان يعقوب بالجزيرة الخضراء فى جوازه الاول صدرت من ابن اشقيلولة كلمات أحفظت ابن الاحمر وغازته فذهب لاجلها مغاضبا وانحرف عن السلطان يعقوب ولم يشهد معه الغزو ولا عرج على الجهاد ، ولما نصر الله السلطان يعقوب على عدوه وقتل العليج وبعث برأسه الى ابن الاحمر طيه وبعثه الى قومه انحرافا عن السلطان وموالاة للعدو ، ولما جاز السلطان يعقوب الجواز الثانى انقبض عنه ابن الاحمر ولم يلقه حتى خاطبه السلطان واستنفره الى الجهاد فلحقه بشدونة كما مر ، ولما صنع الله للسلطان ما صنع من الظهور والعز الذى لا كفاء له واستولى على مالقة من يد ابن اشقيلولة ارتاب ابن الاحمر بمكانه وظن به الظنون وتخوف منه ما كان من يوسف بن تاشفين للمعتمد بن عباد وغيره من ملوك الطوائف ففص بمكانه وأظلم الجو بينهما ودارت بينهما مخاطبات شعرية على السنة الكتاب فى معنى العتاب ولم تزل القوارص بين السلطانيين تجرى وعقارب السعاية تدب وتسرى وخوف ابن الاحمر على ملكه يشتد ويؤيد وأوامر الاخوة الاسلامية تتلاشى وتبيد الى أن استحكمت البغضاء وضاق بينهما رحب الفضاء ففرع ابن الاحمر الى مداخلة الطاغية فى شأنه واتصال يده بيده وجبله بجبله وأن يعود الى منزلة أبيه معه من ولايته ليدافع به السلطان يعقوب وقومه عن أرضه ويأمن معه من زوال سلطانه فاعتصم الطاغية هذه الفرصة ونكث عهد السلطان يعقوب ونقض السلم وأعلن بالحرب وأغزا أساطيله الجزيرة الخضراء حيث كانت مسالحة السلطان يعقوب وجنوده وأرست بالزقاق حيث فراض المجاز وانقطعت عساكر السلطان وراء البحر وحال العدو بينهم وبين اغاثته اياهم واتصلت يد ابن الاحمر بيد الطاغية واتفقا على منع السلطان يعقوب من عبور البحر وداخل

﴿ الاستقصا - ثالث - 4 ﴾

ابن الاحمر عمر ابن يحيى بن محلى صاحب مالقة فى النزول له عنها بعوض فتعل واستولى ابن الاحمر عليها ثم راسل هو والطاغية يغمراسن بن زيان من وراء البحر وراسلهم هو فى مشاققة السلطان وافساد ثغوره وانزال العوائق المانعة له من حركه والاخذ بأذياله عن النهوض الى الغزو وأسنوا فيما بينهما الهدايا والتحف وجنب يغمراسن الى ابن الاحمر ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف ، وبعث اليه ابن الاحمر مكافأة على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يرض بالمال ورده وأصفت آراؤهم جميعا على السلطان يعقوب ورأوا أن قد أبلغوا فى احكام أمرهم وسد مذاهبه اليهم .

واتصل خبر هذا كله بالسلطان وهو بمراكش كان خرج اليها مرجعه من الغزو فى المحرم سنة سبع وسبعين وستمائة لما كان من عيث عرب جشم بتامسنا وافسادهم السابلية ، فتقف أطرافها وحسم مادة فسادها ، ثم اتصل به خبر ابن محلى ونزوله عن مالقة لابن الاحمر ومنازلة الطاغية باساطيله للجزيرة الخضراء وتضييقه على المسلمين بها ، فبلغ ذلك منه كل مبلغ ونهض من مراكش ثالث شوال من السنة يريد طنجة فوصل الى قرية مكول من بلاد تامسنا فتوالت عليه بها الامطار والسيول وعاقته عن النهوض ، وبينما هو فى ذلك ورد عليه الخبر أيضا بنزول الطاغية على الجزيرة الخضراء برا واحاطة عسكره بها بعد أن كانت أساطيله منازلها فى البحر منذ ستة أشهر أو سبعة وانه مشرف على التهامها وبعثوا اليه يستصرخونه ويخبرونه بالحال فاعتزم على الرحيل .

ثم اتصل به الخبر ثالثا بخروج مسعود بن كانون السفينانى ببلاد نفيس من أرض المصامدة خامس ذى القعدة من السنة وان الناس اجتمعوا اليه من قومه وغيرهم ، فانخرقت على السلطان الفتوق وتوالت عليه الخطوب ولم يدر ما يصنع ، الا أنه رأى أن يقدم أمر ابن كانون والعرب فكر راجعا اليه وقدم بين يديه حافده تاشفين بن أبى مالك ووزيره يحيى بن حازم العلوى وجاء هو على ساقتهم ، وفر مسعود بن كانون وجموعه أمام السلطان فانتهب معسكرهم وحللهم واستباح عرب الحارث من سفيان ، ولحق مسعود بجبل

سكسيوة فاعتصم به وشايح عبد الواحد السكسيوى القائم به على خلافه ، ونازله السلطان يعقوب بعساكره أياها وسرح ابنه الامير أبا زيان مندبل الى بلاد السوس لتمهيدها وتدوينخ أقطارها فأوغل فى ديارها وقفل الى أبيه فى آخر يوم من السنة المذكورة .

واتصل بالسلطان ما تضاغف على أهل الجزيرة من ضيق الحصار وشدة القتال واعواز الاقوات ، وانهم ختنوا الاصغر من أولادهم خشية عليهم من معرفة الكفر فاهمه ذلك .

وكان أقسم أن لا يرتحل عن ابن كانون حتى ينزل على حكمه أو يهلك دون ذلك فاعمل النظر فيما يكون به خلاص أهل الجزيرة فعقد لولى عهده ابنه الامير يوسف ، وكان بمراكش على الغزو اليها وكان أهل الجزيرة كما قلنا قد أحاط بهم العدو برا وبحرا وانقطعت عنهم المواد وعميت عليهم الانباء الا ما يأتيهم به الحمام من جبل طارق ، وفنى أكثرهم بالقتل والجوع وسهر الليل على الاسوار وشدة الحصار حتى أشرف بقتيتهم على الهلاك وأيسوا من الحياة ، فحينئذ جمعوا صبيانهم وختنوهم كما مر وبينما هم على ذلك قدم الامير يوسف بجيوشه الى طنجة وكان قدومه فى اوائل صفر من سنة ثمان وسبعين وستمائة

وكان السلطان يعقوب لما بعث ابنه الامير يوسف الى طنجة قد كتب الى الثغور باعداد الاساطيل وعمارتها وتوجيهها اليه وقسم الاعطاءات وحض الناس على النهوض فتوفرت همم المسلمين على الجهاد وأجابوا من كل ناحية ، وأبلى الفقيه أبو حاتم العزفى صاحب سبته لما بلغه الخطاب من السلطان فى شأن الاساطيل البلاء الحسن ، وقام فيه المقام المحمود ، فهيا خمسة وأربعين أسطولا واستنفر كافة أهل بلده من المحتلم الى الشيخ فركبوا البحر أجمعون ولم يبق بسبته الا النساء والشيوخ والصبيان ، ورأى ابن الاحمر ما نزل بأهل الجزيرة واشراف الطاغية على أخذها فقدم على ممالاته لياه وأعد أساطيل سواحله من المنكب والمرية ومالقة فكانت اثنى عشر اسطولا

فبعثها مددا للمسلمين ، وقدم من بادس وسلا وآنفى خمسة عشر
فنهض في الوقت اثنان وسبعون أسطولا واجتمعت كلها بمرفا سبتة
أخذت بطرفي الزقاق في أحفل زى وأكمل استعداد ثم تقدمت
ليراها الامير يوسف فشاهدها وسر بها وعقد لهم رايته مع جماعة
نى مرين رغبوا في الجهاد .

ثم أقلعت الاساطيل عن طنجة ثامن ربيع الاول سنة ثمان
وستمائة وانتشرت قلوبهم في البحر فأجازوه وباتوا ليلة المولد ا
بمرفا جبل الفتح وصبحوا العدو وأساطيله يومئذ تناهز أربعمائة ف
المسلمون في دروعهم وأسبغوا من شكتهم وأخلصو
عزائمهم وتنادوا بالجنة وشعارها ووعظ خطبائهم وذكر صلحاؤهم
القتال ونزل الصبر فلم يكن الا كلا ولا حتى نضحوا العدو بالنبل
أفروطتهم واحتل مصافهم وانكشفوا وتساقطوا في عباب البحر ، فاد
السيف وغشيهم اليم واستولى المسلمون على أساطيلهم فملكوها
قائدها المنند في جماعة من حاشيته ، واستمر مثقفا بفاس حتى فر بعد
وسر المسلمون الذين بداخل الجزيرة بفساد أفروطة العدو وهلاكهم
ولما رأى عسكر الطاغية الذي في البر ما أطاب أهل البحر منهم من القتل
داخلهم الرعب وخافوا من هجوم الامير يوسف عليهم اذ كان مقيم
طنجة مستعدا للعبور فقوضوا أبنيتهم وأفرجوا عن البلد لحينهم وات
المسلمون والنساء والصبيان بساحة البلد كأنما نشروا من قبر وغلبت
كثيرا من عسكر العدو على متاعهم فغنموا من الخنطة والادام والفواكا
أسواق البلد أياما حتى وصلتها الميرة من النواحي

وأجاز الامير يوسف البحر من حينه فاحتل بساحل الجزيرة و
العدو في كل ناحية لكنه صده عن الغزو شأن الفتنة مع ابن الاحمر
أن يعقد مع الطاغية سلما ويصل يده بيده لمنازلة غرناطة دار ابن ا
فأجابه الطاغية الى ذلك رهبة من بأسه وموجدة على ابن الاحمر في ما

الجزيرة وبعث أساقفته لعقد ذلك واحكامه فأجازهم الامير يوسف الى أبيه وهو بناحية مراكش فغضب لها وأنكر عنى ابنه وزوى عنه وجهه رضاه ، وأقسم أن لا يرى أسقفا منهم الا أن يراه بارضه ورجعهم الى طانينهم مخفقى السعى كاسفى البال

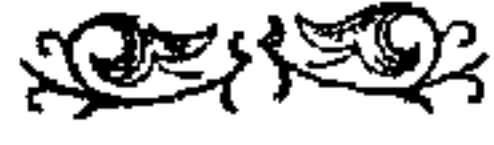
ووصلت فى هذه السنة هدية السلطان أبى زكرياء يحيى الوثائق الحفصى مع أبى العباس الغمارى حسبما مرت الاشارة اليه قبل هذا

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله رجع الى فاس وبعث خطابه الى الافاق مستنفرًا للجهاد وفصل عنها غرة رجب من سنة ثمان وسبعين وستمائة حتى انتهى الى طنجة وعان ما اختل من أحوال المسلمين فى تلك الفترة وماجرت اليه فتنة ابن الاحمر من اعتزاز الطاغية وما حدثته نفسه من التهام الجزيرة الاندلسية ، ومن فيها وكان قد أمر أمره فى هذه المدة وظاهره أعداء ابن الاحمر من بنى اشقيلولة وغيرهم عليه حتى حاصروا غرناطة ومرج أمر الاندلس ونقلت أطرافها وأشفق السلطان يعقوب رحمه الله على المسلمين الذين بها وعلى ابن الاحمر مما ناله من خسف الطاغية فراسله فى المواعدة واتفاق الكلمة على أن ينزل له عن مالقة التى خادع عنها ابن محلى كما تقدم ، فامتنع ابن الاحمر وأساء الرد فى ذلك فرجع السلطان يعقوب الى ازالة العوائق عن شأنه فى الجهاد وكان من أعظمها فتنة يغمراسن واستيقن ما دار بينه وبين ابن الاحمر والطاغية ابن اذفونش من الاتصال والاصفاق على تعويقه عن الغزو فبعث الى يغمراسن يسأله عن الذى بلغه عنه ويطلب منه تجديد الصلح وجمع الكلمة ، فلج فى الخلاف وكشف وجه العناد وأعلن بما وقع بينه وبين أهل العدو الاندلسية مسلمهم وكافرهم من الوصلة وأنه معتزم على وطء بلاد المغرب فصرف السلطان يعقوب عزمه الى غزو يغمراسن وقفل الى فاس لثلاثة أشهر من حلوله بطنجة فدخلها آخر شوال من السنة المذكورة وأعاد الرسل الى يغمراسن لاقامة الحججة عليه وقال له فيما خاطبه به : «الى متى يا يغمراسن هذا النفور والتمادى فى الغرور؟ أما آن أن تشرح الصدور وتنقضى هذه الشرور؟» فى

كلام غير هذا فصم يغمراسن عن ذلك كله ولم يرفع به رأسا ، ولما أيسر السلطان يعقوب من اقلاعه ورجوعه نهض اليه من فاس آخر سنة تسع وسبعين وستمائة وقدم ابنه الامير يوسف في العساكر وتبعه فأدركه بتازا ، ولما انتهى الى ملوية تلوم أياما في انتظار العساكر ثم ارتحل حتى نزل وادي تافنا وصد اليه يغمراسن بجموع زناتة والعرب بحلهم ونجعهم وشائهم ونعمهم وانتقت طوالع القوم أولا فكانت بينهما حرب ثم ركب على آثارهما العسكران والتحم القتال سائر النهار ، وكان الزحف بالموضع المعروف بالملعب من أحواز تلمسان ثم انكشف بنو عبد الواد عند ما أراح القوم وانتهب معسكرهم بما فيه من الكراع والسلاح والفساطيط والمتاع وبات عسكر السلطان يعقوب تلك الليلة على متون جيادهم واتبعوا من الغد آثار عدوهم ، واكسحت أموال العرب الناجعة الذين كانوا مع يغمراسن وامتلاّت أيدي بني مرين من شائهم ونعمهم وتوغلوا في أرض يغمراسن ، ووافاه هنا لك محمد بن عبد القوي أمير بني توجين لقيه بناحية القصبات وعاثوا جميعا في بلاده تخريبا ونهبا ثم أذن السلطان يعقوب لبني توجين في اللحاق ببلادهم وأخذ هو بمحقق تلمسان محاصرا لها حتى يصل محمد بن عبد القوي الى مأمنه من جبل وانشرس خوفا عليه من غائلة يغمراسن واتباعه اياه ، ثم أفرج عنها وقفل الى المغرب فدخل حضرة فاس في رمضان سنة ثمانين وستمائة ، ثم نهض الى مراکش فدخلها فاتح سنة احدى وثمانين بعدها فبنى بها بامرأة مسعود بن كانون السفيناني لانه كان قد هلك قبل هذه السنة وسرح ابنه الامير يوسف الى السوس لتدويخ أقطاره ثم وافاه وهو بمراكش صريخ الطاغية علي ما نذكره الان



الجواز الثالث للسلطان يعقوب إلى الأندلس مغيثا للطاغية ومغتنا فرصة الجهاد



لما كان السلطان يعقوب رحمه الله بمراكش سنة احدى وثمانين وستمائة قدم عليه كتاب طاغية الاصبنيول واسمه هراندة مع وفد من بطارقه وزعماء دولته مستصرخا له على ابنه سانجة الخارج عليه فى طائفة من النصارى وأنهم غلبوه على أمره زاعمين بأنه شاخ وضعف عن تدبيرهم ولم يقدر على القيام بنصرتهم فاستنصره عليهم ودعاه لحربهم وأمله لاسترجاع ملكه من يدهم فاعتنم السلطان يعقوب هذه الفرصة فى الحال وجعل جوابه نفس النهوض والارتحال فسار معهم لم يعرج على شىء حتى أتى قصر المجاز وهو قصر مسمودة فعبر منه واحتل لوقته بالجزيرة الخضراء فى ربيع الثانى من سنة احدى وثمانين المذكورة وأوعز الى الناس بالنفير الى الجهاد واجتمعت عليه مسالح الثغور بالأندلس وسار حتى نزل صخرة عباد وهناك قدم عليه الطاغية هراندة ذليلا لعزة الاسلام مؤملا صريخ السلطان فأكرم موصله وأكرم وفادته .

وذكر ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما من الأئبات :
« ان هذا الطاغية لما اجتمع بالسلطان يعقوب قبل يده اعظاما لقدره وخضوعا لعزه فدعا السلطان رحمه الله بماء فغسل يده من تلك القبلة بمحضر من كان هناك من جموع المسلمين والفرننج ثم التمس الطاغية من السلطان أن يمدّه بشىء من المال ليستعين به على حربته ونفقاته ، فأسلفه السلطان مائة ألف دينار من بيت مال المسلمين رهنه الطاغية فيها تاجه الموروث عن سلفه ، قال ابن خلدون : «وبقى هذا التاج بدار بنى يعقوب بن عبد الحق فخرا للاعقاب لهذا العهد» قلت : «وما أبعد حال هذا الطاغية المهين من حال عطارذ بن حاجب التميمى الذى لم يسلم قوس أبيه على تطاول السنين والقصة مشهورة فانظر ما بين الهمم العربية والعجمية من البون وحال الفريقين فى الابتذال والصون»

ثم ان السلطان يعقوب رحمه الله تقدم مع الطاغية ودخل دار الحرب
عند حنى نزل قرطبة وبها يومئذ سانحة بن الطاغية الخارج عليه مع طائفته
فقاتنها أيما ثم أفرج عنها وتنقل في جهاتها وبعث سراياه الى جيان فأفسدوا
زرعتها ثم ارتحل الى طليطلة فعاث في جهاتها وخرّب عمرانها حتى انتهى
الى حصن مجريط من أقصى الثغر فامتلات أيدي المسلمين وضاق معسكرهم
بعسائم التي استاقوها فقتل السلطان من أجل ذلك الى الجزيرة فاحتل بها في
سبعين وأقام بها الى آخر السنة المذكورة وكانت غزوة لم يسمح الدهر بمثلها
وفي هذه السنة توفي يغمراسن بن زيان على ما في القرطاس . وذكر ابن
حدادون : أنه لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال له : « يا بني ان بنى مرين
بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا
بقائم فإياك أن تحاربهم فان مددهم موفور ومددك محصور ولا يغرنك اني
كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقاءهم لانى كنت أخشى معرفة الجبن عنهم بعد
اتمرس بهم والاجترأ عليهم وأنت لا يضرك ذلك لانك لم تحاربهم ولم
تمرس بهم فعليك بالتحصن ببلدك متى زحفوا اليك وحاول ما استطعت
الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها
ملكك وتكافىء حشد العدو بحشدك » قال : « فعمل ابنه عثمان على وصيته
وأوفد أخاه محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب وهو بالاندلس فسي
جوازه الرابع فعقد معه السلم على ما أحب وانكفاً راجعا الى أخيه فطابت
نفسه وتفرغ لافتح البلاد الشرقية



انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الأحمر والسبب في ذلك



ما اتصلت يد السلطان يعقوب رحمه الله بيد الطاغية وقام معه في ارتجاع
ملكه حتى ابن الأحمر عاديته فجنح الى موالاته ابنه سانحة الخارج عليه
ووصل يده بيده وأكد له العقد واضطرت الاندلس نارا وفتنة بسبب هذا
الخلافة ، ولما قتل السلطان يعقوب من غزوته مع الطاغية وقد ظهر على ابنه

أجمع على منازلة مالقة التي استحوذ عليها ابن الأحمر وخذع عنها ابن محلى
فنهض السلطان إليها من الجزيرة الخضراء فاتح سنة اثنتين وثمانين وستمائة
فغلب أولا على الحصون الغربية كلها ثم أسف إلى مالقة فأناخ عليها بعساكره
وضاف على ابن الأحمر النطاق ولم تغن عنه موالاة سانجة شيئا وبدا له سوء
المغبة في شأن مالقة وندم على تناولها فاعمل نظره في الخلاص من ورطتها
ولم ير لها إلا الأمير يوسف ابن السلطان يعقوب فخاطبه بمكانه من المغرب
مستصرخا له لرفع هذا الخرق ورتق هذا الفتق وجمع كلمة المسلمين على
عدوهم فأجابته واغتم الثوبة في مسعاه وعبر البحر إلى الأندلس في صفر
سنة اثنتين وثمانين المذكورة فوافى أباه بمعسكره على مالقة ورغب منه
السلم لابن الأحمر في شأنها والتجافى له عنها فاسعف رغبة ابنه لما يؤمل في
ذلك من رضى الله عز وجل في جهاد عدوه واعلاء كلمته ، وانعقد السلم
وانبسط أمل ابن الأحمر وتجددت عزائم المسلمين للجهاد وقفل السلطان
يعقوب إلى الجزيرة الخضراء فبث سرايا في دار الحرب فأوغلو وأثخنوا ثم
استأنف الغزو بنفسه إلى طليطلة فخرج من الجزيرة غازيا غرة ربيع الثاني
من سنة اثنتين وثمانين المذكورة حتى انتهى إلى قرطبة فآثخن وغنم وخرب
العمران وافتتح الحصون ثم ارتحل نحو البرت وترك محلته على بياسة
بالمغانم والاثقال وترك معها خمسة آلاف فارس يجمعونها من كرة العدو ثم
أغذ السير في أرض قفرة ليلتين حتى انتهى إلى البرت من نواحي طليطلة
فسرح الخيل في البسائط وجالت في أكنافها ولم تنته إلى طليطلة لتناقل الناس
بكثره الغنائم وأثخن في القتل وقفل على غير طريقه فآثخن وخرب
وانتهى إلى أبدة فوقف بساحتها وقتلها ساعة من نهار فرماه علج من خلف السور
بسهم أصاب فرسه فارتحل عنها إلى معسكره بياسة فأراح بها ثلاثا ينسف
آثارها ويقتلع أشجارها وقفل إلى الجزيرة وبين يديه من السبى والغنائم ما
يعجز عنه الوصف فدخلها في شهر رجب من السنة المذكورة فقسم الغنائم
ونفل من الخمس وولى على الجزيرة حافده عيسى بن عبد الواحد بن
يعقوب فهلك شهيدا على شريش بسهم مسموم لشهرين من ولايته

ثم عبر السلطان الى المغرب فاتح شعبان ومعه ابنه أبو زيان منديل فأراح بطنجة ثلاثا ثم نهض الى فاس فدخلها آخر شعبان ولما قضى صيامه ونسك عيده ارتحل الى مراكش لتمهيدها وتفقد أحوالها وقسم من نظره لنواحي سلا حفا فأقام برباط الفتح شهرين اثنين وتوفيت في هذه المدة الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوي وهي أم الامير يوسف وكانت وفاتها برباط الفتح فدفنت بشالة . ثم نهض السلطان يعقوب الى مراكش فدخلها فاتح ثلاث وثمانين وستمائة وبلغه مهلك الطاغية هراندة بن اذفونش واجتماع النصرانية على ابنه سانجة الخارج عليه فتحركت همته الى الجهاد ثم سرح ابنه الامير يوسف ولى عهده بالعسكر الى بلاد السوس لغزو العرب الذين بها وكف عاديتهم ومحو آثار الخوارج المنتزين على الدولة فأجفلوا أمامه واتبع آثارهم الى الساقية الحمراء آخر العمران من بلاد السوس فهلك أكثر العرب في تلك القفار جوعا وعطشا وقفل راجعا لما بلغه من اعتلال والده انسلطان يعقوب فوصل الى مراكش وقد أبل من مرضه وعزم على الجهاد شكرا لله تعالى على نعمة العافية ، وفي هذه السنة وصل ماء عين غبولة الى قسبة رباط الفتح بأمر السلطان يعقوب وكان ذلك على يد المعلم المهندس أبي الحسن علي بن الحاج والله تعالى أعلم



الجواز الرابع للسلطان يعقوب إلى الأندلس برسم الجهاد



لما اعتزم السلطان يعقوب على العبور الى الأندلس عرض جنوده وحاشيته وأزاح عنهم وبعث في قبائل المغرب بالنفير ونهض من مراكش في جمادى الآخرة لثلاث وثمانين وستمائة واحتل برباط الفتح منتصف شعبان فقضى به صومه ونسكه ثم ارتحل الى قصر المجاز وشرع في اجازة العساكر والحشود من المرتزقة والمتطوعة خاتم سنته ، ثم أجاز البحر بنفسه غرة صفر من سنة أربع وثمانين بعدها واحتل بظاهر طريف ، ثم سار الى الجزيرة

الخضراء فأراح بها أياما ثم خرج غازيا حتى انتهى الى وادى لك وسرح الخيول فى بلاد العدو وبسائطه يحرق وينسف . فلما خرب بلاد النصرانية ودمر أرضهم قصد مدينة شريش فنزل بساحتها وأناخ عليها فى العشرين من صفر سنة أربع وثمانين المذكورة وبث سرايا والغارات فى جميع نواحيها وبعث عن المسالحي التي كانت بالثغور فتوافقت لديه ولحقه حافده عمر ابن عبد الواحد بجمع وافر من المجاهدين من أهل المغرب فرسانا ورجالا ووافته حصة العزفي صاحب سبته غزاة ناشبة تناهز خمسمائة وأوعز الى ولى عهده الامير يوسف باستنفار من بقى من أهل العدو .

وكان السلطان رحمه الله لما أناخ على شريش بعث وزيره محمد بن عطوا ومحمد بن عمران عيوننا فوافوا حصن القناطر وروطة واستكشفوا ضعف الحامية واختلال الثغور وعادوا الى السلطان فأخبروه ، ثم عقد السلطان لحافده منصور بن عبد الواحد على ألف فارس من بنى مرين والغز وعرب العاصم والخلط والاتبج وأعطاه الراية وبعثه لغزو اشبيلية وذلك فى يوم الاحد التاسع والعشرين من صفر من السنة المذكورة فغنموا ومروا بقرمونة فى منصرفهم فاستباحوها وأثخنوا بالقتل والاسر ورجعوا وقد امتلأت أيديهم من الغنائم ، ثم عقد ثانية لحافده عمر بن عبد الواحد على مثلها من الفرسان فى يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة وأعطاه الراية وسرحه الى بسائط وادى لك فرجعوا من الغنائم بما ملا العساكر بعد أن أثخنوا فيها بالقتل والتخريب وتحريق الزروع واقتلاع الثمار وأبادوا عمرانها .

ثم سرح ثامن ربيع المذكور عسكرا من خمسمائة فارس للاغارة على حصن ركش فوافوه على غرة فآكسحوا اموالهم وسبوا ، ثم عقد تاسع ربيع ايضا لابنه ابى معرف على الف من الفرسان وسرحه لغزو اشبيلية فساروا حتى هجموا عليها يوم المولد الكريم وتحصنت منه حاميتها بالاسوار فحرب عمرانها وقطع أشجارها وامتلاأت ايدي عسكره سبيا واموالا ورجع الى محلة السلطان وهى نازلة على شريش كما قدمنا مملو الحقائب .

ثم عقد ثالثة لحافده عمر منتصف ربيع المذكور لغزو حصن كان بالقرب من

معسكره كان أهله يقطعون الطريق على من خرج من المحلة مفردا أو في
فئة وسرح معه الرجل من الناشبة والفعلة بآلات من المساحى والفؤس ،
وأمدد بالرجل من المصامدة وغزاة سبتة فأقتحموه عنوة على أهله وقتلوا
أبنته وسبوا النساء والذرية والصقوا خده بالتراب ونسفوا آثاره نسفا ،
وسبعة عشر من الشهر ركب السلطان إلى حصن مرتقوط فربا من معسكره
فخر به وحره بالنار واستباحه وقتل المقاتلة وسبى الأهل ، ولعشرين من
شهر المذكور وصل ولي عهده الأمير يوسف من العدو المغربية بنفير أهل
المغرب وكافة القبائل في جيوش ضخمة وعساكر موفورة وركب السلطان
أقائهم وبرور مقدمهم وعرض العساكر القادمة معه يومئذ فكانت ثلاثة عشر
الف من المصامدة وثمانية آلاف من برابرة المغرب كلهم متطوع بالجهاد
فعمد السلطان لولي العهد على خمسة آلاف من المرتزقة وألفين من المتطوعة
وثلاثة عشر ألفا من الرجل وألفين من الناشبة وذلك في يوم الجمعة الخامس
والعشرين من ربيع الأول المذكور وسرحه لغزو اشيلية والائخان في
نواحيها فعبأ كتابه ونهض لوجهه وبث الغارات بين يديه فأئخذوا وسبوا
وقدوا واقتحموا الحصون واكسحوا الأموال وعاج ولي العهد على الشرف
والغلبة من بسط اشيلية فنسف قراها واقتحم بعض حصونها وقفل إلى
معسكر السلطان وهو بمكانه من حصار شريش . وفي يوم الاثنين السادس
من ربيع الثاني قدم أبو زيان منديل ابن السلطان يعقوب من المغرب في
جيش كثيف فيهم خمسمائة فارس من عرب بني جابر أهل تادلا مع كبيرهم
يوسف ابن قيطون وفيهم من المتطوعة والناشبة عدد كبير فعقد له السلطان
غداة وصوله وأمدد بعسكر آخر وأغزاه قرمونة والوادي الكبير فأغار على
قرمونة وطمعت حاميتها في المدافعة فبرزوا له وصدقهم القتال فأنكشفوا حتى
أدخوهم البلد ثم أحاطوا ببرج كان فريبا من البلد فقاتلوه ساعة من نهار
وأقتحموه عنوة ولم يزل ينقرى المنازل والعميران حتى وقف بساحة اشيلية
وأغار واقتحم برجا كان هنالك عينا على المسلمين وأضرمه نارا وامتلات
أيدي عساكره وقفل إلى معسكر السلطان على شريش ، وثلاث عشرة ليلة

من ربيع الثاني عقد السلطان لولى العهد الامير يوسف لمانزلة جزيرة كبنور
فصمد اليها وقتلها واقتحمها عنوة ، وفي ثاني جمادى الاولى عقد السلطان
للحاج أبى الزبير طلحة بن يحيى بن محلى وكان بعد مداخلته أخاه عمر
فى شان مالقة سنة خمس وسبعين خرج الى الحج ففضى فرضه ورجع ومر
فى طريقه بتونس فاتهمه الدعى ابن أبى عمارة كان بها يومئذ فاعتقله سنة
اثنين وثمانين ثم سرحه ولحق بقومه بالمغرب ثم عبر الى الاندلس غازيا مع
السلطان يعقوب فعقد له فى هذا اليوم على مائتين من الفرسان وسرحه الى
اشيلية ليكون ربيثة للمعسكر وبعث معه لذلك عيونا من اليهود والمعاهدين
من النصارى يتعرفون له أخبار الطاغية سانجة ، والسلطان يعقوب رحمه الله
أثناء هذا كله يغادى شريش ويراوحها بالقتل والتخريب ونسف الآثار
وبث السرايا كل يوم وليلة فى بلاد العدو فلا يخلو يوم من تجهيز عسكر أو اغزاء
جيش أو عقد راية أو بعث سرية حتى انتسف العمران فى جميع بلاد
النصرانية وخرّب بسائط اشيلية ولبلة وقرمونة واستجة وجبال الشرف
وجميع بسائط الفرثيرة

وأبلى فى هذه الغزوات عياذ بن أبى عياد العاصمى من شيوخ جشم
والخضر الغزى من أمراء الأكراد بلاء عظيما وكان لهم فيها ذكر وصيت
وكذلك غزاة سبتة وكذا سائر المجاهدين من عرب جشم وغيرهم مثل مهلهل
ابن يحيى الخلطى صهر السلطان ويوسف بن قيطون الجابرى وغير هؤلاء
ممن يطول ذكرهم

فلما دمرها تدميرا وأوسعها تخريبا ونسفها نسفا واكتسحها غارة ونهبها
وهجم فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر اعتزم السلطان على القفول
وأفرج عن شريش لآخر جمادى الاولى من السنة المذكورة بعد أن حاصرها
نحو من ثلاثة أشهر وعشرة أيام واتصل به أن العدو أوعز الى أساطيله
باحتلال الزقاق والاعتراض دون الفراض فاعز السلطان الى جميع سواحل
من سبتة وطنجة وبلاد الريف ورباط الفتح والمنكب والجزيرة وطريف
بتوجيه أساطيلهم فتوافت منها ستة وثلاثون أسطولا متكاملة فى عدتها

ونحمت أساطيل العدو عنها وارتدت على أعقابها واحتل السلطان يعقوب جزيرة الخضراء وهي المسماة اليوم بخوزيرت غرة رمضان من سنة أربع وثمانين وستمئة ونزل بقصره من المدينة الجديدة التي بناها بازائها فبرزت أساطيل المسلمين أمامه بالمرسى وهو جالس بمشور قصره فلعبوا بمرأى منه في الحر وتجاولوا وتناطحوا وتطاردوا كفعلهم ساعة الحرب فسر بذلك وأحسن اليهم وصرفهم الى حال سيئهم



وفادة الطاغية على السلطان يعقوب بأحوال الجزيرة الخضراء وعقد الصلح بينهما والسبب في ذلك



قال ابن خلدون رحمه الله : لما نزل بلاد النصرانية من السلطان يعقوب ما نزل من تدمير قراهم واكتساح أموالهم وسبى نسائهم وابداء مقاتلتهم وتخريب معاقلمهم واتساف عمرانهم زاغت منهم الابصار وبلغت القلوب الحناجر واستيقنوا أن لا عاصم لهم من أمير المسلمين فاجتمعوا الى طاغيتهم سانحة خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة متوجعين مما أذاقهم جنود الله من سوء العذاب وأليم النكال وحملوه على الضراعة لأمير المسلمين في السلم وايفاد الملا من كبار النصرانية عليه في ذلك والا فلا تزال تصيبهم منه قارعة أو تحل قريبا من دارهم فأجاب الى ما دعوه اليه من الخسف والهزيمة لدينه وأوفد على أمير المسلمين وهو بالجزيرة الخضراء وفدا من بطارقتهم وشمامستهم يخطبون السلم ويضرعون في المهادنة والابقاء ووضع أوزار الحرب فردهم أمير المسلمين اعتزازا عليهم ، ثم أعادهم الطاغية بترديد الرغبة على أن يشترط ما شاء من عز دينه وقومه فأسغفهم أمير المسلمين وجنح الى السلم لما تيقن من صانعتهم اليه وذلهم لعز الاسلام وأجابهم الى ما سألوه واشترط عليهم ما تقبلوه من مسالة المسلمين كافة من قومه وغير قومه والوقوف عند مرضاته في ولاية جيرانه من الملوك أو عداوتهم ورفع الضريبة عن تجار المسلمين

بدار الحرب من بلاده وترك التضريب بين ملوك المسلمين والدخول بينهم في فتنه ، واستدعى السلطان الشيخ أبا محمد عبد الحق الترجمان وبعثه لاشتراط ذلك واحكام عقده فسار عبد الحق الى الطاغية سانجة وهوباشيلية فعقد معه الصلح واستبلغ وأكد في الوفاء بهذه الشروط ، ووفدت رسل ابن الاحمر على الطاغية وهو عنده لعقد السلم معه على قومه وبلاده دون أمير المسلمين وان يكون معه يدا واحدة عليه فأحضرهم الطاغية بمشهد عبد الحق وأسمعهم ما عقد مع أمير المسلمين على قومه وأهل ملته كافة ، وقال لهم : « انما أنتم عبيد آبائي فلستم معي في مقام السلم والحرب وهذا أمير المسلمين على الحقيقة ولست أطيق مقاومته ولا دفاعه عن نفسي فكيف عنكم » فانصرفوا ولما رأى عبد الحق ميله الى رضا السلطان وسوس اليه بالوفادة عليه لتتمكن الالفة وتستحكم العقدة وأراه مغبة ذلك في سل السخيمة وتسكين الحفيظة فمال الى موافقته وسأله لقي الامير يوسف ولى عهد السلطان أولا ليطمئن قلبه فوصل اليه ولقيه على فراسخ من شريش وباتا بمعسكر المسلمين هنالك ثم ارتحلا من الغد للقاء السلطان يعقوب وكان قد أمر الناس بالاحتفال للقاء الطاغية وقومه واظهار شعائر الاسلام وأبهته وأن لا يلبسوا الا البياض ، فاحتفلوا وتأهبوا وأظهروا عز الملة وشدة الشوكة ووفور الحامية

وقدم الطاغية في جماعته سود اللباس خاضعين ذليلين فاجتمعوا بالامير بحصن الصخرات على مقربة من وادى لك وذلك يوم الاحد العشرين من شعبان سنة أربع وثمانين وستمائة وتقدم الطاغية فلقية أمير المسلمين بأحسن مبرة وأتم كرامة يلقي بها مثله من عظماء الملل وقدم الطاغية بين يديه هدية من طرف بلاده أتحتف بها السلطان وولى عهده كان فيها زوج من الخيول الوحشى المسمى بالفيل وحمارة من حمر الوحش الى غير ذلك من الطرف فقبلها السلطان وابنه وأضعفوا له المكافأة وكمل عقد السلم وقبل الطاغية سائر الشروط ورضى بعز الاسلام عليه وانقلب الى قومه بملء صدره من الرضى والمسرة وسأل منه السلطان أن يبعث اليه بكتب العلم التى بأيدي النصارى منذ استيلائهم على مدن الاسلام فبعث اليه منها ثلاثة عشر حملا

ففي جملة من مصاحف القرآن الكريم وتفسيره كابن عطية والثعلبي ومن كتب الحديث وشروحاتها كالتهذيب والاستذكار ومن كتب الاصول والشروع واللغة والعربية والادب وغير ذلك فأمر السلطان رحمه الله بحملها الى فاس وتأسيسها على المدرسة التي أسسها بها لطلبة العلم وقفل السلطان فدخل بقصره من الجزيرة لليتين بقيتا من شعبان ف قضى صومه ونسك عيده وجعل من قيام ليله جزءاً لمحاضرة أهل العلم وأعد الشعراء كلمات أنشدوها يوم عيد الفطر بمشهد الملا في مجلس السلطان ، وكان من أسبقهم في ذلك الميدان شاعر الدولة أبو فارس عبد العزيز المزوزي الاصل المكناسي الدار ويعرف بغزوز أتى بقصيدة طويلة من بحر الوافر على روى الباء المفتوحة المردوفة بالالف ذكر فيها سيرة السلطان وغزواته وغزوات بنيه وحفدته وامتدح قبائل مرين ورتبهم على منازلهم وذكر فضلهم وقيامهم بالجهاد وذكر قبائل العرب على اختلافها وانشدت بمحضر السلطان والحاشية فأمر لمنشئها بألف دينار وخلعة ولئنشدها بمائتي دينار ، ثم أعمل السلطان نظره في الثغور فرتب بها المسالحي وبعث ولده الامير أبا زيان منديلا ليقف على الحد بين أرضه وأرض ابن الاحمر وعقد له على تلك الناحية وأنزله بحصن ذكوان قرب مالقة وأوصاه أن لا يحدث في بلاد ابن الاحمر حدثاً وعقد لعياد بن أبي عياد العاصمي على مسلحة أخرى وأنزله بأسطبونة وأجاز ابنه الامير يوسف الى المغرب لتفقد أحواله ومباشرة أموره وأمره ان يبنى على قبر والده ابي الملوك عبد الحق بتأطراست زاوية فاخط هناك رباطا حفيلا وبني على قبر الامير عبد الحق ادريس أسنمة من الرخام ونقشها بالكتابة ورتب عليها قراء لتلاوة القرآن ووقف على ذلك ضياعا وأرضا تسع حرث أربعين زوجا رحم الله الجميع

بمنه



وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



وفى آخر ذى القعدة من سنة أربع وثمانين وستمائة مرض السلطان يعقوب بن عبد الحق مرضه الذي توفى منه فلم يزل ألمه يشتد وحاله يضعف الى ان توفى بقصره من الجزيرة الخضراء من أرض الاندلس فى ضحى يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح سنة خمس وثمانين وستمائة وحمل الى رباط الفتح من بلاد العدو فدفن بمسجد شالة وقبره اليوم طامس، الاعلام رحمه الله



بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته



كان السلطان يعقوب رحمه الله أبيض اللون تام القد معتدل الجسم حسن الوجه واسع المنكين كامل اللحية معتدلاً أشيب نقى البياض حلماً متواضعا جواداً مظفراً منصوراً الراية ميمون النقية لم يقصد جيشاً الا هزمه ولا عدوا الا قهره ولا بلدا الا فتحه صواماً قواماً دائم الذكر كثير البر لا تزال سبخته فى يده مقرباً للعلماء مكرماً للصلحاء صادراً فى أكثر أموره عن رأيهم ولما استقام له الامر بنى المستنانات للمرضى والمجانين ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم وأجرى على الكل المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمي والعمى والفقراء رتب لهم مالا معلوما يقبضونه فى كل شهر من جزية اليهود وبنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله تعالى نفعه الله بقصده

الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله

يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله تعالى



لما مرض السلطان يعقوب بقصره من الجزيرة الخضراء مرضه نساؤه وطيرن بالخبر الى ولي عهده الامير يوسف وكان يومئذ بالمغرب فاتصل به الخبر وهو بأحوار فاس فأسرع السير الى طنجة وقد مات أبوه قبل وصوله فأخذ البيعة له الوزراء والاشياخ ولما عبر اليهم البحر واحتل بالجزيرة جددوا له البيعة غرة صفر سنة خمس وثمانين وستمائة وأخذوها له على الكافية فاستتب ملكه واستقام أمره ففرق الاموال وأجزل الصلات وسرح السجنون ورفع عن الناس الاخذ بزكاة الفطر ووكلمهم فيها الى أمانتهم وكف أيدي الظلمة والعمال عن الناس وأزال المكوس ورفع الانزال عن دور الرعية وصرف اعتناؤه الى اصلاح السابلة فأزال أكثر الرتب والقبالات التي كانت بالمغرب الا ما كان منها في الاقطار الخالية والمفايزات المخوفة فخضعت مريين تحت قهره وصلح أمر الناس في أيامه ، وكان أول شيء أحدث من أمره أن بعث الى ابن الاحمر وضرب له موعدا للاجتماع به فبادر اليه ولقيه بظاهر مربة في العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فلقاه السلطان مبرة وتكريما وتجافى له عن جميع الثغور الاندلسية التي كانت في ملكة أبيه ونزل له عنها ما عدى الجزيرة ورندة وطريف وتفرقا من مكانهما على أكمل حالات المصافاة والوصلة ورجع السلطان يوسف الى الجزيرة فقدم عليه بها وقد الطاغية سائجة مجددين عقد السلم الذي عقده لهم السلطان يعقوب رحمه الله

ولما تمهد للسلطان يوسف امر الاندلس عقد لآخيه أبي عطية العباس بن يعقوب على الثغور الغربية وأوصاه بضبطها وعقد للشيخ المجاهد أبي الحسين على بن يوسف بن يزكاتن على مسلحتها وجعل اليه أمر الحرب وأغنة الخيل وأمدته بثلاثة آلاف من بنى مريين والعرب ثم عبر البحر الى المغرب

يوم الاثنين سابع ربيع الآخر من السنة المذكورة فنزل بقصر المجاز ثم سار الى حضرة فاس فدخلها ثانی عشر جمادى الاولى منها ولحين استقراره بها خرج عليه محمد بن ادريس بن عبد الحق فى بنیه واخوته ومن انضم اليه وليحق بجبال ورغة ودعا لنفسه فسرح اليه السلطان يوسف أخاه أبا معرف محمد بن يعقوب فبدأ له فى النزوع اليهم فلحق بهم وشايهم على رأيهم من الخلاف فاغزاهم السلطان يوسف عساكره وردد اليهم البعث والكتائب ثم تلطف فى استئزال أخيه حتى نزل على الامان وفر بنو ادريس الى تلمسان فقبض عليهم أثناء طريقهم وجرى بهم فى الحديد الى تازا فبعث السلطان يوسف أخاه أبا زيان فقتلهم خارج باب الشريعة منها فى رجب من السنة ورهب الاعياص من بنى عبد الحق يومئذ وخافوا بادرة السلطان يوسف فلحقوا بفرنطة ملتفين على بنى ادريس منهم ثم ارتحل السلطان فى رمضان من السنة المذكورة الى مراکش لتمهيد نواحيها وتثقيف أطرافها فدخلها فى شوال وأقام بها الى رمضان القابل من سنة ست وثمانين وستمائة فنهض من مراکش لغزو عرب معقل بصحراء درعة لانهم كانوا قد أضروا بالرعايا وأفسدوا السابلة فسار اليهم فى اثنى عشر ألفا من الخيل ومر على بلاد هسكورة معترضا جبل درن وأدركهم نواجع بالقفر فأئخن فيهم بالقتل والسبى واستكثر من رؤوسهم فعلقت بشرفات مراکش وسجلماسة وفاس وقفل من غزوه آخر شوال من السنة المذكورة الى مراکش فنكب محمد بن على بن محلى عاملها القديم الولاية بها من لدن انقراض الدولة الموحدية لما وقع من الارتباب بأولاد محلى بكثرة خروجهم على الدولة وكانت نكبته غرة محرم سنة سبع وثمانين وستمائة وهلك فى السجن فى صفر الموالى له ، وعقد السلطان يوسف على مراکش وأعمالها لمحمد بن عطو الجاناتى من موالى دولتهم ولاء حلف وترك معه ابنه أبا عامر عبد الله بن يوسف ثم ارتحل السلطان يوسف الى فاس فدخلها منتصف ربيع من السنة المذكورة

قدوم بنى اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم قصركتامة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا ان بنى اشقيلولة كانوا من وجوه الاندلس وأهل الرياسة بها حتى صاهرهم ابن الاحمر بابنته وأخته وقاموا معه فى اثبات قواعد ملكه ثم انصرفوا عنه الى موالة بنى مرين ونزل محمد بن عبد الله بن أبى الحسن منهم الى السلطان يعقوب عن مالقة وكان عمه أبو اسحق بن أبى الحسن صاحب وادى آش وأعمالها واتصل ذلك فى بنيه الى أن بويع السلطان يوسف فقاموا بدعوته فيها ثم حصلت المصافاة وتأكدت المودة بين السلطان يوسف وابن الاحمر على ما أسلفناه آنفا فطلب ابن الاحمر من السلطان يوسف أن ينزل له عن واد آش التى هى لبنى اشقيلولة المتمسكين بدعوته كما نزل له عن غيرها من الثغور فأجابه السلطان الى ذلك وكتب الى أبى الحسن بن اسحق بن اشقيلولة يأمره بالتخلى له عنها فتركها له وعبر هو وحاشيته البحر الى السلطان يوسف سنة سبع وثمانين المذكورة فلقه بمدينة سلا فأعطاه السلطان يوسف القصر الكبير وأعماله طعمة سوغه اياها فلم تنزل ولايته متوارثة فى بنيه حتى انقرضوا آخر دولة بنى مرين واستمكن ابن الاحمر من وادى آش وحصونها ولم يبق له بالاندلس منازع من قرابته والله أعلم



حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان

صاحب تلمسان



قد تقدم لنا أن يغمراسن لما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان أن لا يحدث مع بنى مرين حربا ولا يوافقهم فى زحف. ما استطاع لاستغلاظ أمرهم عليه بملكهم المغرب الاقصى وأعماله وأن عثمان قد عمل على ذلك فأوفد أخاه

محمد بن يغمراسن على السلطان يعقوب بالاندلس وعقد معه السلم ورجع الى أخيه كما تقدم ولما ولي السلطان يوسف وقفل من مراکش الى فاس في هذه المرة بعد أن ترك ابنه أبا عامر عبد الله مع محمد بن عطوا عامل مراکش ثار أبو عامر المذكور بها وخلع طاعة أبيه ودعا الى نفسه وشايعه ابن عطوا على ذلك واتصل الخبر بالسلطان يوسف وهو بفاس فأسرع السير الى مراکش وبرز اليه ابنه أبو عامر فأقتلوا ثم انهزم أبو عامر فعاد الى مراکش واكتسح بيت المال بها وفر الى تلمسان ومعه ابن عطوا المذكور فقدها سنة ثمان وثمانين وستمائة فأواهم عثمان بن يغمراسن ومهد لهم المكان فلبثوا عنده مليا

ثم عطفت السلطان على ابنه الرحم فرضى عنه وأعادته الى مكانه وطالب عثمان بن يغمراسن أن يسلم اليه ابن عطوا الناجم في النفاق مع ابنه فأبى من اضاءة جواره واخفاره ذمته وأغلظ له الرسول في القول فسطا به عثمان واعتقله فثارت من السلطان يوسف الحفائظ الكامنة وتحركت منه الاحن القديمة والنزغات المتوارثة فاعتزم على غزو تلمسان ونهض اليها من مراکش في صفر من سنة تسع وثمانين وستمائة بعد أن عقد عليها لابنه الامير أبى عبد الرحمن يعقوب بن يوسف ثم نهض من فاس اليها آخر ربيع الاخر من سنته في عساكره وجنوده وحشد القبائل وكافة أهل المغرب وسار حتى نازل تلمسان فتحصن منه عثمان وقومه بأسوارها فحاصره السلطان يوسف وضيق عليه ونصب عليه المجانيق وكان حصاره اياها في رمضان من السنة المذكورة ثم سار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع ثم نزل بذراع الصابون من ناحيتها ثم انتقل منه الى تامت وحاصرها أربعين يوما وقطع أشجارها وأباد خضراءها ولما امتنت عليه أفرج عنها وانكفأ راجعا الى المغرب وقضى نسك الفطر بعين الصفا من بلاد بني يزناسن ونسك الاضحى وقربانه بتازا وتلبث بها أياما ثم نهض منها الى الاندلس بقصد الجهاد على ما نذكره

انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه



لما رجع السلطان يوسف من غزو تلمسان وافاه الخبر وهو بتازا أن الطاغية سانجة قد انتقض ونبذ العهد وتجاوز التخوم وأغار على الثغور ، فأوعز السلطان الى قائد المسالحي بالاندلس على بن يوسف بن يزكاتن بالدخول الى دار الحرب ومنازلة شريش وشن الغارات على بلاد الطاغية ، فنهض لذلك في ربيع الآخر من سنة تسعين وستمائة وجاس خلالها وتوغل في أقطارها وأبلغ في النكاية .

ثم فصل السلطان يوسف من تازا غازيا أثره في جمادى الاولى من السنة المذكورة واحتل قصر مصمودة وهو قصر المجاز واستنفر أهل المغرب وقبائله فنفروا وشرع في اجازتهم البحر ، فبعث الطاغية أساطيله الى الزقاق حجزا لهم دون الاجازة فأوعز السلطان يوسف الى قواد أساطيله بالسواحل بعمارتها لمقابلة أساطيل العدو ففعلوا ، وقدمت فالتقت مع أساطيل العدو ببحر الزقاق في شعبان من السنة فاقتلوا وانكشف المسلمون ومحصرهم الله وقتل قواد الاساطيل ، فأمر السلطان يوسف باستئناف العمارة ثم أغزاهم ثانية فخامت أساطيل العدو عن اللقاء وصاعدوا عن الزقاق فملكته أساطيل السلطان ، فأجاز أخريات رمضان من السنة واحتل بطريف ثم دخل دار الحرب غازيا فنازل حصن بجير ثلاثة أشهر وضيق عليهم وبث السرايا في أرض العدو ، وردد الغارات على شريش واشبيلية ونواحيها الى أن بلغ في النكاية والاثخان غرضه وقضى من الجهاد وطره ، وهجم عليه فصل الشتاء وانقطعت الميرة عن العسكر فافرج عن الحصن ورجع الى الجزيرة الخضراء ثم عبر الى المغرب فاتح سنة احدى وتسعين وستمائة ، فتظاهر ابن الاحمر والطاغية على منعه من الجواز مرة أخرى كما نذكره الآن .

حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الأحمر : واستيلاء الطاغية على طريف بمظاهرة ابن الأحمر له عليها



لما قفل السلطان يوسف من الأندلس وقد أبلغ في نكايته العدو كما قلنا عظم على الطاغية أمره وثقلت عليه وطأته فشرع في أعمال الحيلة في الأفساد بينه وبين ابن الأحمر ، وكان ابن الأحمر يتخوف من السلطان يوسف أن يغلبه على بلاده فخلص مع الطاغية نجيا وتفاوضا في أمر السلطان يوسف وإن تمكنه من الإجازة اليهم إنما هو لقرب مسافة بحر الزقاق وانتظام ثغور المسلمين حفافيه وتصرف شوائبهم وسفنهم فيه متى أرادوا فضلا عن الأساطيل الجهادية وإن أم تلك الثغور هي طريف وإنهم إذا استمكنوا منها منعوا السلطان من العبور وكانت عينا لهم على الزقاق وكان أسطولهم بمرفئها رسدا لأساطيل صاحب المغرب الخائضة لجة ذلك البحر ، فاعتزم الطاغية على منازلة طريف وبها يومئذ مسلحة بنى مرين وتكفل له ابن الأحمر بمظاهرة على ذلك والتزم له بالمدد والميرة للعسكر أيام منازلتها على أن تكون له إن خلصت للطاغية ، وتعاهدوا على ذلك واناخ الطاغية بعساكر النصرانية على طريف وألح عليها بالقتال ونصب الآلات من المجانيق والعرادات واحاط بها برا وبحرا ، وانقطع المدد والميرة عن أهلها وحالت أساطيل العدو بينهم وبين صريخ السلطان واضطرب ابن الأحمر معسكره بمالقة قريبا من عسكر الطاغية وسرب إليه المدد من الرجال والسلاح والميرة واصناف الأوقات ، وبعث عسكرا لمنازلة حصن اسطبونة فتغلب عليه بعد مدة من الحصار ، واتصلت هذه الحال أربعة أشهر حتى أصاب أهل طريف الجهد ونال منهم الحصار فراسلوا الطاغية في الصلح والنزول عن البلد ، فصالحهم واستنزلهم وتملكها آخر يوم من شوال سنة إحدى وتسعين وستمائة ووفى لهم بما عاهدهم عليه واستشرف ابن الأحمر إلى تجاقى الطاغية له عنها حسبما تعاهدا

عليه فأعرض عن ذلك واستأثر بها بعد أن كان نزل له عن ستة من الحصون عوضاً عنها فخرج من يده الجميع ولم يحصل على طائل فكانت حاله في ذلك كحال صاحبة النعامة المضروب بها المثل عند العرب وبالله تعالى التوفيق

ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا



اعلم أن بني وطاس فخذ من بني مرين لكنهم ليسوا من بني عبد الحق وكانت الرياسة فيهم لبني الوزير منهم ، وبني الوزير يزعمون أن نسبهم دخل في مرين وانهم من أعقاب يوسف بن تاشفين اللمتوني لحقوا بالبادية ونزلوا على بني وطاس فالتحموا بهم ولبسوا جلدتهم وحازوا رياستهم ، ولما دخل بنو مرين المغرب واقتسموا أعماله كما قدمنا بقيت بلاد الريف خالصة لبني وطاس هؤلاء فكانت ضواحيها لنزولهم وأمصارها ورعاياها لجبايتهم وكان حصن تازوطا بها من أمنع معاقل المغرب ، ولما غلب الأمير ابوبكر بن عبد الحق على مكناسة وأقام فيها دعوة الحفصيين ونهض السعيد بن المامون الموحدى من مراكش لغزوه فرأى أمامه إلى حصن تازوطا هذا وتنزل به على بني الوزير هؤلاء لاجئاً اليهم ومستجيراً بهم فأرادوا الفتك به غيرة منه وحسداً له فشرع بهم وتحول عنهم إلى عين الصفا من بلاد بني يترناسن حسبما تقدم ذلك كله

ولما انقرض امر بني عبد المومن واستقام ملك المغرب لبني مرين صرفوا عنايتهم إلى هذا الحصن فكانوا ينزلون به من الحامية من يثقون بغنايته واضطلاعه ليكون آخذاً بناصية هؤلاء الرهط من بني وطاس لما يعلمون من سموهم إلى الرياسة وتطلعهم إليها ، وكان السلطان يوسف رحمه الله قد عقد على هذا الحصن لابن أخيه منصور بن عبد الواحد بن يعقوب ، وكان عمر وعامر ابنا يحيى بن الوزير رئيسين على بني وطاس لذلك العهد فاستهونوا أمر السلطان يوسف بعد موت والده وحدثوا انفسهم بالثورة في ذلك الحصن والاستبداد بتك الناحية ، فوثب عمر بن يحيى منهم بمنصور بن عبد الواحد

في شعبان من سنة احدى وتسعين وستمائة وفتك بحاشيته ورجاله وأزعجه عن الحصن وغلبه على ما كان بقصره من مال وسلاح ومتاع واعشار للبروم كانت مختزنة هنالك وضبط الحصن وشحنه برجاله ووجوه قومه ولحق منصور بن عبد الواحد بعمه السلطان يوسف فهلك ليل أسفا على ما أصابه .

وسرح السلطان يوسف وزيره الناصح أبا علي عمر بن السعود بسن خرباش الحشمي بالحاء المهملة في العساكر لمنازلة حصن تازوطا فأناخ عليه بكللكه ثم تبعه السلطان يوسف على أثره وفي صحبته عامر بن يحيى بن الوزير أخو عمر النائر ، فانه كان قد نزع اليه فأحاط السلطان بالحصن وضيق عليه حتى أشفق عمر لشدة الحصار ويثس من الخلاص وظن انه قد أحيط به فدرس الى أخيه عامر في كشف ما نزل به ، فضمن عامر للسلطان يوسف نزول أخيه ان هو تركه يصعد اليه حتى يجتمع به فأذن له السلطان يوسف في ذلك فصعد اليه وتفاوضا في أمرهما وآخر الامر أن عمر احتمل الذخيرة وفر ليلا الى تلمسان وبدا لعامر في النزول عند ما صار في الحصن فامتنع به قيل لانه بلغه أن السلطان يوسف عزم على قتله أخذا بثار ابن أخيه منصور ولافلاته أخاه من يده

واستمر على ذلك الى أن قدم على السلطان يوسف وفد الاندلس وفيهم الرئيس أبو سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة راغبا في الصلح مع ابن عمه ومعتذرا عنه فارسي أساطيله بمرسى غساسة ونزل الى السلطان وقدم بين يده هدية تناسب الحال فسمع بهم عامر الوطاسي وهو في الحصن فبعث اليهم يسألهم الشفاعة له عند السلطان يوسف لوجهتهم لديه فشفع له الرئيس أبو سعيد فقبل السلطان يوسف شفاعته بشرط أن ينتقل بحاشيته الى الاندلس وكره عامر ذلك فأظهر الرضا وقدم بين يديه جماعة من حاشيته الى المرسى وركب أكثرهم الاسطول وتأخر عامر الى جوف الليل فنزل من الحصن وخاض الفلاة الى تلمسان فبعث الخيل أثره ففاتهم وأدركوا ولده أبا الخيل فجيء به الى السلطان يوسف فبعث به الى فاس فضربت عنقه وصلب هنالك ، وأنزل السلطان يوسف بقية الحاشية من الاسطول فأمر بهم

فاستلحموا مع من كان بالحصن من أتباعهم وقرابتهم وذرياتهم ، وتلمسك
السلطان يوسف حصن تازوطة وأنزل به عماله ومسلحته وقفل الى خضرته
بفاس آخر جمادى الاولى من سنة اثنين وتسعين وستمائة
ولما كان السلطان نازلاً على تازوطة قدم عليه رجل من فرنج جنوة بهدية
جليلة فيها شجرة مموهة بالذهب عليها أطيّار تصوت بحركات هندسية مثل
ما صنع للمتوكل العباسي ، وفي هذه المدة سعى عند السلطان يوسف بأولاد
الامير أبي بكر بن عبد الحق وأنهم أرادوا الخروج عليه فحقد عليهم لذلك
وأحسوا بالشر ففروا الى تلمسان وأقاموا هنالك الى أن بعث السلطان يوسف
انهم بالامان فأقبلوا حتى اذا كانوا بصبرة من ناحية ملوية اعترضهم الامير
أبو عامر عبد الله ابن السلطان يوسف فاستلحمهم اجمعين وهو يرى انه قد
ارضى اياه بذلك الفعل ، واتصل الخبر بالسلطان يوسف
فسخطه وأقصاه وتبرأ منه فلم يزل طريداً ببلاد الريف وجبال
غمارة الى أن هلك بنى سعيد منهم آخر سنة ثمان
وتسعين وستمائة وحمل الى فاس فدفن بالزاوية التي داخل باب الفتوح
وخلف ثلاثة أولاد عامر وسليمان وداود فكفلهم جدهم السلطان يوسف الى
أن هلك فولى الامر بعده حافده عامر وبعد عامر سليمان وسيأتي ذكرهما ان
شاء الله



انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه بطنجة



لما استولى الطاغية على ظريف بمظاهرة ابن الاحمر له عليها ونقض
الطاغية عهد ابن الاحمر في النزول له عنها سقط في يد ابن الاحمر وندم
على فعله ورجع الى التمسك بالسلطان يوسف ، فوافد عليه ابن عمه الرئيس
أبا سعيد فرج بن اسماعيل ووزيره أبا سلطان عزيز الداني في وفد من أهل

حضرته لتجديد العهد وتأكيده المودة وتقرير المعذرة عن شأن طريف ، فوافوه
بمكانه من حصار تازوفا كما قدمنا فأبرموا العقد وأحكموا الصلح وانصرفوا
الى ابن الاحمر سنة اثنتين وتسعين وستمائة باسعاف غرضه من المؤاخاة
واتصال اليد ، فوقع ذلك منه أجمل موقع وطار سرورا من أعواده ، وأجمع
الرحلة الى السلطان لاحكام العقد والاستبلاغ في العذر عن واقعة طريف
والرغبة اليه في نصرة بلاد الاندلس واغاثة المسلمين الذين بها ، فتهيأ لذلك
وعبر البحر في ذي القعدة من سنة اثنتين وتسعين وستمائة واحتل بجبل
بيونش من ناحية سبتة ، ثم ارتحل الى طنجة فلقية بها الامير أبو عامر عبد
الله وأبو عبد الرحمن يعقوب ابنا السلطان يوسف وكان أبو عامر لا زال
يومئذ من أبيه بعين الرضا

ولما علم السلطان يوسف بقدمه خرج من فاس للقاءه وبرور مقدمه
فوافاه بطنجة فقدم ابن الاحمر بين يدي نجواه هدية اتحف بها السلطان
يوسف كان من أحسنها موقعا لديه المصحف الكبير الذي يقال انه مصحف
أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بنو أمية يتوارثونه بقرطبة
ثم خلص الى ابن الاحمر فاتحف به السلطان يوسف في هذه المرة ، فقبل
السلطان ذلك وكافاه بأضعافه وبالغ في تكريمه واسعفه بجميع مطالبه واراد
ابن الاحمر أن يبسط العذر عن شأن طريف فتجافى السلطان يوسف عن
سماع ذلك وأضرب عن ذكره صفحا وبر وأحفى ووصل وأجزل ، ونزل *
لابن الاحمر عن الجزيرة ورندة والغربية وعشرين حصنا من ثغور الاندلس
كانت قبل في ملكه وملكة أبيه ، وعاد ابن الاحمر الى أندلسه آخر سنة
اثنتين وتسعين وستمائة محبوا محبورا وعبرت معه عساكر السلطان يوسف
لحصار طريف ومنازلته وعقد على حربها لوزيره الشهير الذكر عمر بن
السعود بن خرباش الحشمي فنازلها مدة فامتعت عليه وافرج عنها
وفي سنة ثلاث وتسعين بعدها فرغ السلطان يوسف من بناء جامع تازا

* في النسخة الصخيخة من ابن خلدون طبع الجزائر ان النازل عن هذا الثغور هو ابن
الاحمر للسلطان يوسف وهو ما يقتضيه الحال

وعلقت به الثريا الكبرى من النحاس الخالص وزنها اثنان وثلاثون فطارا
وعدد كؤسها خمسمائة كأس واربعة عشر كاسا ، وأنفق السلطان في بناء
الجامع وعمل الثريا المذكورة ثمانية آلاف دينار ذهبا

وفي سنة أربع وتسعين بعدها خرج السلطان يوسف لغزو تلمسان فوصل
الى تاويرت وكانت تخما لعمل بنى مرين وبنى عبد الواد ، فنصفها للسلطان
يوسف ونصفها لعثمان بن يغمراسن ولكل واحد منهما بها عامل من ناحيته
فطرد السلطان يوسف عامل ابن يغمراسن وشرع في بناء الحصن الذي هنالك
فادار سورته وشيده وركب أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف على بنائه
بنفسه من صلاة الغداة الى المساء لا يغيب عن العملة الا في أوقات الضرورة ،
وفرغ من بنائه وتحصينه في رمضان من السنة المذكورة ولما تم شحنه
بالعسكر والسلاح وعقد عليه لآخيه أبى بكر بن يعقوب ويكنى أبا يحيى وانكفا
راجعا الى الحضرة ، ثم خرج من فاس سنة خمس وتسعين بعدها بقصد
تلمسان فسار حتى نزل على ندرومة فحاصرها وشدد في قتالها ورمها
بالمجنيق اربعين يوما فامتعت عليه فأفرج عنها ثانی عيد الفطر من السنة
المذكورة ، ثم دخلت سنة ست وتسعين وستمائة فسار الى تلمسان وبرز
عثمان بن يغمراسن لمدافته فانهزم وتحصن بالاسوار وتقدم السلطان يوسف
حتى نزل على تلمسان وقتل من أهلها خلقا ثم أقلع عنها ورجع الى المغرب
فقضى نسك الاضحى من السنة المذكورة برباط تازا وأمر ببناء القصر بها ،
وسار الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وتسعين وستمائة ثم ارتحل الى مكناسة
فقضى بها بعض الوطر ثم عاد الى فاس ، ثم خرج منها في جمادى الاولى من
السنة المذكورة غازيا تلمسان ومر في طريقه بمدينة وجدة فأمر ببنائها وكان
أبوه السلطان يعقوب قد هدمها كما مر فبناها السلطان يوسف في هذه المرة
وحصن اسوارها وبنى بها قسبة ودارا لسكناه وحماما ومسجدا ثم سار الى
تلمسان فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها احاطة الهالة بالقمر ونصب
عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار اخترعها
المهندسون والصناع وتقربوا الى السلطان بعملها فأعجبه وكانت تحمل على

أحد عشر بغلا ولما امتنعت تلمسان عليه أفرج عنها فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة ومر في عوده الى المغرب بوجوده فأنزل بها الحامية من بنى عسكر ابن محمد لنظر أخيه الامير أبى بكر بن يعقوب كما كانوا بتاوريرت وأمرهم بشن الغارات على أعمال تلمسان مع الساعات والاحيان ففعلوا واستولى الامير أبو بكر بذلك على أكثر تلك الجهات والله تعالى أعلم



فتكة ابن المليانى بشيوخ المصامدة وتزوير الكتاب بهم والسبب فى ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على فتح جبل تينملل أن أبى على المليانى كان قد سعى فى نبش قبور بنى عبد المومن والبعث بأشلائهم وأن الناس قد عاضهم ذلك لاسيما المصامدة منهم ، ولما هلك السلطان يعقوب وولى بعده ابنه يوسف استعمل أبى على المليانى على جباية المصامدة فباشرها مدة ثم سعى به شيوخ المصامدة عند السلطان بأنه احتجج المال لنفسه ، فأمر السلطان بمحاسبته فحوسب وظهرت مخايل صدقهم عليه فنكبه السلطان يوسف أولا ثم قتله ثانيا ، واصطنع ابن أخيه أبى العباس (*) أحمد بن على المليانى واستعمله فى كتابته وأقامه بابيه فى جملة كتابه ، وكان السلطان يوسف قد سخط على بعض شيوخ المصامدة منهم على بن محمد كبير هتاتة وعبد الكريم بن عيسى كبير قدميوة وأوعز الى ابنه الامير على بن يوسف بمراكش باعتقالهما فاعتقلهما فيمن لهما من الولد والحاشية ، وأحسن بذلك أحمد بن المليانى فاستعجل الثار الذى كان يعتده عليهم فى عمه أبى على

وكانت العلامة السلطانية يومئذ موكولة الى كتاب الدولة لم تختص بواحد منهم لما كانوا كلهم ثقات أمناء وكانوا عند السلطان كاسنان المشط فكتب أحمد بن المليانى الى الامير ابى على كتابا على لسان والده يأمره فيه أمرا جزما بقتل مشيخة المصامدة ولا يمهلهم طرفة عين ووضع عليه العلامة

* انظر ترجمته فى الاحاطة ج - ١ - ص ١٤٩

التي تنفذ بها الاوامر السلطانية وختم الكتاب وبعث به مع البريد ، قال ابن الخطيب : « ولما أكد على حامله في العجل وضايقه في تقدير الاجل تأنى حتى اذا علم أنه قد وصل وأن غرضه قد حصل فر الى تلمسان وهي بحال حصارها فانصل بأنصارها حالا بين أنوفها وأبصارها وتعجب الناس من فراره وسوء اغتراره ورجمت الظنون في آثاره ثم وصلت الاخبار بتمام الحيلة واستيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة فتركها شنعاء على الايام وعارا في الاقاليم على حملة الاقلام » اه ولما وصل الكتاب الى ولد السلطان أخرج أولئك الرهط المعتقلين الى مصارعهم وحكم السيف في رقاب جميعهم فقتل على بن محمد الهنتاتي وولده وعبد الكريم بن عيسى القديوى وبنوه الثلاثة عيسى وعلي ومنصور وابن أخيه عبد العزيز بن محمد ، وطير الامير على بالاعلام السى والده مع بعض وزرائه وهو يرى أنه قد امتثل الامر واستوجب الشكر فلما وصل الرسول بالخبر الى السلطان يوسف بطش به فقتله غيظا عليه وأنفذ البريد في الحال باعتقال ولده وقام وقعد لذلك ومن ذلك الوقت قصر السلطان علامته على من يختاره من ثقات الكتاب وعدولهم ، وجعلها يومئذ للفقير الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مدين وكان من الكفاة المضطلعين بأمور الدولة المتحملين للكثير من أعبائها ، وأما ابن الملياني فانه فر الى تلمسان والسلطان يوسف محاصر لها ولما وقع الافراج عنها بعد حين انتقل الى اليندلس فبقى هنالك الى أن توفي بغرناطة سنة خمس عشرة وسبعمائة ومن شعره يفخر بهذه الفعلة وغيرها قوله :

العز ما ضربت عليه قبابى	والفضل ما اشتملت عليه ثيابى
والزهر ما أهداه غصن يراعتى	والمسك ما أبداه نفس كتابى
فالمجد يمنع أن يزاحم موردى	والعزم يابى أن يضام جنابى
فاذا بلوت صنيعة جازيتها	بجميل شكرى او جزيل ثوابى
واذا عقدت مودة اجريتها	مجرى طعامى من دمي وشرابى
واذا طلبت من الفراقد والسهى	ثارا فأوشك أن أنال طلابى

الحصار الطويل وما تخلل ذلك من الاحداث على تلمسان



تقدم لنا أن السلطان يوسف لما رجع من محاصرة تلمسان فاتح سنة ثمان وتسعين وستمائة مر في طريقه بوجدة فأنزل بها الحامية من بني عسكر الى نظر أخيه الامير أبي بكر وأمره بشن الغارات على أعمال بني زيان فامتثل الامير أبو بكر أمره والح على النواحي بالغارات وافساد السابلة ، فضاق أهل ندرومة بذلك ذرعا وأوفدوا وفدا منهم على الامير أبي بكر يسألونه الامان لهم ولبن وزاءهم من قومهم على أن يمكنوه من قياد بلدهم ويدينوا بطاعة السلطان يوسف فبذل لهم من ذلك ما أرضاهم ، ونهض الى البلد فدخله بعسكره وتبعهم على ذلك أهل تاونت فأوفد الامير أبو بكر جماعة من أهل البلدين على أخيه السلطان يوسف فقدموا عليه منتصف رجب من سنة ثمان وتسعين المذكورة فأدوا طاعتهم قبلها ، ورجعوا اليه في الحركة الى بلادهم ليريحهم من ملكة عدوه وعدوهم عثمان بن يغمراسن ووصفوا له من عسقه وجوره وضعفه عن الحماية ما أكد عزيمة على النهوض ، فنهض لحيته من فاس في رجب المذكور بعد أن استكمل حشده ونادى في قومه وعرض عسكره وأجزل أعطيائهم وأزاح عنهم ، وسار في التعية حتى نزل بساحة تلمسان ثاني شعبان سنة ثمان وتسعين وستمائة فأناخ عليها بكلكله ورفض قبالتها على تراثبه وأنزل محله بفنائها وأحاط بجميع جهاتها ، وتحصن يغمراسن وقومه بالجدران وعولوا على الحصار .

ولما رأى السلطان يوسف ذلك أدار سورا عظيما جعله سياجا على تلمسان وما اتصل بها من العمران وصيرها في وسطه ، ثم أردف ذلك السور من ورائه بحفير بعيد المهوى وفتح فيه مداخل لحربها ورتب على أبواب تلك المداخل مسالح تحرسه ، وأوعد بالعقاب من يختلف الى تلمسان برفق أو يتسبل اليها بقوت وأخذ بمخنقتها من بين يديها ومن خلفها حتى لم يخلص اليها الطير لا بل الطيف ، واستمر مقيما عليها كذلك مائة شهر ، ولما دخلت

سنة اثنتين وسبعمائة اختط الى جانب ذلك السور بمكان فسطاطه وقبابه قصرًا لسكناه واتخذ به مسجدًا لصلاته وأدار عليهما سورا يحرزهما ، ثم أمر الناس بالبناء حول ذلك فبنوا الدور الواسعة والمنازل الرحبية والقصور الانيقة واتخذوا البساتين وأجروا المياه ، وأمر السلطان باتخاذ الحمامات والفسادق والمارستان ، وابتنى مسجدًا جامعًا أقامه على الصهرريج الكبير وشيد له منارا رفيعًا وجعل على رأسه تفافيح من ذهب صير عليها سبعمائة دينار ثم أدار السور على ذلك كله فصارت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل اليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق وسماها المنصورة ، فكانت من أعظم أمصار المغرب وأحفلها الى أن خربها آل يغمراسن عند مهلك السلطان يوسف وارتحال جيوشه عنها ، ولما تمكن السلطان يوسف من حصار تلمسان سرح كتائبه وسراياه فى أعمالها وحصونها فاستولى فى مدة قريبة على ندرومة وهنين ووهران وتالموت وتامزردكت ومستغانم وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة ووانشريس ومليانة والقصبات ولمدية وتافرجينت ، وجميع بلاد بنى عبد الواد وبلاد بنى توجين وبلاد مغراوة وبايعه ابن علان صاحب الجزائر وأخذ رعبه بملوك النواحي ، وكانت دولة بنى أبى حفص يومئذ قد انقسمت بقسمين فصار كرسى منها بتونس وآخر بجاية فتنافس صاحب تونس وصاحب بجاية فى مصانعة السلطان يوسف والتقرب اليه بالهدايا والتحف وصار السلطان يوسف فى ذلك الوقت ملك المغرب على الحقيقة والاطلاق والله غالب على أمره



نكبة بنى وقاصة من يهود فاس

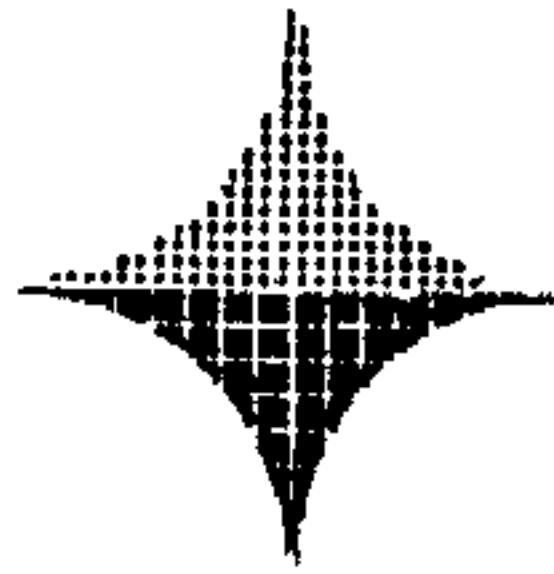


كان بنو وقاصة هؤلاء من يهود ملاح فاس وكانوا مداخلين للسلطان يوسف من صغره الى كبره ، وكانوا يتولون قهرمة داره ويقضون أموره الخاصة به ويخلصون الى الكثير من باطن أمره ، قد التحموا به التحامًا

وامتزجوا به امتزاجا يجالسونه فى خلواته وينادمونه فى أنسه ، فعظم
 جاههم عند الحاشية لاقبال السلطان عليهم واستتبعوا الوزراء فمن دونهم من
 رجال الدولة ، وتعددت فيهم الرؤساء والقهارمة فكان منهم خليفة بن وقاصه
 وأخوه ابراهيم وصهره موسى بن السبتي وابن عمه خليفة الاصغر وغيرهم
 واستمروا على ذلك برهة من الدهر ، ثم ان السلطان يوسف استفاق استفاقة
 والتفت اليهم التفاتة وراجع بصيرته فى شأنهم فأهمه أمرهم وشعر كاتبه بذلك
 القائم بأمر دولته أبو محمد عبد الله بن أبى مدين ، فسعى عنده فيهم
 وأوجده السبيل عليهم فسطا بهم سطوة منكرا واعتقلوا فى شعبان من سنة
 احدى وسبعمائة بمعسكره من حصار تلمسان وقتل خليفة الكبير وأخوه
 ابراهيم وموسى بن السبتي واخوته بعد أن امتحنوا ومثل بهم وأتت النكبة
 على حاشيتهم وأقاربهم فلم تبق منهم باقية ، الا أن السلطان استبقى منهم
 خليفة الاصغر احتقارا لشأنه حتى كان من قتله بعد ما نذكره ، وعبت بسائرهم
 وطهرت الدولة من رجسهم وأزيل منها معرة رياستهم والامور بيد الله
 سبحانه

ثم لما كانت سنة ثلاث وسبعمائة توفى عثمان بن يغمراسن فى الحصار
 عقب شربة لبن يقال أنه جعل فيها سما وشربه فعل ذلك بنفسه تفاديا من معرة
 غلبة عدوه عليه ، فاجتمع بنو عبد الواد لحينهم وبايعوا ابنه محمد بن عثمان
 واجتمعوا عليه ثم برزوا الى قتال عدوهم على العادة حتى كان عثمان لم يمت
 وبلغ الخبر الى السلطان يوسف فتفجع على عثمان وعجب من صرامة قومه من
 بعده

﴿الاستقصا ناك 6﴾



انتقاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبي سعيد على سبتة



كان محمد بن الاحمر المعروف بالفقيه قد هلك سنة احدى وسبعمائة ، وولى الامر بعده ابنه محمد المعروف بالمخلوع واستبد عليه كاتبه أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ، وكان من أول ما فعله محمد المخلوع بعد استقلاله بالامر المبادرة الى احكام عقد الموالاة بينه وبين السلطان يوسف فأوفد عليه وزير أبيه أبا سلطان عبد العزيز بن سلطان الداني ووزيره الكاتب أبا عبد الله بن الحكيم ، فوصلا الى السلطان يوسف بمعسكره من حصار تلمسان فلقاهما بالقبول والمبرة وجددت لهما أحكام الود والولاية وانقلبا الى مرساهما خير منقلب وطلب السلطان منهما أن يمدوه بالرجل من عسكر الاندلس وناشبتهم المعودين منازل الحصون والمثاغرة بالرباط فأسغفوه ، ثم فسد ما بينهما لمنافسات جرت الى ذلك فانتقض ابن الاحمر وعاد لسنة سلفه من موالاة الطاغية وممالاته على المسلمين أهل المغرب وأحكم العهد مع هراندة بن سانجة من بني اذفونش ملوك قشتالة خذلهم الله

ثم أوعز ابن الاحمر الى ابن عمه الرئيس أبي سعيد فرج بن اسماعيل صاحب مالقة في اعمال الحيلة في الغدر بأهل سبتة ففعل ، وداخل في ذلك بعض عمال بني العزفي بها فأمكنه من البلد فآقتحمها بأساطيله وجنده على حين غفلة من أهلها وتقبض على بني العزفي وعلى حاشيتهم وأركبهم الاسطول وبعث بهم الى مالقة ثم منها الى غرناطة فلقاهم ابن الاحمر واحتفل لهم وأنزلهم بقصوره وأجرى عليهم النفقة واستقروا بالاندلس برهة من الدهر ثم عادوا الى المغرب كما نذكر واستبد الرئيس أبو سعيد بأمر سبتة وثقف اطرافها وسد ثغورها وبلغ الخبر بذلك الى السلطان يوسف فحمى أنفه وعظم عليه الامر فبعث ولده الامير أبا سالم ابراهيم في جيش كثيف الى حصارها وحشد اليها قبائل الريف وقبائل تازا فلم يغن شيئا ورجع مهزوما فسخطه السلطان لذلك وأهمله وبقي على ذلك الى وفاة السلطان رحمه الله وكان انتقاض ابن الاحمر سنة ثلاث وسبعمائة

ثورة عثمان بن أبي العلاء بجبال غمارة



كان عثمان بن أبي العلاء ادريس بن عبد الحق من أعياص الملك المريني وكان قد قدم من الاندلس في صحبة الرئيس أبي سعيد عند استيلائه على سبتة ثم ثار بعد ذلك ببلاد غمارة ودعا لنفسه وبقي متنقلا هنالك مدة ، فتغلب على تكساس وآصيلا والعرايش وانتهى الى قصر كتامة وخب في الفتنة ووضع الى أن الحق بالاندلس لاول دولة السلطان أبي الربيع فولى بها مشيخة الغزاة وكانت له في جهاد العدو اليد البيضاء كما سيأتي ان شاء الله .

وفي سنة ثلاث وسبعمائة بعث السلطان يوسف وهو محاصر لتلمسان ركب الحاج المغربي الى الحرمين الشريفين ، واعتنى بشأن هذا الركب فبعث معهم حامية من زناتة تناهز خمسمائة فارس من الابطال ، وخاطب صاحب الديار المصرية لعنده وهو الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى من مماليك بنى أيوب المعروفين بالبحرية ، واستوصاه بحاج أهل المغرب وأتحفه بهدية استكثر فيها من الخيل العرب والمطايا الفارهة يقال كان عدد الخيل والمطايا أربعمائة الى غير ذلك مما يناسب من طرف المغرب وما عونه وبعث معهم الى حرم مكة مصحفا ضخما اعتنى به واستكبه وجعل له غشاء مكللا بنفيس الدر وشريف الياقوت ورفيع الاحجار ، ونهج السلطان يوسف رحمه الله بهذا الركب والهدية السيل لحاج المغرب فأجمعوا الحج سنة أربع بعدها فاجتمع منهم عدد وافر وركب ضخم فعقد السلطان يوسف على دلالتهم لابي زيد الغفارى وفصلوا من تلمسان في شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وفي شهر ربيع الاخر بعده قدم حاج الركب الاول الذين حملوا المصحف والهدية ووفد معهم على السلطان يوسف شريف مكة السيد ليبة بن أبي نمى نازعا عن سلطان النرك صاحب مصر لما كان قد قبض على أخويه حميضة ورميثة بعد مهلك أبيهم أبي نمى صاحب مكة ، فاستبلغ السلطان يوسف في اكرامه والتنويه بقدره وسرحه الى المغرب ليجول في أقطاره

ويطوف على معالم الملك وقصوره ، وأوعز الى العمال بالبرور به واتحافه على . يناسب قدره ، ورجع هذا الشريف الى حضرة السلطان من تلمسان سنة خمس وسبعمائة ثم فصل منها الى مشرقه ، وفي شعبان من هذه السنة قدم أبو زيد الغفاري دليل ركب الحاج الثاني ومعه بيعة الشرفاء أهل مكة للسلطان يوسف لما كان صاحب مصر قد آسفهم بالتقبض على اخوانهم وكان ذلك شأنهم متى غاظهم السلطان وأهدوا الى السلطان يوسف ثوبا من كسوة الكعبة أعجب به فاتخذ منه ثوبا للبوسه في الجمع والاعياد كان يستبطنه بين ثيابه تبركا به

وأما الملك الناصر صاحب مصر فانه كافأ السلطان يوسف على هديته بأن جمع من طرف بلاد المشرق ما يستغرب جنسه وشكله من الثياب والحيوانات ونحو ذلك مثل الفيل والزرافة ونحوهما وأوفد به مع عظماء دولته وفصلوا من القاهرة آخر سنة خمس وسبعمائة فوصلوا الى السلطان يوسف وهو بالمنصورة في جمادى الآخرة سنة ست بعدها واهتز لقدمهم وأركب الناس للقيهم وأكرم وفادتهم وبعثهم الى المغرب للتطوف به على العادة في مبرة أمثالهم ، وهلك السلطان يوسف أثناء ذلك وأفضى الامر الى حافده أبي ثابت فاحسن منقلبهم وملا حقايبهم وفصلوا من المغرب الى بلادهم في ذى الحجة من سنة سبع وسبعمائة ، ولما انتهوا الى بلاد بني حسن في ربيع من سنة ثمان بعدها اعترضتهم الاعراب بالقفر فانتهبوهم وخلصوا الى مصر بجريعة الذقن فلم يعاودوا بعدها الى المغرب سفرا ولا لفتوا اليه وجها وطالما أوفد عليهم ملوك المغرب بعدها من رجال دولتهم من يوبه له ويهادونهم ويكافئون ولا يزيدون في ذلك كله على الخطاب شيئا



وفاء السلطان يوسف رحمه الله



كان السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله قد اتخذ في جملة حاشيته ومماليكه خصيا اسمه سعادة وكان هذا الخصى قد تصير اليه من جهة أبي علي الملياني أيام كان عاملا له على مراکش وكان السلطان يوسف في ابتداء أمره يخلط الخصيان بأهله ولا يحجبهم عن حرمة وعياله ثم حدثت للسلطان ريبة في بعض الخصيان فاعتقل جملة منهم كان فيهم عنبر الكبير عريفهم ، وحجب سائرهم فارتاعوا لذلك وفسدت نياتهم فسولت لهذا الخصى الخبيث نفسه الشيطانية الفتك بالسلطان فعمد اليه وهو في بعض حجر قصره فاستأذن عليه فأذن له فالفاه مستلقيا على فراشه مختضا بحساء فوثب عليه وطعنه طعنات قطع بها امعاه وخرج هاربا وانطلق بعض الاولياء في أثره فأدركه من العشى بناحية تاسلة فقبض عليه وجيء به الى القصر فقتله العبيد والحاشية وصابر السلطان يوسف منيته الى آخر النهار ثم قضى رحمه الله يوم الاربعاء سابع ذي القعدة من سنة ست وسبعمائة (*) وقبر هنالك ثم نقل بعد ما سكنت الهيعة الى مقبرتهم بشالة فدفن بها مع سلفه وأطلال ضريحه لازالت ماثلة الى الان

وبموت السلطان يوسف انقضت مدة الحصار عن آل يغمراسن وقومهم من بني عبد الواد وسائر أهل تلمسان وكانت المدة في ذلك مائة شهر كما قلنا نالهم فيها من الجهد والشدة ما لم ينل أمة من الامم واضطروا الى أكل الجيف والقطوط والفيران ، حتى أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الناس وخربوا السقوف للوقود وغلت أسعار الاقوات والحبوب وسائر المرافق بما

* وزعم التونسي ان رجلا ممن يشار لهم بالصلاح من اهل أغمات جاء الى السلطان يوسف وهو تحت اسوار تلمسان ورغب منه ان يرفع الحصار عن بني زيان فرفض السلطان طلبه فتأثر الرجل من ذلك وانصرف وهو يقول : « سيحدث بعد حادث يكون فيه ما طلبت » ثم ساق ذكر فتك الخصى بعد بالسلطان يوسف رحمه الله

تجاوز حد العادة وعجز وجدهم عنها فكان ثمن مكيال القمح ومقداره اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفاً من الذهب العين وثمان الشخص الواحد من البقر ستين مثقالاً ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصفاً وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمان المثقال ومن الخيل بعشر المثقال والرطل من الجلد البقرى مئة أو مذكى بثلاثين درهما والهر الداجى بمثقال ونصف والكلب بمثله والفأر بعشرة دراهم والحية بمثل ذلك والدجاجة بثلاثين درهما والبيض واحدة بستة دراهم والعصافير كذلك والواقية من الزيت باثنى عشر درهما ومن السمن بمثلها ومن الشحم بعشرين درهما ومن الملح بعشرة دراهم ومن الحطب كذلك والاصل الواحد من الكرنب بثلاثة أثمان المثقال ومن الخس بعشرين درهما ومن اللنت بخمسة عشر درهما والواحدة من القناء والفقوس باربعين درهما والخيار بثلاثة أثمان الدينار والبطيخ بثلاثين درهما والحبة من التين والاجاص بدرهمين ، واستهلك الناس أموالهم وموجودهم وضائق أحوالهم وهلكت حاميتهم فاعتزموا على الالتقاء باليد والخروج للاستماتة فهياً الله لهم الصنع الغريب ونفس عن مخنقهم بمهلك السلطان يوسف على يد الخصى المريب وأذهب الله العناء عن آل زيان وقومهم وخرجوا كأنما نشروا من القبور وكتبوا بعد هذه الحادثة فى سكتهم : « ما أقرب فرج الله » استغراباً لها (*)

قال ابن خلدون : حدثنى شيخنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلى قال: جلس السلطان أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن صبيحة يوم الفرج وهو يوم الاربعاء سابع ذى القعدة فى زاوية من زوايا قصره يفكر واستدعى ابن جحاف خازن الزرع فسأله كم بقى من الاهراء والمطامير المختومة فقال له : انما بقى عولة اليوم وغد فاستوصاه بكتمان ذلك وبينما هم يتذاكرون فى ذلك دخل عليهم أخوه أبو حموا فأخبروه بذلك فوجم وجلسوا سكوتاً لا ينطقون واذا بدعد قهرمانه القصر وكانت وصيفة من وصائف بنت السلطان أبى

* ذكر صاحب بغية الرواة انه بلغ فى هذا الحصار عدد موتى اهل تلمسان قتلاً وجوعاً زهاء مائة الف وعشرين الفاً ص ١٢٥ طبع الجزائر سنة ١٣٢١ - ١٩٠٣

اسحق حظية أبيهم قد خرجت من القصر اليهم وحيثهم وقالت لهم : « تقول لكم حظايا قصركم وبنات زيان حرمكم : » ما لنا وللبقاء وقد أحيط بكم واسف عدوكم لالتهامكم ولم يبق الافواق ناقة لمصارعكم فأريحونا من معرة السبى وقربونا الى مصارعنا وأريحوا أنفسكم فينا فالحياة في الذل عذاب والوجود بعدكم عدم» فالتفت أبو حموا الى أخيه أبي زيان وكان من الشفقة بمكان فقال : «قد صدقتك الخبر فما تنتظر بهن» فقال : « ياموسى أرجئنى ثلاثا لعل الله يجعل بعد عسر يسرا ولا تشاورنى بعدها فيهن بل سرح اليهود والنصارى الى قتلهن وتعال الى نخرج مع قومنا الى عدونا فنستमित ويقضى الله ما شاء » فغضب ابو حموا وانكر عليه التأخير فى ذلك وقال : « انما نحن والله نتربص المعرة بهن وبأنفسنا » وقام عنه مغضا وجهش السلطان ابو زيان بالبكاء قال ابن جحاف : «وأنا بمكانى بين يديه لأملك متأخرا ولا متقدما الى أن غلب عليه النوم فما راعنى الا حرسى بالباب يشير الى أن أعلم السلطان بمكان رسول جاء من محلة بنى مرين وها هو بسدة القصر » قال ابن جحاف : « فلم أطق رد جوابه الا بالإشارة » واتبه السلطان من همسنا فرعا فأعلمته فاستدعاه للحين فلما وقف بين يديه قال : « ان السلطان يوسف بن يعقوب هلك الساعة وأنا رسول حافده أبى ثابت اليكم » فاستبشر السلطان أبوزيان واستدعى أخاه وقومه حتى بلغ الرسول المذكور رسالته بمسمع منهم فكانت احدى المغربات فى الايام وكان من خبر هذه الرسالة أن السلطان يوسف لما هلك تطاول للامر بعده القرابة من اخوته وولده وحفدته وتحيز حافده أبو ثابت الى بنى ورتاجن لخوالة كانت له فيهم فاستجاش بهم واعصوبوا عليه وبعث الى بنى زيان أن يعطوه آلة الحرب ويكونوا مفزعا له ان أخفق مسعا على أنه ان تم أمره قوض عنهم معسكر بنى مرين وافرغ عنهم ، فعاقدوه على ذلك فوفى لهم لما تم أمره ونزل لهم عن جميع الاعمال التى كان السلطان يوسف غلب عليها من بلادهم ورحلوا الى مغربهم والله غالب على أمره



بقية اخبار السلطان يوسف وسيرته



كان السلطان يوسف رحمه الله أبيض حسن القد مليح الوجه أفنى
الانف مهيا لا يكاد أحد يبدأه بالكلام جوادا مشفقا على الرعية متفقدنا لحوالها
سجعا شهما ذا عزيمة .

إذا هم ألقى بين عينيه همه ونكب عن ذكر العواقب جانبا
وهو أول من هذب ملك بني مرين وأكسبه رونق الحضارة وبهاء الملك
وكان غليظ الحجاب لا يكاد يوصل اليه الا بعد الجهد ، ومن أعيان كتابه
الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبي مدين العثماني ، ومن أعيان شعرائه أبو
الحكم مالك بن المرحل السبتي وأبو فارس عبد العزيز الملوذي المكناسي
وغيرهما والله تعالى أعلم

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث (ففي سنة ست وخمسين
وستمائة) وهي السنة التي بويح فيها السلطان يعقوب بن عبد الحق كان
الرخاء المفرط بالمغرب بحيث كان الدقيق يباع بفاس وغيرها ربع منه بدرهم
والقمح ستة دراهم للصحفة والشعير ثلاثة دراهم للصحفة ، وأما القطاني
فلم يكن لها ثمن والعسل ثلاثة أرطال بدرهم والزيت أربعون أوقية بدرهم
والزبيب درهم ونصف للربع والتمر ثمانية أرطال بدرهم واللوز صاع بدرهم
والشابل الطرى فردة بقيراط والملح حمل بدرهم ولحم البقر مائة أوقية
بدرهم ولحم الضأن سبعون أوقية بدرهم والكبش بخمسة دراهم وهكذا
وفي سنة احدى وستين وستمائة ظهر النجم أبو الذوائب وكان ابتداء
ظهوره ليلة الثلاثاء الثاني عشر من شعبان من السنة المذكورة وبقي يطلع كل ليلة
وقت السحر نحو من عشرين يوما

وفي سنة أربع وستين وستمائة كان دخول الشريف المولى حسن بن
قاسم الحسنى من أرض ينبع الحجاز الى سجلماسة وهذا الشريف هو جد
الاشراف العلويين السجلماسيين ملوك المغرب الاقصى في عصرنا هذا أعلى

الله تعالى قدرهم وخذل مجدهم وفخرهم ، وعند الكلام على دولتهم السعيدة نذكر كيفية دخول هذا الشريف الى المغرب والسبب فيه ان شاء الله
وفي سنة ست وستين وستمائة سرق من بيت المال بقصبة فاس اثنا عشر
ألف دينار وثلاث قلائد يساوين أكثر من ذلك

وفي حدود السبعين وستمائة كان ظهور البارود على ما مر من أن
السلطان يعقوب بن عبد الحق فتح به سجلماسة في هذه المدة والله تعالى
أعلم

وفي سنة سبع وسبعين وستمائة بنى المسجد الجامع بفاس الجديد ،
وفي سنة تسع وسبعين وستمائة علقته به ثرياه وذلك يوم السبت السابع
والعشرين من ربيع الاول منها ووزن هذه الثريا سبعة قناطير وخمسة عشر
رطلا وعدد كؤسها مائتا كأس بالثنية وسبع وثمانون كأسا وفيها كان الجراد
العام بالمغرب أكل الشجر والزرع ولم يترك خضراء على وجه الارض وبلغ
القمح عشرة دراهم للصاع

وفي سنة ثمانين وستمائة بنيت قنطرة وادي النجاة وقنطرة ماريـج
وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة كان بالمغرب قحط شديد لم ير الناس
قنطرة ماء حتى كان اليوم السابع والعشرون من رمضان وهو اليوم الذي
توفيت فيه الحرة أم العز بنت محمد بن حازم العلوية من بني علي بن عسكر
وهي أم السلطان يوسف فغاث الله العباد وأحيى برحمته البلاد

وفي سنة خمس وثمانين وستمائة بنيت قصبة تطاوين وفيها ركبت
الناعورة الكبرى على وادي فاس شرع في عملها في رجب من السنة
المذكورة ودارت في صفر من السنة بعدها

وفي سنة ست وثمانين وستمائة بنى سور قصر المجاز وركبت أبوابه
وفيها غرس بستان المصارة بفاس الجديد وبنيت الدار البيضاء بها أيضا

وفي سنة تسع وثمانين وستمائة كانت الريح الشرقية المتوالية الهبوب
ونشأ عنها القحط الشديد واستمر ذلك الى آخر سنة تسعين بعدها فرحم الله
بلادهم وعبادهم وفيها توفي الشيخ الصالح أبو يعقوب الاشقر بالكندرتين من

بلاد بنى بهلول من أحواز فاس ولعل أبا يعقوب هذا هو الذى تنسب اليه
الحملة التى قدمنا الكلام عليها فى أخبار المنصور الموحدى والله أعلم وفيها
بنى المسجد الجامع بمدينة تازا وبنى قبة مكناسة الزيتون ورباعها

وفى سنة احدى وتسعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق بعمل المولد النبوى وتعظيمه والاحتفال له (*) وصوره عيداً من الاعياد
فى جميع بلاده وذلك فى شهر ربيع الاول من السنة المذكورة وكان الامر
به قد صدر عنه وهو بصيرة من بلاد الريف فى آخر صفر من السنة فوصل
برسم اقامته بحضرة فاس الفقيه أبو يحيى بن أبى الصبر واعلم أنه قد
كان سبق السلطان يوسف الى هذه المنقبة المولدية بنو العزفى أصحاب سبته
فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب والله تعالى أعلم

وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة كان كسوف الشمس وذلك قـرب
زوال يوم الاحد التاسع والعشرين من رجب من السنة المذكورة كسف منها
نحو الثلثين وصلى بالناس صلاة الكسوف بجامع القرويين من فاس الخطيب
أبو عبد الله بن أبى الصبر حتى انجلت فخرج من المحراب ووقف بازائه
فوعظ الناس وذكرهم وفى هذه السنة رفعت أيدي الموثقين من الشهادة بفاس*
ولم يبق بها منهم سوى خمسة عشر رجلاً من أهل العدالة والمعرفة وكانوا
قبل ذلك أربعة وتسعين وكان ذلك يوم الاثنين الحادى عشر من شوال من
السنة المذكورة وفيها كانت المجاعة الشديدة والوباء العظيم عم ذلك بلاد
المغرب وافريقية ومصر فكانت الموتى تحمل اثنين وثلاثة وأربعة على المغتسل
وبلغ القمح عشرة دراهم للمد والدقيق ست أواق بدرهم وأمر السلطان
يوسف بتبديل الصيعان وجعلها على مد النبى صلى الله عليه وسلم وكان ذلك

(*) يعنى بالمغرب واما بالمشرق فاول من أحدثه الملك المظفر صاحب اربل فى
اواخر المائة السادسة انظر ترجمته فى حرف الكاف من وفيات الاعيان .
* وذكر فى الفائق ان السلطان ابا عنان المرينى الاتى امر بالاقصاء على عشرة
من الشهود بمدينة مكناسة انظر تمام كلامه

بالحضرة على يد الفقيه أبى فارس عبد العزيز الملزوزى الشاعر المشهور .
ثم دخلت سنة أربع وتسعين وستمائة فيها صلح أمر الناس وانجبرت
أحوالهم ورخصت الاسعار فى جميع الامصار فبيع القمح بعشرين درهما
للصحفة وفى هذه السنة كسفت الشمس أيضا الكسوف الكلى بحيث غاب
قرص الشمس كله وصار النهار ليلا كالحالة التى تكون ما بين العشاءين
وظهرت النجوم وماج الناس وضافت نفوسهم ولولا أن الله سبحانه تداركهم
بسرعة انجلائها لهلكوا جزعا وكان ذلك بعد صلاة ظهر الثلاثاء الثامن
والعشرين من ذى الحجة من سنة أربع وتسعين المذكورة
وفى سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب مدينته المنصورة
بازاء تلمسان وهو محاصر لها الحصار الطويل حسبما مر الخبر على ذلك
مستوفى وبالله تعالى التوفيق



الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف

ابن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله

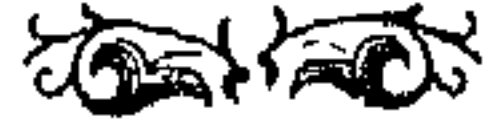


قد تقدم لنا أن أبا عامر عبد الله ابن السلطان يوسف كان قد اتبذ عن
أبيه وبقي متنقلا فى جهات الريف وبلاد غمارة الى أن هلك فى بلاد بنى
سعيد منهم ، وانه خلف ثلاثة أولاد أحدهم أبو ثابت عامر بن عبد الله هذا
الذى ولى الامر بعد جده ، وذلك أنه لما هلك السلطان يوسف رحمه الله
بالمنصورة كما تقدم كان حافده أبو ثابت هذا فى جملة وكان له فى بنى
ورتاجن من أهل تلك البلاد خؤلة فلحق بهم ودعا لنفسه فبايعوه وقاموا معه
فى أمره ، وبايعه معهم أشياخ بنى مرين والعرب بظاهر المنصورة يوم الخميس
ثانى يوم وفاة جده يوسف وبادر الحاشية والوزراء ومن شايعهم بداخل
المنصورة الى بيعة الامير أبى سالم بن السلطان يوسف وكاد أمر بنى مرين
يفسد وكلمتهم تتفرق فبعث السلطان أبو ثابت لحيته وكان شهما مقداما الى

صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو ابني عثمان بن يغمراسن فعقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم بجموعه وأن يمدوه بالآلة ويرفعوا له كسر بيتهم ويضموه اليهم ان خاب أمله ولم يتم له أمر فأجابوه الى ذلك ، وحضر العقد أبو حمو فأحكمه وشرط عليه السلطان أبو ثابت أن لا يتعرضوا لمدينة جده المنصورة بسوء وأن يتعاهدوا مساجدها وقصورها بالاصلاح وان من أراد الإقامة بها من أهلها فما لاحد عليه من سبيل لان الناس كانوا قد استوطنوها وألفوها وطب مقامهم بها وتائلوا بها الاثاث والمتاع والخرثى وسائر الماعون مما يشبط المرتحل ويثقل جناح الناهض فقبل أبو حمو ذلك كله

وتفرغ السلطان أبو ثابت لشأنه وجمع كلمة قومه واختل أمر أبي سالم فلم يتم وكب السلطان أبو ثابت الى حامية بنى مرين وحصصها التي كانت متفرقة في الثغور الشرقية التي استولى عليها السلطان يوسف أيام حياته فأقبلوا اليه ينسلون من كل حدب وأسلموا البلاد الى أهلها من بنى عبد الواد وقتل السلطان أبو ثابت عمه أبا سالم بن يوسف ثم اتبعه بعم أبيه أبي بكر بن يعقوب في آخرين من القرابة وغيرهم ممن يتوقع منه الشر ، وفر بقيسة القرابة خشية على أنفسهم من سطوة أبي ثابت فلحقوا بعثمان بن أبي العلاء الثائر بجبال غمارة من عهد السلطان يوسف فشايعوه على أمره وتقوى بهم على ما نذكره ثم ارتحل السلطان أبو ثابت قاصدا حضرة فاس في جموع لاتحصى وأمم لاتستقصى فعيد عيد الاضحى من سنة ست وسبعمائة في طريقه بين تلمسان ووجدة ثم نهض الى فاس فدخلها فاتح سنة سبع وسبعمائة ثم نهض بعد ذلك الى مراكش على ما نذكره ، ولما علم بنو يغمراسن أن أبا ثابت قد أبعدهم وأنه توغل في البلاد المراكشية واشتغل بحروب الثائرين بها عمدوا الى المنصورة فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحووا آثارها فأصبحت كأن لم تكن بالامس

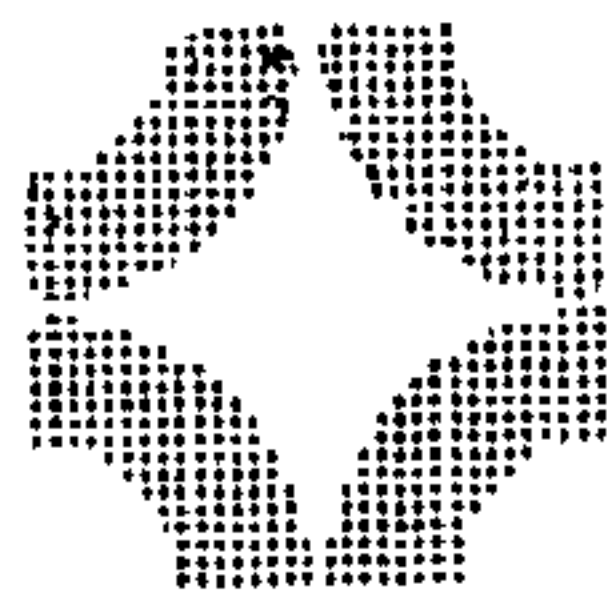
ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق وما كان من أمره



كان السلطان أبو ثابت لما فصل من تلمسان قدم بين يديه ابن عمه الحسن ابن عامر بن عبد الله بن يعقوب وأمره بالنظر في أحوال فاس والمغرب ، وأمره بضبطها وتسريح سجونها ورد مظالمها وتفريق الاموال على الخاصة والعامة ففعل ، ولما قدم حضرة فاس عقد لابن عمه يوسف بن محمد بن أبي عياد بن عبد الحق على مراكش ونواحيها وعهد اليه بالنظر في أحوالها وضبطها فصمد اليها واحتل بها وتمكن منها ، ثم حدثته نفسه بالانتزاع فاستلحق واستركب واتخذ الآلة وجاهر بالخلعان وتقبض على الوالى بمراكش الحاج المسعود فقتله من تحت السياط في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة ودعا لنفسه ، واتصل الخبر بالسلطان أبي ثابت وهو بفاس فسرح اليه وزيره يوسف بن عيسى بن السعود بن خرباش الحشمى بالحاء المهمة ويعقوب بن آصناك في خمسة آلاف فارس فساروا الى مراكش ، وبرز يوسف بن محمد بن أبي عياد الى حربهم وعبر اليهم وادى أم الربيع فالتقوا معه على ضفته الشرقية فهزموه وعاد الى مراكش ، واتبعه الوزير ودخل ابن أبي عياد مراكش فقتل جماعة من جند الفرنج الذين بها وسبى ذراريهم وخرج منها الى اغمات فلم يستقر بها ، ثم فر الى جبال هسكورة فنزل على كبيرها مخلوف بن هنو الهسكورى ولحق به موسى بن سعيد الصيحي من اغمات تدلى من سورها فلحق به

ودخل السلطان أبو ثابت مراكش منتصف رجب من سنة سبع وسبعمائة وأمر بقتل أوربة المداخلين لابن أبي عياد في انتزائه فاستلحموا جميعاً ، ولما لحق ابن أبي عياد بمخلوف بن هنو الهسكورى واستجار به لم يجره على السلطان أبي ثابت بل قبض عليه مع ثمانية من كبار أصحابه وبعثهم فى الحديد اليه وهو بمراكش فقتلوا فى مصرع واحد بعد أن مثل بهم بالسياط ، وبعث برأس ابن أبي عياد الى فاس فطيف به ونصب على سورها ثم أثنى أبو ثابت

فى كل من كان على رأى ابن أبى عياد وخاض معه فى الفتنة فاستلحم منهم
بمراكش ما ينيف على الستمائة وصلبهم على سورها من باب الرب أحد أبواب
مراكش الى برج دار الحرة عزونة ، وقتل فى اغمات منهم مثل ذلك وخرج
منتصف شعبان الى منازل السكسيوى وتدويخ جهات مراكش فنزل بتامزوارت
وتلقاه السكسيوى بالبيعة والهدية والضيافة فقبل السلطان أبو ثابت ذلك منه ،
ثم بعث قائده يعقوب بن آصناك فى جيش من ثلاثة آلاف فارس الى بلاد حاحة
برسم غزو قبائل زكنة ففروا بين يديه حتى دخلوا بلاد القبلة وانقطع أثرهم
ورجع الى معسكر السلطان بتامزوارت وأخبره بسكون البلاد وأمنها ، فانكفا
السلطان أبو ثابت راجعا الى مراكش فدخلها غرة رمضان من سنة سبع
وسبعمائة . ثم خرج منها فى منتصف قاصدا رباط الفتح فاجتاز على بلاد صنهاجة
وعبر وادى أم الربيع من مشرع كتامة فى القوارب لزيادة الماء يومئذ ، ثم
ارتحل فاجتاز ببلاد تامسنا فتلقيه بها عرب جشم من قبائل الخلط وسفيان وبنى
جابر والعاصم فاستصحبهم معه الى مدينة آنفى بعد أن استأذنوه فى الرجوع
فلم يأذن لهم ، ولما احتل بآنفى دعا بأشياخهم فحضروا عنده فقبض على ستين
منهم أودعهم سجن آنفى وضرب أعناق عشرين من فسادهم القاطعين للسبيل
وصلبهم على سور آنفى ، ثم نهض الى رباط الفتح فدخله فى السابع والعشرين
من رمضان فعيد هنالك عيد الفطر وقتل به ثلاثين من فتاك العرب المتهمين
بالحرابة وقطع الطريق وصلبهم على أسوار العدوتين ، ثم ارتحل منتصف
شوال لغزو عرب رياح المواطنين بأبى طويل وفحص آزغار وبلاد الهبط ،
فغزاهم وأخذهم بالاحن القديمة فقتل منهم خلقا وسبى ذراريهم واتهب أموالهم
ونهب الى فاس فاجتلى بها منتصف ذى القعدة وعيد بها عيد الاضحى ثم نهض
الى سبتة على ما نذكره



غزو السلطان أبي ثابت بلاد غمارة وسبته ومحاصرته لعثمان بن أبي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان قد ورد من الاندلس صحبة الرئيس أبي سعيد بن الأحمر المتغلب على سبته أيام السلطان يوسف وأنه ثار بجبال غمارة ودعا لنفسه واستحوذ عليها وكان السلطان يوسف بلغه خبره وأهمه شأنه إلا أنه كان يرجو أن يفتح تلمسان عن قريب ثم ينهض إليه فعاجله الحمام دون ذلك ولما أفضى الأمر إلى السلطان أبي ثابت وقدم حضرة فاس شغله عن عثمان بن أبي العلاء ما كان من ثورة يوسف بن محمد بن أبي عياد يبراكش كما قدمناه فعقد على حرب عثمان بن أبي العلاء لابن عمه عبد الحق ابن عثمان بن محمد بن عبد الحق فرحف إليه ونهض عثمان بن أبي العلاء إلى لقائه منتصف ذي الحجة سنة سبع وسبعمائة فهزمه عثمان بن أبي العلاء واستلحم من كان معه من جند الفرنج وهلك في تلك الواقعة عبد الواحد الفودودي من رجالات الدولة المرشحين للوزارة ، وسار عثمان بن أبي العلاء إلى قصر كتامة فدخله واستولى على جهاته وكان بطالا وعلى أثر ذلك كان رجوع السلطان أبي ثابت من غزاة مراكش وقد حسم الداء ومحي أثر النفاق فاعتزم على النهوض إلى بلاد غمارة ليمحو منها أثر دعوة ابن أبي العلاء التي كادت تلج عليه دار ملكه ويستخلص سبته من يد ابن الأحمر المتغلب عليها لأنها صارت ركابا لمن يروم الخروج على السلطان من القرابة المستقرين وراء البحر غزاة في سبيل الله

: فنهض السلطان أبو ثابت من فاس عقب عيد الاضحى من سنة سبع وسبعمائة حتى انتهى إلى قصر كتامة فتلوم به ثلاثا حتى تلاحق به قبائل مرين والعرب والزماة من سائر البلاد فعرض جيشه وارتحل قاصدا جبال غمارة ، وكان عثمان بن أبي العلاء قد فر أمامه إلى ناحية ستة فسار السلطان أبو ثابت فسي اتباعه حتى نازل حصن علودان واقتحمه عنوة واستلحم به زهاء أربعمائة ، ثم نازل بلد الدمنة على شاطئ البحر فقتل الرجال وسبى النساء والذرية وانتهب الاموال وكانوا قد تمسكوا بطاعة ابن أبي العلاء وأجازوه إلى القصر في وسط

بلادهم وبالغوا في تضييفه واکرامه ودخلوا معه القصر وآصيلا ونهبوا كثيرا من مال أهلها ، ثم ارتحل السلطان أبو ثابت الى طنجة فدخلها فاتح سنة ثمان وسبعمئة وتحصن ابن أبي العلاء بسبته مع أوليائه من ابن الاحمر وسرح السلطان أبو ثابت عسكره ففرقت في نواحي سبته بالغارات واكتساح الاموال



بناء مدينة تطاوين



ثم أمر السلطان باختطاط مدينة تطاوين لنزول عسكره وثلاخذ بمخنيق سبته هكذا عند ابن أبي زرع وابن خلدون . واعلم أن تطاوين هذه هي تطاوين القديمة وقد تقدم لنا أن قصبتها بنيت في سنة خمس وثمانين وستمئة وذلك لاول دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق ، ثم بنى السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها في هذا التاريخ الذي هو فاتح سنة ثمان وسبعمئة وكان بناؤها خفيفا شبه القرية عدا قصبتها فان بناءها كان محكما وثيقا ، واستمرت هذه المدينة عامرة الى صدر المائة التاسعة فخربت ثم جدد بناؤها بعد نحو تسعين سنة حسبما يأتي الخبر عن ذلك مستوفى ان شاء الله تعالى ، قالوا : ولفظ تطاوين مركب من كلمتين تيط ومعناها في لسان البربر العين ووين وهي كناية عن المخاطب نحو يافلان وما أشبه ذلك ، قالوا : والسبب في تسميتها بذلك أنهم في وقت اختطاطهم لها كانوا يضعون الحرس على أسوارها مخافة فجأة العدو فكان الحرس ينادون بالليل أو بالنهار تطاوين تطاوين ، أي يافلان افتح عينك لان عادة الحارس أن يقول ذلك فصار هذا اللفظ علما عليها ويظهر أن هذا من كلام العامة ولا أصل له ، وكذا قول بعضهم تيط معناها العين ووين معناها المقلة ومعنى مجموع الكلمتين مقلة العين والاضافة مقلوبة كما هي في لسان بعض الامم العجمية فانه لامستند له والله تعالى أعلم ولما شرع السلطان أبو ثابت في بناء مدينة تطاوين أوفد كبير الفقهاء بمجلسه أبا يحيى بن أبي الصبر الى ابن الاحمر صاحب سبته في شأن النزول

له عن البلد وأقام هو بقصبة طنجة ينتظر الجواب بماذا يكون ، وفي أثناء ذلك مرض مرض موته وتوفى(*) يوم الاحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة ودفن بظاهر طنجة ثم حمل شلوه بعد أيام الى مدفن آبائه بشالة فوورى هنالك رحمة الله عليه وعليهم



الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر

عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحقر حمة الله



لما هلك السلطان أبو ثابت تصدى للقيام بالامر عمه على بن يوسف المعروف بابن زريقاء وهى أمه ، وعلى هذا هو الذى قتل شيوخ المصامدة بكتاب ابن المليانى كما تقدم وخلص الملاء من بنى مرين أهل الحل والعقد الى أبى الربيع المذكور أخى أبى ثابت فبايعوه واستتب أمره فتقبض على عمه على بن زريقاء وسجنه بطنجة فبقى مسجوناً بها الى أن هلك سنة عشر وسبعمائة وبث السلطان أبو الربيع العطاء فى الناس وأجزل الصلات فأرضى الخاصة والعامة وصفا له الامر ، ثم ارتحل نحو فاس واستدعى من كان بمحلة تطاوين من الجند فأقبلوا اليه وأرضاهم بالمال كذلك ، ولما فصل من طنجة تبعه عثمان بن أبى العلاء من سبتة فى جيش كثيف ليضرب فى محلته ليلا فنذر به عسكر السلطان أبى الربيع فأسهروا ليلتهم وباتوا على صهوات خيولهم فوافاهم عثمان بساحة علودان وهم على ذلك ففاجزهم الحرب فهزموه وتقبض على ولده وكثير من عسكره وقتل آخرون وكان للسلطان أبى الربيع الظهور الذى لاكفاء له ووصل أبو يحيى بن أبى الصبر من الاندلس وقد أحكم عقدة الصلح مع ابن الاحمر صاحب غرناطة

ولما رأى عثمان بن أبى العلاء ذلك سقط فى يده وأيس من المغرب فعبس

(*) ذكر فى روضة النسرين فى دولتنا بنى مرين لابن الاحمر أنه توفى مسموماً

ابحر فيمن معه من القرابة الى الاندلس وولى مشيخة الغزاة بها فكانت له في
 جهاد العدو اليد البيضاء وعلا أمره بالاندلس وزاحم بنى الاحمر ملوكها في
 رياستهم وجبايتهم حتى كاد يستولى على الامر من أيديهم وشرقوا بدائه
 ومارسهم ومارسوه مدة طويلة ، وعدلوا في أمره الى المصانعة والمجاملة في
 أخبار ليس جلبها من غرضنا الى أن توفي ، لكننا نذكر من ذلك انموذجا يستدل
 به الواقف عليه على ما وراءه ، فنقول : « لما توفي عثمان بن أبي العلاء رحمه
 الله كتب على قبره ما صورته : « هذا قبر شيخ الحماة و صدر الابطال
 والكمأة ، واحد الجلالة ليث الاقدام والبسالة علم الاعلام حامى ذمار
 الاسلام ، صاحب الكتاب المنصورة والافعال المشهورة والمغازى المسطورة
 وامام الصفوف ، القائم باب الجنة تحت ظلال السيوف سيف الجهاد وقاصم
 الاعاد وأسد الآساد العالى الهمم الثابت القدم الهمام الماجد الارضى
 البطل الباسل الامضى المقدس المرحوم أبى سعيد عثمان ابن الشيخ الجليل
 الهمام الكبير الاصيل الشهير المقدس المرحوم أبى العلاء ادريس بن عبد الله
 ابن عبد الحق »

كان عمره ثمانيا وثمانين سنة أنفق ما بين روحة في سبيل الله وغدوة حتى
 استوفى في المشهور سبعمائة واثنتين وثلاثين غزوة وقطع عمره مجاهدا
 مجتهدا في طاعة الرب محتسبا في ادارة الحرب ماضى العزائم في جهاد
 الكفار، مصاد ما بين جموعهم تدفق التيار وصنع الله تعالى له فيهم من الصنائع
 الكبار ما سار ذكره في الاقطار أشهر من المثل السيار حتى توفي رحمه
 الله وغبار الجهاد طى أثوابه ، وهو مراقب لطاغية الكفار وأحزابه قمات على
 ما عاش عليه وفي ملحمة الجهاد قبضه الله اليه واستأثر به سعيدا مرتضى
 وسيفه على رأس ملك الروم منتضى مقدمة قبول واسعاد ونتيجة جهاد
 وجلاد ودليلا على نيته الصالحة وتجارته الرابحة فارتجت الاندلس لبعده
 أتشفه الله برحمة من عنده توفي يوم الاحد الثانى لذي الحجة من سنة
 ثلاثين وسبعمائة رحمه الله .

وأما السلطان أبو الربيع فانه لما سار عن طنجة دخل حضرة فاس حادى

عشر ربيع الاول من سنة ثمان وسبعمائة فأقام بها سنة المولد الكريم وفرق الاموال واستقامت الامور وتمهد الملك وعقد السلم مع صاحب تلمسان أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن وأقام وادعا بحضرته مجتيا ثمرة ملكه ، وكان فى أيامه غلاء الا أن الناس انفتحت لهم فيها أبواب المعاش والترف حتى تغالوا فى أثمان العقار فبلغت قيمتها فوق المعتاد حتى لقد بيع كثير من الدور بفاس بألف دينار من الذهب العين ، وتنافس الناس فى البناء فاتخذوا القصور المشيدة وتأنقوا فيها بالزليج والرخام وأنواع النقوش ، وتناغوا فى لبس الحرير وركوب الفاره وأكل الطيب واقتناء الحلوى من الذهب والفضة واستبحر العمران وظهرت الزينة والامور كلها بيد الله تعالى



نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك



كان الفقيه الكاتب أبو محمد عبد الله بن أبى مدين شبيب بن مخلوف من بنى عثمان احدى قبائل كتامة المجاورين للقصر الكبير ، وكان بيته بيت العلم والدين واتصلوا بخدمة بنى مرين أيام دخولهم المغرب واستيلائهم عليه وكان أبو محمد هذا من خاصة السلطان يوسف بن يعقوب وجعل بيده وضع العلامة على الرسائل وفوض اليه فى حسابان الخراج والضرب على أيدي العمال وتنفيذ الاوامر بالقبض والبسط فيهم واستخلصه لمناجاته والافضاء اليه بسره ، ولما هلك السلطان يوسف وولى بعده السلطان أبو ثابت ضاعف رتبة هذا الرجل وشفع لديه حظه ومنصبه ورفع على الاقدار قدره ، ثم ولى بعده أخوه أبو الربيع فسلك فيه مذهب سلفه واضطلع أبو محمد بن أبى مدين بأمور دولته ، وكان بنو وقاصة اليهود حين نكبوا أيام السلطان يوسف يرون أن نكبتهم كانت بسعاية أبى محمد فيهم ، وكان خليفة الاصغر منهم قد أفلت من تلك النكبة كما ذكرناه

فلما أفضى الأمر الى السلطان أبي الربيع استعمل خليفة هذا بداره فى بعض المهن فباشر الامور وترقى فيها حتى اتصل بالسلطان فجعل غاية قصده السعاية بأبى محمد بن أبى مدين ، وكان يؤثر عن السلطان أبى الربيع أنه يختلى مع حرم حاشيته وتعرف خليفة ذلك من مقالات الناس فدس الى السلطان « بن ابن أبى مدين يعرض باتهامك فى ابنته وأن صدره قد وغر لذلك وأنه مرصد باندولة ومتربص بها الدوائر » فتمكنت سعايته من السلطان وظن أنه صادق وكان يخشى غائلة ابن أبى مدين بما كان له من الوجاهة فى الدولة ومداخلة القيل فاستعجل السلطان أبو الربيع دفع غائلته ودس الى قائد جنود الفرنج بقتله ، فسار اليه ولقيه بمقبرة الشيخ أبى بكر بن العربى فرصده وأتاه من خلفه فطعنه طعنة كبتة على ذقنه واحتر رأسه وألقاه بين يدي السلطان أبى الربيع ، ودخل الوزير سليمان بن يرزيكن فوجد الرأس بين يديه فذهبت نفسه عليه وعلى مكانه من الدولة حسرة وأسفا ، وأيقظ السلطان لمكر اليهودى وأطلعه على خبئه وأخرج له براءة كان بعث بها ابن أبى مدين معه الى السلطان يتصل فيها ويحلف على كذب مارمى به عنده ، فتنبه السلطان لمكر اليهودى وعلم أنه قد خدعه وتدم حيث لم ينفعه الندم ، وفنك لحينه بخليفة بن وقاصه وحاشيته من اليهود المتصدين للخدمة وسطا بهم سطوة الهلكة فاصبحوا مثلا للاخرين



انتقاض أهل سبته على بنى الأحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين

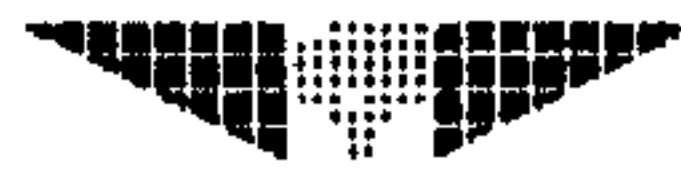


كان أهل سبته قد سئموا ملكة أهل الاندلس وثقلت عليهم ولايتهم لاسيما حين رحل عنهم عثمان بن أبى العلاء وعبر البحر بقصد الجهاد كما مر واتصل خبر ذلك بالسلطان أبى الربيع فانتهاز الفرصة فيهم وعقد لثقتهم تاشفين بن يعقوب الوطاسى أخى وزيره عبد الرحمن بن يعقوب على عسكر ضخيم من بنى مرين وسائر طبقات الجند وبعثه الى سبته فأغذ السير اليها ونزل بساحتها ولما أحس به أهل البلد تمشت رجالاتهم فيما بينهم وتنادوا بشعار بنى مرين

وثاروا على من كان بسبته من حامية ابن الاحمر فاخرجوهم منها ، واقتحم تاشفين بن يعقوب البلد عاشر صفر من سنة تسع وسبعمائة وتقبض على قائد القصة أبى زكرياء يحيى بن مليلة وعلى قائد البحر أبى الحسن بن كماشة وعلى قائد الحرب بها من القرابة عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق ، وطير تاشفين بالخبر الى السلطان أبى الربيع فعم السرور وعظم الفرح واتصل ذلك بابن الاحمر فضاق ذرعه وخشى عادية بنى مرين وجيوش المغرب حين انتهوا الى الفرضة وملكوها ، فقلب رأيه ورأى أن يجنح الى السلم مع السلطان أبى الربيع لشدة شوكته ولكلب الطاغية عليه فى أرضه لولا أن غزاة بنى مرين يكفون من غربه فبادر السلطان ابن الاحمر وهو أبو الجيوش نصر ابن محمد أخو المخلوع الذى كان قبله ، وأوفد رسله على السلطان أبى الربيع راغبين فى السلم خاطبين للولاية وتبرع بالنزول عن الجزيرة ورندة وحصونها ترغيبا للسلطان أبى الربيع فى الجهاد فقبل منه ذلك وعقد له الصلح على ما أراد ، وخطب منه أخته فأنكحه ابن الاحمر اياها وبعث السلطان أبو الربيع اليه بالمدد للجهاد أموالا وخيولا جنائب مع ثقته عثمان بن عيسى اليرينانى أخى وزيره ابراهيم بن عيسى واتصلت بينهما الولاية الى أن توفى السلطان أبو الربيع رحمه الله



انتقاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى على السلطان أبى الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب فى ذلك



لما انعقد الصلح بين السلطان أبى الربيع وابن الاحمر وحصلت المصاهرة بينهما والمودة كانت رسل ابن الاحمر لاتزال تتردد الى حضرة السلطان بفاس فقدم منهم ذات يوم بعض المنهمكين فى اللهو المدمنين للشرب والقصف ، فكشف صفحة وجهه فى معاقرة الخمر وتجاهر بذلك بين الناس ، وكان السلطان أبو الربيع قد عزل قاضى فاس أبا غالب المغلى وولى القضاء مكانه

شيخ ائفيه ابا احسن الزرويلى المعروف بالصغير صاحب التقييد على المدونة
 وكان رحمه الله قد شدد على أهل الفسوق والمناكر ، فسيق اليه ذات يوم هذا
 العاصى وهو سكران فأمر العدول فاستروحوه واشتموا منه رائحة الخمر
 وانذروا شهادتهم على ذلك ، فأمضى القاضى حكم الله فيه وجلده الحد فاضطرم
 العاصى غيظا وتعرض للوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسى ويقال له
 رحو باللسان الزناتى فكشف له عن ظهره يريه أثر السياط وينعى عليه سوء
 هذا الفعل مع رسل الدول ، فضجر الوزير من ذلك وأخذته العزة بالاثم ولعله
 كان فى قلبه شىء على القاضى فأمر وزعته باحضاره على أسوأ الحالات وعزم
 على ابطش به فبادروا اليه ، واعتصم القاضى بالمسجد الجامع ونادى فى
 مسلمين فتارت العامة بهم ومرج أمر الناس وقامت الفتنة على ساق ، واتصل
 الخبر بالسلطان فتلافى الامر وأحضر أصحاب الوزير ف ضرب أعناقهم وشرد
 بهم من خلفهم جزاء الله خيرا ، فأسرها الوزير فى نفسه وداخل الحسن بن
 عسى بن أبى الطلاق من بنى عسكر بن محمد وكان من شيوخ بنى مرين وأهل
 اشورى فيهم ، وداخل قائد الفرنج غنصالو المنفرد برياسة العسكر وشوكة
 الجند وكان لهؤلاء الفرنج بالوزير اختصاص بحيث آثروه على السلطان ،
 فدعاهم لخلق طاعة السلطان أبى الربيع وبيعة عبد الحق بن عثمان بن محمد
 ابن عبد الحق كبير القرابة وأسد الاعياص فأجابوه وبايعوا له وتم أمرهم ،
 ولما كان يوم السبت الثالث والعشرون من ربيع الآخر من سنة عشر وسبعمائة
 فر الوزير المذكور وقائده الفرنجى ومن شايعهم على رأيهم فخرجوا الى ظاهر
 البلد الجديدة وجأهروا بالخلعان وأقاموا الآلة والرسم وبايعوا سلطانهم عبد
 الحق على عيون الملا وعسكروا بالعدوة القصوى من سبو ، ثم ساروا الى
 ناحية تازا ولما استقروا برباطها أخذوا فى جمع الجيوش ومكاتبة الخاصة من
 بنى مرين والعرب يدعرونهم الى بيعة سلطانهم والمشايعة لهم على رأيهم وأوفدوا
 على أبى حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان يدعونه الى
 المظاهرة على أمرهم واتصال اليد والمدد بالعسكر والمال ، فتوقف أبو حمو ولم
 يقدم ولم يحجم وبقي ينتظر عماذا ينجلي أمرهم ، واتصل خبر ذلك كله

بالسلطان أبي الربيع فنهض اليهم وقدم بين يديه يوسف بن عيسى الحشمي وعمر بن موسى الفودودي في جيش كثيف من بنى مرين ، وسار هو في ساقتهم واتصل خبر خروجه بعد الحق بن عثمان ووزيره فانكشفوا عن تازا ولحقوا بتلمسان ، وكانوا يظنون أن السلطان لا يخرج اليهم وحمد أبو حمو عاقبة توقفه عن نصرهم ويثسوا هم من صريخه اياهم ، ولما ضاقت عليهم الارض بما رحبت أجاز عبد الحق بن عثمان ووزيره الى الاندلس ورجع الحسن بن علي ومن معه الى السلطان أبي الربيع بعد أن أخذ منه الامان وهلك رحو بن يعقوب بالاندلس لمدة قريبة ، ولما احتل السلطان أبو الربيع بتازا حسم الداء ومحا أثر الشقاق وأثخن في حاشية الخوارج وشيعتهم بالقتل والسبي ، ثم اعتل أياما أثناء ذلك فتوفى بتازا بين العتاءين ليلة الاربعاء منسوخ جمادى الاخيرة من سنة عشر وسبعمئة ودفن من ليلته تلك بصحن الجامع الاعظم من تازا رحمه الله



الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



كان هذا السلطان من أهل العلم والحلم والعفاف جوادا متواضعا متوقفا في سفك الدماء لقبه : السعيد بفضل الله وأمه حرة اسمها عائشة بنت الامير ابي عطية مهلهل بن يحيى الخلطي ، ولما هلك السلطان أبو الربيع بتازا في التاريخ المتقدم تطاول للامر عمه أبو سعيد الاصغر وهو عثمان بن السلطان يوسف وخب في ذلك ووضع وأسدى وألحم فلم يحصل على شيء واجتمع الوزراء والمشيخة بالقصر بعد هداة من الليل وتفاوضوا في أمرهم حتى وقع اختيارهم على أبي سعيد الاكبر وهو عثمان بن السلطان يعقوب بن عبد الحق فاستدعوه فحضر . فبايعوه ليلتئذ ، وتم أمره وأنفذ كتبه الى النواحي والجهات باقتضاء البيعة وسرح ابنه الاكبر الامير أبا الحسن علي بن عثمان الى فاس فدخلها غرة رجب من سنة عشر وسبعمئة وملك قصر الخلافة بالحضرة

وحتوى على أمواله وذخيرته ، وفي غد ليلته أخذت البيعة للسلطان أبي سعيد
بهدر تازا على بنى مرين وسائر زناتة والعرب والعسكر والحاشية والموالي
وصنائع والعلماء والصلحاء ونقباء الناس وعرفائهم والخاصة والدهماء ، فقام
بلامر واستوسق له الملك وفرق الاعطيات وأسنى الجوائز وتفقد الدواوين
ورفع الغلانات وحط المغارم والمكوس وسرح السجون ورفع عن أهل فاس ما
كان ينزوم رباعهم من الوظائف المخزنية في كل سنة فصلاح حال الناس في أيامه
ثم ارتحل لعشرين من رجب من السنة فدخل حضرة فاس فاستقر بها
وقدم عليه وفود التهئة من جميع بلاد المغرب ، ثم خرج في ذي القعدة الى رباط
الفتح تفقد الاحوال والنظر في أمور الرعية وانشاء الاساطيل الجهادية فعيد
هناك عيد الاضحى وبأمر الناس وأمر بانشاء الاساطيل بدار الصناعة من
سلا برسم جهاد الفرنج ، ثم رجع الى فاس فعقد سنة احدى عشرة وسبعمائة
لأخيه الأمير أبي البقاء يعيش على ثغور الاندلس الجزيرة ورندة وما اليهما من
الحصون ، ثم نهض سنة ثلاث عشرة وسبعمائة الى ناحية مراکش لما كان بها
من اختلال الاحوال وخروج عدى بن هنو الهسكوري ونقضه للطاعة فنازله
السلطان أبو سعيد وحاصره مدة ثم اقتحم عليه حصنه عنوة وقبض عليه وبعثه
موثقا في الحديد الى فاس فأودعه المطبق وقفل راجعا الى حضرته فاحتل بها
مؤيدا منصورا والله تعالى أعلم

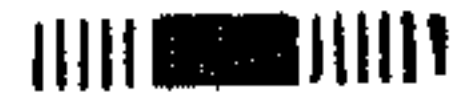


غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان



كان بنو مرين قد حققوا على أبي حمو صاحب تلمسان من أجل توقفه
في أمر عبد الحق بن عثمان ووزيره رحو بن يعقوب الوطاسي وتسهيئه الطريق
لهم الى الاندلس ومداهنته في ذلك ، وكان مقتضى الصلح المنعقد بينه وبين
السلطان أبي الربيع أن يقبض عليهم ويبعث بهم اليه حالا فحقق بنو مرين على
أبي حمو ووجدوا في أنفسهم عليه ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد

واستوسق ملكه ودوخ الجهات المراكشية وفرغ من شأن المغرب اعترم على غزو تلمسان فهض اليها سنة أربع عشرة ، ولما انتهى الى وادي ملوية قدم ابنه الاميرين أبا الحسين وأبا علي في عسكرين عظيمين في الجناحين وسار هو في ساقتهما فدخل بلاد بني عبد الواد على هذه التعيية فاكسح نواحيها واصطلم نعمتها ثم نازل وجدة فقاتلها قتالا شديدا فامتعت عليه ، ثم نهض الى تلمسان فنزل بالملعب من ساحتها وتحصن أبو حموا بالاسوار وغلب السلطان أبو سعيد على معاقلها وسائر ضواحيها فحطمها حطما ونسفها نسفا ودوخ جبال بنى يزناسن وأثخن فيهم ، وانتهى في قفوله الى وجدة ففر أخوه أبو البقاء يعيش وكان في معسكره من أجل استرابة لحقته من السلطان وسار الى تلمسان فنزل على أبي حمو ورجع السلطان أبو سعيد على التعيية فاتتهى الى تازا فأقام بها وبعث ابنه الامير أبا علي الى فاس فكان من خروجه عليه ما نذكره



خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في ذلك



كان للسلطان أبي سعيد ولدان أحدهما وهو الأكبر من أمته الحبشية وهو أبو الحسن علي بن عثمان ، وثانيهما وهو الأصغر من علجة من سبى الفرنج وهو أبو علي عمر بن عثمان وكان هذا الأصغر أعلق بقلب السلطان وأحبهما اليه ، ولما استولى على ملك المغرب رشحه لولاية العهد وهو شاب لم يطر شاربه ووضع له ألقاب الامارة وصير معه الجلساء والخاصة والكتاب وأمره باتخاذ العلامة في كنبه ولم يدخر عنه شيئا من مراسم الرياسة والملك وعقد على وزارته لابراهيم بن عيسى اليريناني من كبار الدولة ووجوهها ، وكان أخوه الأكبر أبو الحسن شديد البرور بأبيه فلما رأى اقبال أبيه على أخيه على انحاش هو أيضا اليه وصار في جملة وخط نفسه بحاشيته طاعة لايه ومسارة في هواه واستمرت حال الامير أبي علي على هذا وخاطبه ملوك النواحي وخاطبهم وهادوه وهاداهم وعقد الرايات وأثبت في الديوان ومحا وزاد في العطاء ونقص

وكان يسند بالامر كله

وذا قتل السلطان أبو سعيد من تلمسان أواخر سنة أربع عشرة وسبعمائة
 أقوم بتازا وبعث ولديه الى فاس فلما استقر الامير أبو علي بها حدثته نفسه بالقيام
 على أبيه وخنق طاعنه ، فراوده المداخلون له على التربص حتى يمكر بأبيه
 ويقبض عليه باليد فأبى واستعجل الامر وركب الخلاف وجاهر بالخلعان ، ودعا
 نفسه فطاعه الناس ولم يتوقفوا عنه لما كان أبوه جعل اليه من أمرهم ، وعسكر
 بساحة البلد الجديد يريد غزو أبيه ، فبرز السلطان أبو سعيد من تازا في عسكره
 يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، ثم بدا للامير أبي علي في وزيره ابراهيم بن عيسى
 وعزم على القبض عليه لانه بلغه أنه يكتب أباه فبعث للقبض عليه عمر بن يخلف
 الفودودي ، وتفطن الوزير لما أراده من المكر به فقبض هو على الفودودي ونزع
 اى السلطان أبي سعيد فتقبله ورضى عنه ، وكان الامير أبو الحسن قد لحق
 بأبيه قبل ذلك نازعا عن جملة أخيه فقوى جناح السلطان بهما وارتحل الى لقاء
 ابنه أبي علي ، ولما تراء الجمعان بالمقرمدة ما بين فاس وتازا اختل مصاف
 السلطان وانهزم جريحا الى تازا فتبعه ابنه أبو علي وحاصره بها ، ويقال أن أبا
 الحسن انما لحق بأبيه بعد المحنة ثم سعى الخواص بين السلطان وابنه أبي علي
 بانصاح على أن يخرج له السلطان عن الامر ويقتصر على تازا وجهاتها فقط ،
 فرضى السلطان بذلك وشهد الملا من مشيخة العرب وزناته وأهل الامصار
 واستحكم العقد بينهما وانكفا الامير أبو علي راجعا الى حضرة فاس مملكا على
 المغرب وتوافت اليه بيعات الامصار ووفودهم واستوسق أمره

ثم تدارك الله السلطان أبا سعيد بلطفه ورد عليه حقه من حيث لا يحتسب
 وذلك أن الامير أبا علي اعتل عقب وصوله الى فاس واشتد وجعه حتى أشرف
 على الهلاك وخشى الناس على أنفسهم اختلال الامر بموته فتسائلوا الى والده
 السلطان أبي سعيد بتازا ولحق به سائر خواص الدولة وحملوه على تلافى الامر
 وانتهاز الفرصة ، فنهض من تازا واجتمع اليه كافة بنى مرين والجنود وعسكر
 على البلد الجديد وأقام محاصرا له وابتنى دارا لسكناه وجعل لابنه الامير أبي
 الحسن ما كان لآخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الامر ولما تبين للامير

أبى على اختلال أمره بعث الى أبيه فى الصلح على أن يعوض سجلماسة وما والاها فأجيب الى ذلك ووفى له السلطان بما اشترط وارتحل الى سجلماسة سنة خمس عشرة وسبعمائة فأقام بها دولة فخيمة واستولى على بلاد القبلة ودون الدواوين واستلحق واستركب واستخدم ظواغن العرب من بنى معقل وافتتح معقل الصحراء وقصور توات وتكرارين وتامنطيت وغير ذلك .

وأما السلطان أبو سعيد فانه دخل الى فاس الجديد ونزل بقصره وأصلح شؤون ملكه وأنزل ابنه الامير أبا الحسن بالدار البيضاء من قصوره وفوض اليه فى سلطانه تفويض الاستقلال وأذن له فى اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة على كتبه وسائر ما كان لآخيه ووفدت عليه بيعات الامصار بالمغرب ورجعوا الى طاعته ، وفى سنة خمس عشرة وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد ببناء الباب أمام القنطرة من الجزيرة الخضراء ثم بعد ذلك أدار الستارة بالمدينة المذكورة وفيها سار الى مراكش فأقام بها أياما حتى أصلح شؤونها وعاد الى الحضرة .

وفى سنة ثمان عشرة وسبعمائة نكب السلطان أبو سعيد كاتبه منديل بن محمد الكنانى وكان السبب فى ذلك أنه لما ثار الامير أبو على على أبيه وخلعه انحاش اليه منديل هذا ثم لما اختل أمر أبى على عاد منديل الى السلطان أبى سعيد وترتب فى منزلته التى كان عليها قبل وكان الامير أبو الحسن يحقد عليه لاجل انجاشه الى أخيه لما كان بينهما من المناسفة وكان هو كثيرا ما يوعز صدر أبى الحسن بايجاب حق أخيه عليه وامتهانه فى خدمته ، فطوى له أبو الحسن على البث حتى اذا فصل أبو على الى سجلماسة وانفرد أبو الحسن بمجلس أبيه وخلاله وجهه أحكم السعاية فى منديل عند أبيه وكان منديل كثيرا ما يغضب السلطان فى المحاوراة والخطاب دالة عليه وكبرا ، فاعتد السلطان عليه بشيء من ذلك مع ما كان ابنه أبو الحسن يغريه به فسخطه سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وأذن لابنه أبى الحسن فى نكته فاعتقله واستصفى أمواله وطوى ديوانه وامتحنه أياما ثم قتله بمحبسه خنقا وقيل جوعا وذهب فى الداهيين ، وأبوه أبو عبد الله محمد الكنانى هو الذى بعث السلطان يعقوب بن عبد الحق الى المستنصر الحفصى عند فتح مراكش وعاد اليه منه بالهدية صحبة وفد أهل تونس وتلطف أبو عبد

الله الكنانى حتى ذكر المستنصر فى الخطبة على منبر مراکش وفرح الوفد
بذلك حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى ، ونشأ ابنه منديل هذا فى ظل الدولة
المرينية فكان من أمره ما قصصناه عليك



وفادة أهل الاندلس على السلطان أبى سعيد

واستصراخهم اياها على الطاغية وما نشأ عن ذلك



كان الملوك من بنى مرين قد انقطع غزوهم عن الاندلس برهة من الدهر
منذ دولة السلطان يوسف بن يعقوب لاشتغاله فى آخر أمره بحصار تلمسان
واشتغال حفدته من بعده بأمر المغرب مع قصر مدتهم فتناول العدو وراء البحر
على المسلمين بسبب هذه الفترة واشتد كلبه على ثغورها مع أن القرابة من بنى
مرين كانوا شجى فى صدره وقذى فى عينيه فى تلك البلاد حسبما ألعنا اليه غير
مرة ، ولما أفضى الامر الى السلطان أبى سعيد اشتغل فى صدر دولته بأمر ابنه
أبى على وخروجه عليه ، فاهتبل الطاغية الغرة فى الاندلس وزحف فى جموعه الى
غرناطة سنة ثمان عشرة وسبعمائة ، وكان من خبر هذه الواقعة أن الطاغية بطرة
ابن سانجة ويقال دون بطرة وقد نهنا على لفظه دون فيما سبق ذهب الى طليطلة
ودخل على مرجعهم الذى يقال له البابا وسجد له وتضرع بين يديه وطلب منه
استئصال ما بقى من المسلمين بأرض الاندلس وأكد عزمه وتأهب لذلك غاية
الإهبة ، فوصلت أنقاله ومجانيقه وآلات الحصار والاقوات فى المراكب وتقدم
فى جموعه حتى نزل بأحواز غرناطة وكان رديفه فى ذلك الجند علجا آخر يقال له
جوان وانضم اليهم ملوك آخرون من ملوك الاطراف قيل سبعة وقيل أكثر
وامتلات الارض بهم وعزموا على استئصال بقية المسلمين بالاندلس ، وكان
جيشهم فيما قيل يشتمل على خمسة وثلاثين ألفا من الفرسان وعلى نحو مائة
ألف من الرجال المقاتلة

ولما رأى أهل الاندلس ذلك بعثوا صريخهم الى السلطان أبى سعيد فقدم عليه وفدهم بحضرته من فاس وفيهم من وجوه الاندلس وصلحائها الشيخ أبو عبد الله الطنجالي والشيخ ابن الزيات البلشي والشيخ أبو اسحق بن أبى العاص وغيرهم فاعتذر اليهم السلطان أبو سعيد بمكان عثمان بن أبى العلاء من دولتهم ومحلته من دار ملكهم ، وكان عثمان بن أبى العلاء يتولى يومئذ مشيخة الغزاة بالاندلس لان وفاته تأخرت الى سنة ثلاثين وسبعمائة حسبما مر فشرط عليهم السلطان أبو سعيد أن يمكنوه منه ليتأتى له العبور الى تلك البلاد وجهاد العدو بها من غير تشويش ، وقال ادفعوه الينا برمته حتى يتم أمر الجهاد ثم نرده عليكم حياطة على المسلمين وخشية من تفريق كلمتهم ، فاستصعب أهل الاندلس هذا الشرط لما يعلمونه من صرامة عثمان بن أبى العلاء وادلاله بأسه وبأس عشيرته فأخفق سعيهم ورجعوا منكسرين ، وأطالت الفرنج المقام على غرناطة وطمعوا فى التهامها

ثم ان الله تعالى نفس عن مخنقهم ودافع بقدرته عنهم وهيا لعثمان بن أبى العلاء فى الفرنج واقعة كانت من أغرب الوقائع ، وذلك أنه لما كان يوم المهرجان وهو الخامس من جمادى الاولى من سنة تسع عشرة وسبعمائة عمده عثمان بن أبى العلاء الى جماعة جنده واختار من أنجاد بنى مرين منهم نحو المائتين وقيل أكثر وتقدم بهم نحو جيش الفرنج فظن النصارى أنهم انما خرجوا لامر غير القتال من مفاوضة أو ابلاغ رسالة أو نحو ذلك حتى اذا سامتوا موقف الطاغية ورديفه جوان صمموا نحوهما حتى خالطوهما فى مراكزهما فصرعوهما فى جملة من الحاشية وانهزم ذلك الجمع من حينه وولوا الادبار واعترضهم من ورائهم مسارب الماء للشرب على نهر شليل فتطارحوا فيها وهلك أكثرهم واكتسحت أموالهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثلاثة أيام وخرج أهل غرناطة لجمع الاموال وأخذ الاسرى فاستولوا على أموال عظيمة منها من الذهب فيما قيل ثلاثة وأربعون قنطارا ومن الفضة مائة وأربعون قنطارا ومن السبى سبعة آلاف نفس حسبما كتب بذلك بعض الغرناطين الى الديار المصرية وكان من جملة الاسارى امرأة الطاغية وأولاده فبذلت فى نفسها مدينة طريف وجبل

الفتح وثمانية عشر حصنا فيما حكى بعض المؤرخين فلم يقبل المسلمون ذلك ،
 قمت : « هذا خطأ في الرأي وضعف في السياسة » قالوا : وزادت عدة القتلى في
 هذه الغزوة على خمسين ألفا ويقال : « انه هلك منهم بالوادي مثل هذا العدد لعدم
 معرفتهم بالطريق » واما الذين هلكوا بالجبال والشعاب فلا يحصون وقتل الملوك
 اسبعة جميعهم ، وقيل خمسة وعشرون واستمر البيع في الاسرى والسبى
 والدواب ستة أشهر ، ووردت البشائر بهذا النصر العظيم الى سائر البلاد ، ومن
 تعجب أنه لم يقتل من المسلمين سوى ثلاثة عشر نفسا وقيل عشرة أنفس وسلخ
 انطاغية بطرة وحشى جلده قظنا وعلق على باب غرناطة وبقي معلقا سنين وطلبت
 النصارى الهدنة فعقدت لهم والله تعالى أعلم



انتقاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن ذلك



لما كانت سنة عشرين وسبعمائة انتقض الامير أبو علي صاحب سجلماسة
 والصحراء على أبيه السلطان أبي سعيد وتغلب على درعة وسما الى طلب مراکش
 فعقد السلطان أبو سعيد على حربه لآخيه الامير أبي الحسن وأغزاه اياه ، ثم
 نهض على أثره فاحتل بمراكش وثقف أطرافها وحسم عليها وعقد عليها الكندوز
 ابن عثمان من صنائع دولتهم وقفل الى الحضرة ، ثم لما كانت سنة اثنتين وعشرين
 وسبعمائة نهض الامير أبو علي في جموعه من سجلماسة وأغد السير الى
 مراکش فاقحمها بعساكره قبل أن يجتمع لكندوز أمره وتقبض عليه وضرب
 عنقه ورفع على القناة وملك مراکش وسائر ضواحيها

وبلغ الخبر الى السلطان أبي سعيد فخرج من حضرته في عساكره بعد أن
 احتشد وأزاح العلل واستوفى الاعطيات وقدم بين يديه ابنه الامير أبا الحسن
 ولى عهده وجاء هو على ساقته وساروا على هذه التعية ، ولما انتهوا الى وادي
 ملوية اتصل بهم الخبر أن أبا علي يريد أن يبيتهم فأسهروا ليلتهم وباتوا على
 ظهور خيلهم وبعد مضي جزء من الليل طرقتهم أبو علي في جموعه فكانت الدبرة

عليه وفل عسكره وارتحلوا من الغد في أثره وكان قد سلك جيل درن فافترقت جنوده في أوعاره ولحقهم من المشاق ما يفوت الوصف حتى ترجل الامير أبو علي عن فرسه وسعى على قدميه وخلص من ورطة ذلك الجبل بعد عصب الريق ولحق بسجلماسة ومهد السلطان أبو سعيد نواحي مراكش وعقد عليها لموسى بن علي الهنتاتي فعظم غناؤه في ذلك واضطلاعه وامتدت أيام ولايته ، وارتحل السلطان الى سجلماسة فدافعه الامير أبو علي بالخضوع ورغب اليه في الصفح والرضا والعود الى السلم فأجابه السلطان الى ذلك لما كان قد شغفه من حبه فقد كان يوتر عنه من ذلك غرائب ورجع الى الحضرة وأقام الامير أبو علي بمكانه من مملكة القبلة الى أن هلك السلطان أبو سعيد وتغلب عليه أخوه السلطان أبو الحسن كما نذكره ان شاء الله



بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله



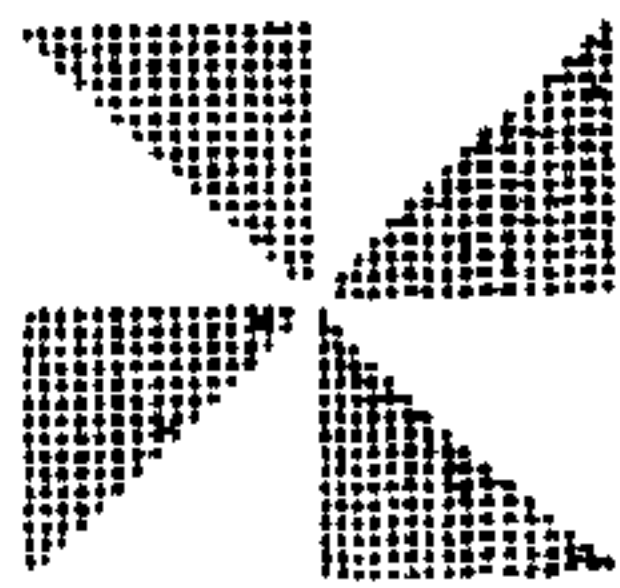
قد تقدم لنا أن السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله كان قد بنى مدرسته التي بفاس مع غيرها مما سبق التنبه عليه، ووقف عليها كتب العلم التي بعث بها اليه الطاغية سانحة عند عقد الصلح معه ووقف عليها غير ذلك ، واقتفى أثره في هذه المنقبة الشريفة بنوه من بعده فاستكثروا من بناء المدارس العلمية والزوايا والربط ووقفوا عليها الاوقاف المغلة. وأجروا على الطلبة بها الجرايات الكافية ، فأمسكوا بسبب ذلك من رمق العلم وأحيوا مراسمه وأخذوا بضبعيه جزاهم الله عن نيتهم الصالحة خيرا .

ولما كانت سنة عشرين وسبعمائة أمر السلطان أبو سعيد رحمه الله ببناء المدرسة التي بفاس الجديد فبنيت أتقن بناء وأحسنه ورتب فيها الطلبة لقراءة القرآن والفقهاء لتدريس العلم وأجرى عليهم المرتبات والمؤن في كل شهر ، وحبس عليها الرباع والضياح ابتغاء ثواب الله ورغبة فيما عنده وفي سنة احدى وعشرين بعدها بنى ولي عهده الامير أبو الحسن المدرسة

اسى بفربى جامع الاندلس من حضرة فاس فجات على !كمل الهيات وأعجبها
وبنى حولها سقاية ودار الوضوء وفندقا لسكنى طلبة العلم وجلب الماء الى ذلك
كنه من عين خارج باب الجديد أحد أبواب فاس وأنفق على ذلك أموالا جلية
تزيد على مائة ألف دينار ، وشحنها بطلبة العلم وقراء القرآن وحبس عليها رباعا
كثيرة ورتب فيها الفقهاء للتدريس وأجرى عليهم الانفاق والكسوة نفعه الله
بقصده

وفى سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة فى فاتح شعبان منها أمر السلطان أبو
سعيد أيضا ببناء المدرسة العظمى بازاء جامع القرويين بفاس وهى المعروفة اليوم
بمدرسة العطارين ، فبنت على يد الشيخ أبى محمد عبد الله بن قاسم المزوار
وحضر السلطان أبو سعيد بنفسه فى جماعة من الفقهاء وأهل الخير حتى أسست
وشرع فى بنائها بمحضره ، فجات هذه المدرسة من أعجب مصانع الدول بحيث
لم بين ملك قبله مثلها ، وأجرى بها ماء معيناً من بعض العيون هنالك وشحنها
بالطلبة ورتب فيها اماما ومؤذنين وقومة يقومون بأمرها ورتب فيها الفقهاء لتدريس
العلم وأجرى على الكل المرتبات والمؤن فوق الكفاية ، واشترى عدة أملاك
ووقفها عليها احتسابا بالله تعالى ، وسياتى التنبه على ما بناه ابنه أبو الحسن من
ذلك أيام ولايته وحافده أبو عنان وغيرهما ان شاء الله ، وبالجملة ، فقد كان
لسى مرين جنوح الى الخير ومحبة فى العلم وأهله تشهد بذلك آثارهم الباقية الى
الآن فى مدارسهم العلمية وغيرها ، وفى مثل ذلك يحسن أن ينشد :

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدهم فبالسن البيان
ان البناء اذا تعاطم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن



أخبار بني العزفي أصحاب سبته



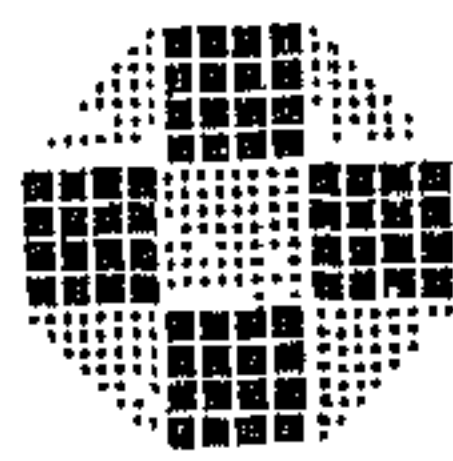
قد تقدم لنا أن الرئيس أبا سعيد فرج بن اسماعيل بن الاحمر صاحب مالقة كان قد غدر بأهل سبته وقبض على رؤسائها من بني العزفي ، وغر بهم الى عرناطة سنة خمس وسبعمائة فاستقروا هنالك في ايالة السلطان ابن الاحمر المعرف بالخلوع مدة ولما استولى السلطان أبو الربيع المريني على سبته ونفى بني الاحمر عنها استأذنه بنو العزفي في الرجوع الى المغرب والقدوم عليه فأذن لهم واستقروا بفاس وكان أبو زكرياء يحيى وأبو زيد عبد الرحمن ابنا أبي طالب عبد الله بن أبي القاسم محمد بن أبي العباس أحمد العزفي من سرواتهم وأهل المروءة والدين فيهم وكانوا يغشون مجالس العلم بمسجد القرويين من فاس لما كانوا عليه من انتحاله، وكان السلطان أبو سعيد أيام ولاية بني أبيه من قبله يحضر مجلس الشيخ الفقيه أبي الحسن الصغير وكان أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب يلازمه ويتودد اليه فاتصل به وصارت له بذلك وسيلة عنده ، فلما أفضى الامر الى السلطان أبي سعيد رعى لبني العزفي تلك الوسيلة فأنعم عليهم وعقد لابن زكرياء منهم على سبته وردهم الى موطن سلفهم ومقر رياستهم فقدموها سنة عشر وسبعمائة ، وأقاموا فيها دعوة السلطان أبي سعيد والتزموا طاعته

ولما فوض السلطان أبو سعيد الى ابنه أبي علي الامر وجعل له الابرام والنقض عقد أبو علي على سبته لابن زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي وعزل أبا زكرياء يحيى بن أبي طالب منها واستقدمه الى فاس فقدمها هو وأبوه أبو طالب وعمه أبو حاتم واستقروا في جملة السلطان وهلك أبو طالب بفاس أثناء تلك المدة * ثم كان من خروج الامير أبي علي على أبيه وانتقاضه عليه ما قدمناه فلحق أبو زكرياء بن أبي طالب وأخوه أبو زيد بالسلطان أبي سعيد نازعين اليه ومفارقين لابنه الثائر عليه واستمروا في جملته الى أن مرض الامير أبو علي

* في شعبان عام ثلاثة عشر وسبعمائة كما في الجدوة

وزحف أبود اليه وحاصره بفاس حسبما مر ، فحينئذ عقد السلطان أبو سعيد
 لابى زكرياء على سبته ثانيا وبعثه اليها ليقم دعوته فى تلك الجهات وترك ابنه
 محمد بن أبى زكرياء تحت يده رهنا على الطاعة فاستقل أبو زكرياء بامارتها
 وأقام دعوة السلطان أبى سعيد بها واتصل ذلك منه نحو سنتين ، ثم هلك عمه أبو
 حاتم بسبته سنة ست عشرة وسبعمائة وانتقض أبو زكرياء بن أبى طالب على
 السلطان أبى سعيد ورجع الى حال سلفه من الاستبداد واقامة الشورى بالبلد
 واستقدم من الاندلس عبد الحق بن عثمان الذى كان خرج على السلطان أبى
 الربيع مع الوزير عبد الرحمن الوطاسى فقدم عليه وعقد له على الحرب ليفرق
 به كلمة بنى مرين بالمغرب ويوهن بأسهم فتخف عليه وطأتهم

واتصل ذلك كله بالسلطان أبى سعيد فقام وقعد وجهاز الى سبته العساكر من
 بنى مرين وعقد على حربها للوزير ابراهيم بن عيسى اليرينانى فزحف اليها
 وحاصرها فاعتذر اليه أبو زكرياء بحبس ابنه عنه ومفارقة له وانه اذا رجع اليه
 ابنه بذل الطاعة وراجع الدعوة فأعلم الوزير السلطان بذلك فبعث اليه بالولد
 ليسلمه الى أبيه بعد أن يقتضى منه موجبات الطاعة وأسبابها وجاء الخبر الى أبى
 زكرياء بان ابنه قد قدم وانه كائن بفسطاط الوزير بساحل البحر بحيث تتأتى
 الفرصة فى أخذه فبعث أبو زكرياء الى عبد الحق بن عثمان قائد الحرب وأعلمه
 بمكان ابنه فواطأه عبد الحق على انتزاعه منهم ، ثم هجم ليلا فى جماعة من
 حاشيته على فسطاط الوزير فاحتمل الولد وأصبح به عند أبيه وسمع أهل عسكر
 الوزير بالهجرة فركبوا وتبعوا الاثر فلم يقفوا على خبر وتفقد الوزير الولد الذى
 كان عنده فلم يجده واتهم الجيش الوزير بانه مالا شيعه أبيه على أخذه والا فلا
 يقدم أحد هذا الأقدام بدون مداخلة من بعض الجيش فتقبضوا على الوزير
 وحملوه الى السلطان ابلاء فى الطاعة وابلاغاً فى العذر فشكر لهم ذلك واطلق
 الوزير لعلمه ببراءته ونصحته



ثم رغب أبو زكرياء بعدها في رضا السلطان وطاعته وولايته فنهض السلطان أبو سعيد رحمه الله سنة ست عشرة الى طنجة لاختبار طاعة أبي زكرياء فبان له صدقه وعقد له على سبته واشترط هو على نفسه حمل الجباية الى السلطان واسناء الهدية في كل سنة واستمر الحال على ذلك الى أن هلك أبو زكرياء سنة عشرين وسبعمائة وفام بالامر بعده ابنه محمد بن أبي زكرياء الى نظر ابن عمه محمد بن علي بن الفقيه أبي القاسم شيخ قرابتهم ، وكان قائد الاساطيل بسبته ولى النظر فيها بعد أن نزع القائد يحيى الرنداحي الى الاندلس وتغلب محمد بن علي هذا بسبته واختلفت كلمة الغوغاء واضطرب الامر على بنى العزفي بها

فانتهاز السلطان أبو سعيد الفرصة فيها وأجمع النهوض اليها فنهض سنة ثمان وعشرين وسبعمائة ونزل عليها فبادر أهل سبته بايتاء طاعتهم وعجز محمد ابن أبي زكرياء عن المناهضة وظنها محمد بن علي من نفسه فتعرض للامر في أرغاد من لفيها اجتمعوا اليه فدافعهم الملا من أهل سبته عن ذلك وحملوهم على الطاعة واقتادوا بنى العزفي الى السلطان أبي سعيد فانقادوا اليه واحتل السلطان بقصبة سبته وثقف جهاتها ، ورم مثلها وأصلح خللها واستعمل كبار رجالاته وخواص مجلسه في أعمالها ، فعقد لحاجبه عامر بن فتح الله السدراتي على حاميتها وعقد لابي القاسم بن أبي مدين العثماني على جبايتها والنظر في مابنها واخراج الاموال للنفقات فيها ، وأسنى جوائز الملا من مشيختها ووفر اقطاعاتهم وجراياتهم وأوعز ببناء البلد المسمى افراك على سبته فشرعوا في بنائها سنة تسع وعشرين وسبعمائة وانكفأ راجعا الى حضرته ، وقد ذكر ابن الخطيب في كتاب الاكليل محمد بن أبي زكرياء هذا فقال فيه ما صورته : « فرع تأود من الرياسة في دوحة وتردد بين غدوة في المجد وروحة نشأ والرياسة العزفية تعله وتتهله والدهر ييسر أمله الاقصى ويسهله حتى اتسقت أسباب سعده وانتتهت اليه رياسة سلفه من بعده فألقت اليه رحالها وحطت ومتعته بقربها بعد ما شطت ثم كلح له الدهر بعد ما تبسم وعاد زعزعا نسيمه الذي كان تبسم وعاق هلاله عن تمه ما كان من تغلب ابن عمه واستقر بهذه البلاد نازح الدار بحكم

الإعداد وان كان نبيه المكانة والمقدار وجرت عليه جراية واسعة ورعاية متتابعة . «
الى آخر كلامه ويعنى بقوله هذه البلاد بلاد الاندلس والله أعلم



المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن

وبين أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي والسبب في ذلك



كان أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن صاحب تلمسان قد ضايق بني أبي حفص أصحاب تونس وأفريقية فبلادهم واستولى على كثير من ثغورهم وردد البعوث والسرايا الى أطراف ممالكهم . وفي سنة تسع وعشرين وسبعمائة جهز أبو تاشفين اليهم جيشا كثيفا وعقد عليه ليحيى بن موسى من صنائع دولته ، ونصب مع ذلك لملك تونس وأفريقية بعض أعقاب الحفصيين وهو محمد بن أبي عمران كان لجا إليه في بعض الفتن التي كانت له مع بني عمه ، وتقدم هذا الجيش الى أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي فبزموه واقتحموا مدينة تونس فاستولوا عليها ونصبوا لملكها والولاية عليها محمد بن أبي عمران المذكور، ليس له من الملك الا الاسم، والامر كله بيد يحيى ابن موسى قائد الجيش ، وخلص السلطان أبو بكر بن أبي زكرياء الحفصي الى بونة جريحا مطرودا عن كرسي ملكه ودار عزه فعزم حينئذ على الوفاة على السلطان أبي سعيد المريني ليأخذ له حقه من آل يغمراسن المتغلبين عليه وأراد مع ذلك تجديد الوصلة التي كانت لسلفه مع بني مرين فأشار عليه حاجبه محمد بن سيد الناس بانفاذ ابنه الامير أبي زكرياء صاحب الثغر استنكافا له عن مثلها فقبل اشارته وأركب ابنه المذكور البحر وبعث معه وزيره أبسا محمد عبد الله بن تافراجين نافضا أمامه طرق المقاصد والمحاورات ونزلوا بمرسى غساسة من ساحل المغرب وقدموا على السلطان أبي سعيد بحضرته فأبلغوه رسالة أبي بكر الحفصي فاهتز لذلك هو وابنه الامير أبو الحسن وقال لوفد الحفصيين :

« والله لا بدلن في مظاهرتكم مالى وقومى ونفسى ولا سيرن بعساكرى الى

تلمسان فأنازلها « وكان فيما شرط عليهم السلطان أبو سعيد مسير أبي بكر الحفصي بعساكره الى منازلهم تلمسان معه فقبلوا وانصرفوا الى منازلهم مسرورين

ونهب السلطان أبو سعيد الى تلمسان سنة ثلاثين وسبعمائة ولما انتهى الى وادي ملوية وعسكر بصبرة جاءه الخبر اليقين بعود أبي بكر الحفصي الى تونس وجلوسه على كرسيه بها فاستدعى السلطان أبو سعيد ابنه أبا زكرياء ووزيره أبا محمد بن تافراجين وأعلمهما الخبر وأسنى جوائزهم وأمرهم بالانصراف الى صاحبهم فركبوا أساطيلهم من غساسة

وبعث معهم ابراهيم بن أبي حاتم الغزفي والقاضي بحضرته أبا عبد الله بن عبد الرزاق يخطبون بنت السلطان أبي بكر الحفصي لابنه الامير أبي الحسن فوصلوا الى الحفصي وأدوا الرسالة وانعقد الصهر بينهم في ابنته فاطمة شقيقة الامير أبي زكرياء وزفها اليهم في أساطيله مع مشيخة الموحدين وكبيرهم أبي القاسم بن عتو ، فوصلوا الى مرسى غساسة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فقام بنو مرين لها على أقدام البر والكرامة وبعثوا بالظهر الى غساسة لركوبها وحمل أثقالها ، وصيغت حكمت الذهب والفضة ومدت ولايا الحرير المغشاة بالذهب واحتفل السلطان أبو سعيد رحمه الله لوفدها وأعراسها بما لم يسمع بمثله في دولتهم وتحدث الناس به دهرا وهلك السلطان أبو سعيد بين يدي موصلها كما نذكر



وفات السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله

كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما بلغه الخبر بوصول العروس فاطمة بنت السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ارتحل بنفسه الى تازا ليشرف أحوالها كرامة لها ولابيها وسرور اعراس ابنه فاعتل هنالك وازداد مرضه حتى اذا أشفا على الهلكة ارتحل به ولي العهد الامير أبو الحسن الى الحضرة ، وحمله في فراشه على اكتاد الحاشية والجند حتى نزل بوادي

سبوا ، ثم أدخله كذلك ليلا الى قصره فأدركته المنية فى طريقه فتوفى ليلة الجمعة الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة ، وكان مرضه بعلة النقرس فوضعه بمكانه من بيته واستدعى ابنه أبو الحسن الصالحين لمواراته فدفن(*) ببعض قبابه رحمه الله وكانت أيامه أعيادا ومواسم ، ومن أكابر كتبه الرئيس أبو محمد عبد المهيمن الحضرمى السبتي



الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله ابى الحسن على

ابن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله



هذا السلطان هو أفخم ملوك بنى مرين دولة وأضخمهم ملكا وأبعدهم صيتا وأعظمهم أبهة وأكثرهم آثارا بالمغربين والاندلس ، ويعرف عند العامة بالسلطان الاكحل لان أمه كانت حبشية* فكان أسمر اللون والعامة تسمى الاسمر والاسود أكحل وانما الاكحل فى لسان العرب أكحل العينين فقط ، وكان أخوه أبو على لمملوكة من سبى النصارى فكان أبيض وانضاف لذلك أن كان أبو الحسن ملكا على الحضرة وأبو على ملكا على بلاد القبلة فكانا أخوين ملكين فى عصر واحد أحدهما أسمر والآخر أبيض فعرف هذا بالاكحل والآخر بالابيض للمقابلة ولما هلك السلطان أبو سعيد رحمه الله اجتمع الخاصة من المشيخة ورجالات الدولة على ولى عهده أبى الحسن المذكور وعقدوا له على أنفسهم وآتوه طاعتهم فأمر للحين بنقل معسكره من ناحية سبو الى الزيتون من ناحية فاس ، ولما فرغ من دفن أبيه خرج الى معسكره بالمحل المذكور واجتمع الناس اليه على طبقاتهم لاداء البيعة بفسطاطه ، وتولى أخذ البيعة له يومئذ على الناس الشيخ أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار والمزوار فى لسان زناته معناه الرئيس وكان هذا الرجل رئيس الوزعة والمتصرفين وحاجب الباب السلطاني قديم الولاية فى ذلك منذ

(*) الذى فى كتاب روضة النسرين فى دولة بنى مرين أنها دفن بشالتا

* تسمى العنبر

عهد السلطان يوسف بن يعقوب ، ثم زفت على السلطان أبي الحسن زوجته الحفصية فبنى بها بمكانه من المعسكر المذكور وأجمع رأيه على الانقام لابيها من عدوه أبي تاشفين الزياني على ما نذكره



حدوث الفتنة بين الاخوين ابي الحسن و ابي علي

ثم مقتل ابي علي والسبب في ذلك



كان السلطان أبو سعيد رحمه الله لما عهد بالامر لابنه أبي الحسن وتحقق مصيره اليه كثيرا ما يستوصيه بأخيه أبي علي لكلفه به وشفقته عليه فلما خلاص الامر الى أبي الحسن وكان موثرا رضا أبيه جهده اعترزم على الحركة الى سجلماسة لمشاركة أحوال أخيه واختبار أمره وما هو عليه من سلم أو حرب ليعمل على مقتضى ذلك ، فارتحل من معسكره بالزيتون قاصدا سجلماسة فالتقته وفود أخيه أبي علي أثناء الطريق مؤديا حقه وموجبا مبرته ومهنئا له بما آتاه الله من الملك ويعلمه مع ذلك بأنه متجاف عن المنازعة له قانع من تراث أبيه بما فى يده طالب منه أن يعقد له بذلك ، فأجابه السلطان أبو الحسن الى ما سأل وعقد له على سجلماسة وما والاها من بلاد القبلة كما كان لعهد أبيه وأشهد على ذلك الملاء من بنى مرين وسائر زناتة والعرب ، وانكفا السلطان أبو الحسن راجعا الى تلمسان عازما على الانتقام من أبي تاشفين الزياني فسار حتى انتهى الى تلمسان ثم تجاوزها الى جهة الشرق حتى نزل بتاسالت منتظرا لقدم صهره السلطان أبي بكر الحفصي عليه وفاء بالعهد الذى كان انعقد له مع السلطان أبي سعيد أيام وفادة ابنه ابي زكرياء عليه من انهما يكونان يدا واحدة على حصار تلمسان حتى يحكم الله بينهما وبين صاحبها فعسكر أبو الحسن بتاسالت ثم بعث بحصنة من جنده فى البحر الى صهره الحفصي مددا له وهو يومئذ بجاية يقاتل جيش بنى زيان عليها .

ولما اتصل الخبر بأبي تاشفين صاحب تلمسان فكر في أمر أبي الحسن وأعمل الحيلة بأن دس الى أخيه الامير أبي علي صاحب سجلماسة في اتصال اليد به والاتفاق معه على أخيه أبي الحسن وأن يأخذ كل واحد منهما بحجزته عن صاحبه ويشغله عنه حتى يتمكن منه ووعدوه أبو تاشفين ومناه ولم يزل به حتى انتقض على أخيه ونهض من سجلماسة الى درعة فقتل عاملها وولى عليها عاملا من قبله ، ثم سرح العساكر الى جهة مراکش وأجلب عليها بخيله ورجله

واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن وهو بمعسكره من تاسالت ينتظر قدوم الحفصي عليه فانكفا راجعا الى الحضرة مجمعا الانتقام من أخيه ، ولما انتهى في طريقه الى حصن تاويرت شحنه بالعسكر وعقد عليه لابنه تاشفين بن أبي الحسن ووقف أمره على نظر منديل بن حمامة شيخ بنى تيربعين ثم آعد السير الى سجلماسة فنزل عليها وأخذ بمخنتها وحشر الفعلة والصناع لصنع الآلات والبناء بساحتها وأقام عليها يغاديا بالقتال ويراوحها حولا كاملا ونهض أبو تاشفين في عساكره من تلمسان يريد الغارة على أطراف المغرب كي يشغل أبا الحسن عن أخيه بذلك فانتهى الى تاويرت فبرز اليه تاشفين بن أبي الحسن في عساكره فهزموه وردوه على عقبه الى تلمسان ، ثم بعث بحصنة من جنده مددا للامير أبي علي فتسربوا الى سجلماسة جماعات وأفذاذا حتى تكاملوا لديه فلم يغنوا شيئا وطاولهم السلطان أبو الحسن الحصار وأنزل بهم أنواع النكال حتى اقتحم البلد عنوة تاسع عشر محرم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وتقبض على الامير أبي علي عند باب قصره ووجيء به الى أخيه أبي الحسن وقد خامره الجزع فلما مثل بين يديه تضرع اليه وقبل حافر فرسه فأمر أبو الحسن بتثقيفه وحمله على بغل الى فاس وانكفا هو راجعا الى الحضرة فلما دخلها اعتقل أخاه ببعض حجر القصر أشهراً ثم قتله فصدأ وخنقا وكانت سن أبي علي يومئذ سبعا وثلاثين سنة وكانت دولته بسجلماسة تسع عشرة سنة وأشهرها وكان رقيق الحاشية ينتمى الى الادب وهو الذي استقدم أبا محمد عبد المهيمن الحضرمي من سبتة واستكتبه أيام أبيه ومن شعر الامير أبي علي يخاطب أخاه أبا الحسن أيام حصاره له بسجلماسة وقد أيقن بزوال أمره

فلا يغرنك الدهر الخؤون فكـم أباد من كان قبلى يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة لا بد من فرح فيه ومن حـزن
أين الملوك التى كانت تهابهم أسد العرين ثورا فى اللحد والكفن
بعد الاسرة والتيجان قد محيت رسومها وعفت عن كل ذى حسن
فاعمل لاخرى وكن بالله مؤتمرا واستغن بالله فى سر وفى علن
واختر لنفسك أمرا أنت أمره كأننى لم أكن يوما ونم تكن



وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان ابى الحسن بحضرة فاس

وفتح جبل طارق



لما هلك السلطان أبو الوليد اسماعيل بن الرئيس أبى سعيد فرج بن الاحمر المتغلب على ملك الاندلس من يد ابن عمه أبى الجيوش ، قام بالامر بعده ابنه محمد طفلا صغيرا واستبد عليه وزيره محمد بن المحروق فقتله بعد ما شب وعقل وكان الطاغية قد استولى على جبل الفتح وهو جبل طارق سنة تسع وسبعمائة وزاحم الفرنج به ثغور المسلمين وصار شجى فى صدر الدولتين المرينية والاحمرية واستمر الحال على ذلك الى أن بويع الامير السلطان أبو الحسن وكان له رغبة فى الجهاد اقتداء بمذهب جده يعقوب بن عبد الحق فبادر السلطان محمد بن اسماعيل بن الاحمر الى الوفادة عليه لاحكام عقد المودة معه وللمفاوضة فى أمر الجهاد وغير ذلك مما فيه صلاح دولته فقدم عليه بدارملكه بفاس سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة فأكرم السلطان أبو الحسن موصله وأركب الناس للقاءه وأنزله بروض المصارة لصق داره واستبغ فى اكرامه ، وفاوضه ابن الاحمر فى شأن المسلمين وراء البحر وما أهمهم من عدوهم وشكى اليه حال الجبل واعتراضه شجى فى صدور الثغور وقبل وشكى اليه أمر بنى عثمان بن أبى العلاء لانهم كانوا قد استطالوا عليه فى أرضه فأشكاه أبو الحسن وعامل الله تعالى

في أسباب الجهاد ، وكان يومئذ مشغولا بفتنة أخيه أبي علي ومع ذلك فقد أمدّه بالجند وعقد لابنه أبي مالك علي خمسة آلاف من أنجاد بني مرين وأنفذهم مع ابن الأحمر لمنازلة جبل الفتح فاحتل أبو مالك بالجزيرة الخضراء وتتابعت اليه الاساطيل بالمدد ، وأرسل ابن الأحمر في الاندلس حاشرين فتسائل الناس اليه من كل جهة وزحفوا جميعا الى الجبل وأحاطوا به وأبلوا في منازلته البلاء الحسن الى أن فتحوه سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة واقتحمه المسلمون عنوة ونقلهم الله من كان به من النصارى بما معهم ، وشرع المسلمون في شخذه بالاقوات ينقلونها من الجزيرة الخضراء على خيولهم خوفا من كرة العدو وبأشر نقلها الاميران أبو مالك وابن الأحمر بأنفسهما ونقلها الناس عامة وتحيز الامير أبو مالك الى الجزيرة الخضراء وترك بالجبل يحيى بن طلحة بن محلى من وزراء أبيه ، ووصل الطاغية بعد ثلاث من فتحه فأناخ عليه وحاصره وبرز أبو مالك بعساكره من الجزيرة فنزل بازائه وزحف ابن الأحمر فنزل بازائه أيضا ثم خاف ابن الأحمر عادية العدو لقرب العهد بارتجاع الجبل وخفة من به من الحامية والسلاح ، فبادر الى لقاء الطاغية وسبق الناس الى فسطاطه عجلا باثما نفسه من الله في رضا المسلمين وسد خلتهم فتلقاء الطاغية راجلا حاسرا اعظاما له وأجابه الى ما سأل من الافراج عن هذا المعقل وأتحفه بذخائر مما لديه وارتحل من فوره وشرع الامير أبو مالك في تحصين ذلك الثغر وسد فروجه وقال أبو العباس المقرئ في النسخ : ارتجع السلطان أبو الحسن جبل طارق بعد أن أنفق عليه الاموال وصرف اليه الجنود والحشود ونازلته جيوشه مع ولده وخواصه وضيقوا به الى أن استرجعوه ليد المسلمين ، واهتم ببنائه وتحصينه وأنفق عليه أحمال المال في بنائه وحصنه وسوره وبنى أبراجه وجامعه ودوره ومحاربه ولما كاد يتم ذلك نازله العدو برا وبحرا فصر المسلمون وخيب الله سعي الكافرين فأراد السلطان المذكور أن يحصن سفح الجبل بسور محيط به من جميع جهاته حتى لا يطمع عدو في منازلته ولا يجد سبيلا للتضييق عليه بمحاصرته ، ورأى الناس ذلك من المحال فأنفق الاموال وأنصف العمال فأحاط بمجموعه احاطة الهالة بالهلال ، وكان بقاء هذا الجبل بيد العدو نيفا وعشرين سنة وحاصره

السلطان أبو الحسن ستة أشهر وزاد في تحصينه ابنه السلطان أبو عنان رحمهما
الله تعالى

وأما ابن الأحمر فان أولاد عثمان بن أبي العلاء شيوخ الغزو بالاندلس لما
رأوا ما حصل بينه وبين السلطان ابي الحسن من الوفاق واتصال
اليد خافوا أن تعود موافقتهم بالضرر عليهم اذ كانوا أعداء للدولتين معا أما دولة
المغرب فبخر وجههم عليهم ومناذتهم اياهم غير مرة ، وأما دولة الاندلس
فباستحوادهم على أهلها ومزاحمتهم اياهم في رياستها فتشاوروا فيما بينهم
وفتكوا بابن الأحمر يوم رحيله عن الجبل الى غرناطة فتقاصفوه بالرماح وقدموا
أخاه أبا الحجاج يوسف بن اسماعيل مكانه فقام بالأمر بعده وشمر للاخذ بثار
أخيه فاحتال على بنى أبي العلاء حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ثم غربهم الى
تونس الى أن كان من أمرهم ما نذكره



فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابي تاشفين وانقراض الدولة الاولى لبني زيان بهلكه



لما استقام ملك المغرب للسلطان أبي الحسن بمقتل أخيه أبي علي صاحب
سجلماسة ونصر الله جنده على الطاغية بالاندلس تفرغ لشأن تلمسان والانتقام
من صاحبها أبي تاشفين الذي ضايق أصهاره من بنى أبي حفص فسي أرضهم
ونازعهم في ملكهم ، وكان السلطان أبو الحسن قد بعث لاول بيعته شفعا الى أبي
تاشفين في أن يتخلى عن عمل الموحدين ويرجع الى تخوم أعماله التي ورثها عن
سلفه وقال له في جملة ذلك : « كف عنهم ولو سنة واحدة لسمع الناس انسى
نافحت عن صهرى ويقدروا قدرى » فاستنكف أبو تاشفين من ذلك وأغلظ
للسل في القول وأفحش بعض السفهاء من عبيده في الرد عليهم بمجلسه ونالوا

من السلطان أبي الحسن بمحضره فعادت الرسل اليه وأعلموه بالقضية على وجهها فحمى لذلك وغضب وتأكد عزمه على النهوض الى تلمسان فكان من نهوضه أولا وانتفاض أخيه عليه وعوده اليه من تاسالت ما قصصناه قبل مستوفى ثم عاود السلطان النهوض الى تلمسان فى هذه المرة فعسكر بظاهر فاس الجديد وبعث وزراءه ووجوه دولته الى قاصية البلاد المراكشية لحشد القبائل والجموع ثم تعجل وعرض جنوده وأزاح عنهم وعبى مواكبه وفصل فى التعبئة من فاس أواسط خمس وثلاثين وسبعمائة فصار يجر الشوك والمدر من أمم المغرب وجنوده، ومر بوجدة فحمر عليها الكتائب للحصار ثم مر بندرومة فقاتلها بعض يوم ثم اقتحمها عنوة فاستولى عليها وقتل حاميتها، ثم سار على التعبئة حتى أناخ على تلمسان ثم بلغه الخبر بتغلب عسكره على وجدة سنة ست وثلاثين وسبعمائة فأوعز اليهم بتخريب أسوارها فأضرعوها بالارض وتوافت لديه امداد النواحي وحشودها، ووفدت عليه قبائل مغراوة وبنى توجين فأتوه طاعتهم وسرح كتائبه الى القاصية فتغلب على وهران وهنين ثم على مليانة وتيس والجزائر وغيرها واستولى على الضواحي ونزع اليه يحيى بن موسى كبير قواد أبي تاشفين وصاحب الثغور الشرقية من أعماله فلقاه مبرة وكرامة ورفع بساطه ونظمه فى طبقات وزرائه وجلسائه، وعقد على فتح البلاد الشرقية ليحيى بن سليمان العسكرى شيخ بنى عسكر بن محمد وصهر السلطان على ابنته فصار فى الالوية والجنود فطوع ضاحية الشرق وافتتح أمصاره حتى انتهى الى لمدية ونظم البلاد فى طاعة السلطان أبي الحسن واحتشد جموعها فلاحقوا بمعسكره واستعمل السلطان أبو الحسن عماله على الجهات

واختط بغربى تلمسان البلد الجديد لسكناء ونزول عساكره، وأحيا معالم المنصورة التى كان اختطها عمه يوسف بن يعقوب وخربها بنو زيان من بعده فأدار عليها سياجا من السور ونطاقا من الخندق ونصب المجانيق وآلات من وراء خندقه وجعلت رماته تنضح رماة العدو بالنبل ويشغلونهم بأنفسهم حتى شيد برجا آخر يقرب منهم وترتفع شرفاته فوق خندقهم وتماصع المقاتلة بالسيوف من أعاليه ورتب المجانيق لرجمها وأحكم عملها لدكها فنالت من ذلك فوق الغاية،

وعظم أثرها في القصور العظيمة والقباب الرفيعة التي تأنق أبو تاشفين في تشييدها ، وكان السلطان أبو الحسن يصبح المقاتلة كل يوم ويطوف على البلد من جميع جهاته لتفقد رؤساء العسكر في مراكزهم وربما انفرد في طوافه فطاف في بعض الايام متبذرا عن الحاشية ، فاهتبل بنو عبد الواد غرته حتى اذا سلك ما بين الجبل والبلد فتحو ابوابهم وأرسلوا عليه عقبان جنودهم يحسبونها فرصة كالتى كانت ليغمراسن بن زيان في السعيد الموحدى ، واضطروه الى سفح الجبل حتى لحق بأوعاره و كاد ينزل عن فرسه هو ووليه عريف بن يحيى أمير عرب سويد ، وأحس أهل المعسكر بذلك فركبوا زرافات ووحداناً وركب ابنه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك وهما جناحا عسكره وعقبا جحافله وتهاوت اليهم صقور بنى مرين من كل جو فانكشفت عساكر بنى عبد الواد وولوا الادبار منهزمين لايلوى أحد منهم على أحد ، واعترضهم مهوى الخندق فتطارحوا فيه وتهافتوا على ردمه فكان الهالك يومئذ فيه أكثر من الهالك بالسلاح ، وهلك من بنى توجين يومئذ عمر بن عثمان كبير الحشم وعامل جبل وانشريس ومحمد ابن سلامة بن على كبير بنى يدلتن وصاحب قلعة تاوغزوت وهما ما هما في زناتة الى أشباه لهما استلحموا في هذه الواقعة فحصد هذا اليوم من جناح دولة بنى زيان وحطم منها ، واتصل الحصار مدة من ثلاث سنين حتى اذا كان السابع والعشرون من رمضان من سنة سبع وثلاثين وسبعمائة اقتحم السلطان أبو الحسن مدينة تلمسان عنوة ، ووقف أبو تاشفين رحمه الله عند باب قصره في جماعة من أصحابه منهم ولداه عثمان ومسعود ووزيره موسى بن على ووليه عبد الحق ابن عثمان وهو الذى كان خرج على السلطان أبى الربيع وبايعه عبد الرحمن ابن يعقوب الوطاسى حسبما مر ، فانه لحق به بعد تلك الواقعة بتلمسان ثم منها الى الاندلس ثم حضر انتقاض الغزفي بسبته سنة ست عشر كما مر ثم لحق بأبى بكر الحفصى ثم نزع عنه الى أبى تاشفين واستمر عنده الى هذا اليوم فشهد في جماعة من بنيه وبنى أخيه وكانوا احلاس حرب وقتيان كريهة فمانعوا دون القصر واستماتوا عليه الى أن استلحموا ورفعت رؤوسهم على عصا الرماح فطيف بها وغصت سكك البلد من داخلها وخارجها بالعساكر وكضت ابوابها بالزحام حتى

تقد كب الناس على أذقانهم وتواقعوا على مساربهم ، فوطئوا بالحوافر وتراكت
أشلائهم ما بين البابين حتى ضاق المسلك ما بين السقف ورجبة الباب وانطلقت
الأيدي على المنازل نهبا واكتساحا

وأما أبو تاشفين فإنه قاتل حتى قتل ابنه عثمان ومسعود أمامه وخلصت إليه
جراحات فأثخنته وتقبض عليه بعض الفرسان فساقه الى السلطان فلقبه ابنه الامير
أبو عبد الرحمن فأمر به فقتل في الحين واحتز رأسه وسخط السلطان ذلك من
فعله لأنه كان حريصا على توبيخه وتقريره ، وقال ابن الخطيب : وقف أبو
تاشفين وبنوه بازاء القصر مدافعين عن أنفسهم وقاموا مقام الصبر والاستجماع
وصدقوا عن أنفسهم الدفاع الى أن كوثرُوا وأعجلتهم ميتة العز عن شد الوثاق
وامكان الثمات فكان في شأنهم عبرة رحمهم الله

وخلص السلطان أبو الحسن الى المسجد الجامع بحاشيته واستدعى شيوخ
الفتيا بلمسان وهما الامامان الشهيران أبو زيد عبد الرحمن وأبو موسى عيسى
ابنا الامام فخلصوا اليه بعد الجهد ووعظوه وذكروه بما نال الناس من النهب
والعيث فركب لذلك بنفسه وسكن الناس وقبض أيدي الجند عن الفساد وعاد
الى معسكره بالبلد الجديد وقد كمل الفتح وعز النصر واستولى السلطان أبو
الحسن على تلك الامارة المؤتلة بما اشتملت عليه من نفيس الحلى وثمان الذخيرة
وفاخر المتاع وخطير العدة وبديع الآلة وصامت المال وضروب الرقيق وصنوف
الاثاث والماعون ، ورفع القتل عن بنى عبد الواد أعدائه وشفاه نفسه بقتل سلطانهم
وعفا عنهم وأثبتهم فى الديوان وفرض لهم العطاء واستبعمهم على راياتهم
ومراكرهم وجمع كلمة بنى واسين من بنى مرين وبنى عبد الواد وبنى توجين
وسائر زناتة وصاروا عصبا تحت لوائه وسد بكل طائفة منهم ثغرا من أعماله ،
فأنزل منهم بقاصية السوس وبلاد غمارة وأجاز منهم الى ثغور عمله بالاندلس
حامية ومرابطين واندرجوا فى جملته واتسع نطاق مملكته ، وأصبح أبو الحسن
ملك زناتة بعد أن كان ملك بنى مرين وسلطان العدوتين بعد أن كان سلطان
المغرب فقط وانما الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين

مراسلة السلطان ابي الحسن لسلطان مصر
وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله



كان للسلطان ابي الحسن مذهب وراى فى ولاية ملوك المشرق والمكلف بالمعاهد الشريفة اقتداء فى ذلك بعمه يوسف بن يعقوب وغيره من سلفه وضاعف ذلك لديه متين ديانته ورفيع همته ، ولما قضى من أمر تلمسان ما قضى واستولى على المغربين خاطب لحينه صاحب مصر والشام والحجاز الملك الناصر محمد بن قلاوون وعرفه بالفتح وارتفاع العوائق عن ركب الحاج فى سابلتهم ، وكان سفيره فى ذلك فارس بن ميمون بن وردار وعاد بجواب الكتاب وتقرير المودة بين الخلف كما كانت بين السلف ، فأجمع السلطان ابي الحسن حينئذ على كتب نسخة عتيقة من المصحف الكريم بخط يده ليوقفها بالحرم الشريف حرم مكة قرابة الى الله تعالى وابتغاء للمنوبة فاتسخها بيده وجمع الوراقين لتنسيقها وتذهيبها والقراء لضبطها وتهذيبها ، وصنع لها وعاء مؤلفا من الالبوس والعاج والصندل فائق الصنعة وغشى بصفائح الذهب ورصع بالجواهر والياقوت واتخذ له أصونة الجلد المحكمة الصنعة المرقوم أديمها بخطوط الذهب ومن فوقها غلائف الحرير والديباج وأغشية الكتان وأخرج من خزائنه أموالا عينها لشراء الضياع بالمشرق لتكون وقفا على القراء فيها ، وأوفد على الملك الناصر خواص مجلسه وكبار أهل دولته مثل عريف بن يحيى أمير بنى زغبة من عرب بنى هلال ومثل السابق المقدم فى بساطه على كل خالصة عطية بن مهلهل بن يحيى كبير أخواله من عرب الخلط وبعث كاتبه ابا الفضل بن محمد بن ابي مدين وعريف الوزعة باباه الشيخ ابا محمد عبد الله بن قاسم المزوار

واحتفل فى الهدية للسلطان صاحب مصر احتفالا تحدث الناس به دهرا قال ابن خلدون . « وقفت على برنامج الهدية بخط ابي الفضل بن ابي مدين الرسول المذكور ووعيته ثم أنسيته وذكر لى بعض قهارمة الدار أنه كان فيها

خمسمائة من عتاق الخيل المقربات بسروج الذهب والفضة ولجمها خالصا ومغشى ومموها وخمسمائة حمل من مناع المغرب وما عونه وأسلحته ومن نسج الصوف المحكم ثيابا وأكسية وبرانس وعمائم وأزرا معلمة وغير معلمة ومن نسج الحرير الفائق المعلم بالذهب ملونا وغير ملون وساذجا ومنمقا ومن الدرق المجلوبة من بلاد الصحراء المحكمة الدبغ المنسوبة الى اللط ومن خرثى المغرب وما عونه ما تستطرف صناعته بالمشرق حتى لقد كان فيها مكيل من حصى الجواهر والياقوت واعتزمت حظية من حظايا أبيه على الحج في ذلك الركب فاذن لها واستبلغ في تكرمها واستوصى بها وفده وسلطان مصر في كتابه ، وفصلوا من تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة ووصلوا الى مصر في الثاني والعشرين من رمضان من السنة المذكورة وأدوا رسالتهم الى الملك الناصر وقدموا هديتهم اليه قبلها وحسن موقعها لديه وكان يوم وفادتهم عليه بمصر يوما مشهودا تحدث الناس به دهرا ولقاهم سلطان مصر في طريقهم أنواع البر والكرامة حتى قضوا فرضهم ووضعوا المصحف الكريم حيث أمرهم صاحبه ، وأسنى الملك الناصر هدية السلطان من الفساطيط المشرقية الغريبة الشكل والصنعة بالمغرب ومن ثياب الاسكندرية البديعة النسج المرقومة بالذهب ، ورجعهم بها الى مرسلهم وقد استبلغ في تكرمهم وصلتهم وبقي حديث هذه الهدية مذكورا بين الناس لهذا العهد « اه كلام ابن خلدون بعض ايضاح

وقد ذكر الامام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق في كتابه «المسند الصحيح الحسن من أخبار السلطان أبي الحسن» هذه الهدية وفصل منها بعض ما أجمله ابن خلدون فقال أرسل السلطان أبو الحسن للناصر بن قلاوون صاحب الديار المصرية من أحجار الياقوت العظيم القدر والثمن ثمانمائة وخمسة وعشرين ومن الزمرد مائة وثمانية وعشرين ومن الزبرجد مائة وثمانية وعشرين ومن الجواهر النفيس الملوكى ثلاثمائة وأربعة وستين وأرسل حلالا كثيرة منها مذهبة ثلاثة عشر ومن الانان عشرين مذهبة ومن الخلادى ستة وأربعين ومن القنوع ستة وعشرين مذهبة ومن المحررات المختمة ثمانمائة ومن الرصان عشرين شقة ومن الاكسية المحررة أربعة وعشرين ومن البرانس المحررة ثمانية عشر ومن

المشقفات مائة وخمسين ومن أحارم الصوف المحررة عشرين ومن شقق الملف الرفيع ستة عشر ومن الفضالى المنوعة والفرش والمخاد المبوق والحلل ثمانمائة ومن أوجه اللحف المذهبة عشرين وحائطين حلة وحنابل مائة واثنى عشر كلها حرير وفرش جلد مخروز بالذهب والفضة ومن السيوف المحلات بالذهب المنظم بالجواهر عشرة والسروج عشرة بركب الذهب كذلك ومهاميز الذهب وثلاثة ركب فضة وستة مزججة ومذهبة ومضتان من ذهب مما يليق بالملوك وشاشية حديد بذهب مكلل بالجواهر ومن لزمات الفضة عشرة وسروج مخروزة بالفضة عشرة وعشر علامات مغشاة مذهبة وعشر رايات مذهبة وعشر براقع مذهبة وعشر أمثلة مرقومة وثلاثون جلدا شرك وأربعة آلاف درقة لمط منها مائتان بنهود الذهب وثمانمائة بنهود الفضة وخباء قبة كبيرة من مائة بنيقة لها أربعة أبواب وقبة أخرى مضربة من ست وثلاثين بنيقة مبطنة بحلة مذهبة وهى من حرير أبيض ومرابطها حرير ملون وعمودها عاج وآبنوس واكبارها من فضة مذهبة ومن البزات الاحرار المنتقات أربعة وثلاثين ومن عتاق الخيل العرب ثلاثمائة وخمسا وثلاثين ومن البغال الذكور والاناث مائة وعشرين ومن الجمال سبعمائة ، وتوجهت مع هذه الهدية أمم برسم الحج مع الربة المكرمة يعنى ربة المصحف الكريم ، وأعطى السلطان الحرة أم أخته أم ولد أبيه مريم ثلاثة آلاف وخمسمائة ذهبا ولقاضى الركب ثلاثمائة وكسوة ولقائد الركب أربعمائة وكساوى متعددة وبغلات وللرسول المعين للهدية ألفا ، ولشيخ الركب أحمد ابن يوسف بن أبى محمد صالح خمسمائة ولجماعة الضعفاء من الحجاج ستمائة ، وبرسم العطاء للعرب ثلاثة آلاف وثمانمائة ولشراء الرباع ستة عشر ألفا وخمسمائة ذهبا اه ، وذكر فى الكتاب المذكور أن السلطان أبا الحسن أهدى هدايا غير هذه لكثير من الملوك منها لصاحب الاندلس صلة وصدقة وهدية فى مرات ، ومنها لملوك النصارى بعد هداياهم ، ومنها لسلاطين السودان كصاحب مالى ، ومنها لصاحب افريقية ومنها لصاحب تلمسان اه ، وقال العلامة المقرئ مؤرخ مصر فى «كتاب السلوك» ما نصه: «وفى ثان وعشرين من رمضان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة قدمت الحرة من عند السلطان أبى الحسن على بن عثمان

(الاستقفا - ثالث - 9)

ابن يعقوب المريني صاحب فاس تريد الحج ومعها هدية جليسة الى الغاية نزل
لحملها من الاسطول السلطاني ثلاثون قطارا من بغال النقل سوى الجمال وكان
من جملتها اربعمائة فرس منها مائة حجرة ومائة فحل ومائتا بغل وجميعها
بسروج ولجم مسقطة بالذهب والفضة وبعضها سروجها وركبها ذهب وكذلك
لجملها وعدتها اثنان واربعون رأسا منها سرجان من ذهب مرصع بجوهر وفيها
اثنان وثلاثون بازا وفيها سيف قرابه ذهب مرصع وحياسة ذهب مرصع وفيها
مائة كساء وغير ذلك من القماش العالى ، وكان قد خرج المهندار الى لقائهم
وأنزلهم بالقرافة قريب مسجد الفتح وهم جمع كثير جدا وكان يوم طلوع
الهدية من الايام المذكورة ففرق السلطان الهدية على الامراء بأسره على قدر
مراتبهم حتى نفذت كلها سوى الجوهر واللؤلؤ فإنه اختص به ، فقدرت قيمة
هذه الهدية بما يزيد على مائة ألف دينار ، ثم نقلت الحرة الى الميدان بمن معها
ورتب لها من الغنم والدجاج والسكر والحلواء والفاكهة فى كل يوم بكرة وعشية
ما عمهم وفضل عنهم ، فكان مرتبهم كل يوم عدة ثلاثين رأسا من الغنم ونصف
أردب أرزا وقنطار حب رمان وربيع قنطار سكر وثمان فانوسيات شمعا وتوابل
الطعام ، وحمل اليها برسم النفقة مبلغ خمسة وسبعين ألف درهم وأجرة حمل
أثقالهم مبلغ ستين ألف درهم ثم خلع على جميع من قدم مع الحرة فكانت عدة
الخلع مائتين وعشرين خلعة على قدر طبقاتهم حتى خلع على الرجال الذين
قادوا الخيول ، وحمل الى الحرة من الكسوة ما يجلب قدره وقيل لها أن تملى ما
تحتاج اليه ولا يعوزها شيء وانما تريد عناية السلطان اكرامها واکرام من معها
حيث كانوا ، فتقدم السلطان الى النشو والى الامير أحمد أن بغا بتجهيزها اللائق
بها فقاما بذلك واستخدما لها السقائين والضوءية وهيا كل ما تحتاج اليه فى
سفرها من أصناف الحلوات والسكر والدقيق والبجماط وطلبوا الحمامة لحمل
جهازها وأزودتها وندب السلطان للسفر معها جمال الدين متولى الجيزة وأمره
أن يرحل بها فى مركب لها بمفردها قدام المحمل ويمثل كلما تأمر به وكتب
لاميرى مكة والمدينة بخدمتها أتم خدمة اه وفيه بعض مخالفة لما وصفه ابن
مرزوق فى الهدية والخطب سهل

ثم انتسخ السلطان أبو الحسن رحمه الله نسخة أخرى من المصحف الكريم على القانون الاول ووقفها على القراء بالمدينة وبعث بها من تخيره لذلك العهد من أهل دولته سنة أربعين وسبعمائة وفعل مثل ذلك بحرم بيت المقدس ، قال العلامة أبو العباس المقرئ فى نفح الطيب « كان السلطان أبو الحسن المريني قد كتب ثلاثة مصاحف شريفة بخطه وأرسلها الى المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، ووقف عليها أوقافا جليلة كتب سلطان مصر والشام توقيعه بمسامحتها من انشاء الاديب الشهير جمال الدين بن نباتة المصرى ، ونص ما يتعلق به الغرض منه هنا قوله :

«وهو الذى مد يمينه بالسيف والقلم فكتب فى أصحابها واطر الختمات الشريفة فأيد الله حربه بما سطره من أحزابها ، واتصلت ملائكة النصر بلوائه تغدو وتروح ، وكثرت فتوحه لاملياء الغرب فقالت أوقاف الشرق لا بد للفقراء من فتوح ، ثم وصلت ختمات شريفة كتبها بقلمه المجيد المجدى وخط سطورها بالعربى وطالما خط فى صفوف الاعداء بالهندي ، ورتب عليها أوقافا تجرى أقلام الحساب فى اطلاقها وطلقها وحبس أملاكا شامية تحدث بنعم الاملاك التى سرت من مغرب الارض الى مشرقها ، والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات بما سطر له فى أكرم الصحائف ، وينفع الجالس من ولاية الامور فى تقريرها ويتقبل من الواقف « اه ، قال المقرئ : وقد رأيت أحد المصاحف المذكورة وهو الذى بيت المقدس وربعته فى غاية الصنعة اه والله تعالى أعلم

واتصلت الولاية بين السلطان أبى الحسن وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى أمر مصر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا على ما نذكره بعد ان شاء الله



نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان ابي الحسن وفرار وزيره زيان بن عمرو طاسي والسبب في ذلك



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله عند ما نهض الى تلمسان أولا وثانياً ينتظر قدوم صهره السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصي عليه لما كان انعقد بينه وبين أبيه أبي سعيد رحمه الله من الاجتماع على تلمسان والتعاون على حصارها ، ولما فتح أبو الحسن تلمسان في التاريخ المتقدم كان وزير الحفصيين الشيخ أبو محمد بن تافراجين شاهداً لذلك الفتح قدم رسولا من عند مخدومه السلطان أبي بكر المذكور ، فأسر الى السلطان أبي الحسن بأن مخدومه قادم عليه للقاءه وتهنئته بالظفر بعدوه فتشوف السلطان أبو الحسن اليها لما كان يحب الفخر ويعنى به ، وارتحل عن تلمسان سنة ثمان وثلاثين وسبعمائة وعسكر بمتيجة منتظرا لوفادة صهره عليه فتكاسل الحفصي عن القدوم بسبب تشييط محمد بن الحكيم من رجال دولته اياه عن ذلك وقال له : « ان لقاء سلطانين لا يتفق الا في يوم على أحدهما » فكره الحفصي ذلك وتقاعد عنه وطال مقام السلطان أبي الحسن في انتظاره ثم طرقه بفسطاطه مرض ألزمه الفراش حتى تحدث أهل العسكر بمهلكه

وكان ابناه الاميران أبو عبد الرحمن وأبو مالك متناغيين في ولاية عهده منذ أيام جدهما أبي سعيد وكان أبوهما قد جعل لهما لاول دولته ألقاب الامارة وأحوالها من اتخاذ الوزراء والكتاب ووضع العلامة وتدوين الدواوين واثبات العطاء واستلحاق الفرسان ، وانفراد كل بعكسره على حدة وجعل لهما مع ذلك الجلوس بمقعد فصله مناوبة لتنفيذ الاوامر السلطانية فكانا لذلك رديفين له في سلطانه ، ولما اشتد وجع السلطان في هذه المرة تمشت سمسرة الفتن بينهما وتحزب أهل العسكر لهما حزبين وشوشوا بواطنهما ، فبث كل واحد منهما المال وحمل على المقربات وصار الجيش شيعا ، وهم الامير أبو عبد الرحمن

بالتوب على الامر قبل أن يتبين حال السلطان باغراء وزرائه وبطائته بذلك .
وتفطن خاصة السلطان لما وقع فأخبروه الخبر وحضوه على الخروج الى
الناس قبل أن يتفقم الامر ويتسع الخرق ، فبرز السلطان الى فسطاط جلوسه
وتسامع أهل المعسكر به فازدحموا الى بساطه وتقبل يده ، وتقبض على أهل
الظنة من الجيش فأودعهم السجن وسخط على الاميرين وأمر برحيل من كان
معهما من الجند فردهم الى معسكره ، ثم رجع الى فسطاطه وطفئت نار الفتنة
وسكن سعى المفسدين وانتبذ الناس عن الاميرين المذكورين فبقيا أوحش من
وتد بقاع ، فاشتد جزع الامير أبي عبد الرحمن وركب من فسطاطه وخاض
الليل فأصبح بحلة أولاد على أمراء بنى زغبة من هلال المواطنين بأرض حمزة
فتقبض عليه أميرهم موسى بن أبي الفضل ورده الى أبيه فاعتقله بوجدة ورتب
العيون لحراسته ولحق وزيره زيان بن عمر الوطاسى بالموحدين أصحاب
تونس فأجاروه ، ورضى السلطان صبيحة فرار أبي عبد الرحمن عن أخيه أبي
مالك وعقد له على ثغور عمله بالاندلس وصرفه اليها وانكفاً راجعا الى تلمسان
والله أعلم



ثورة ابن هيدور الجزائر وما كان من امره



لما تقبض السلطان أبو الحسن على ابنه أبي عبد الرحمن وأودعه السجن
تفرق خدمه وحشمه في الجهات ، وكان منهم رجل جزار مرتب في مطبخه ،
يعرف بابن هيدور وكان له شبه في الصورة بأبي عبد الرحمن فلحق بنى عامر
ابن زغبة وكانوا لذلك العهد منحرفين عن طاعة السلطان أبي الحسن لاختصاصه
عريف بن يحيى أمير بنى سويد أعدائهم ، فلما لحق بهم ابن هيدور هذا انتسب
لهم الى السلطان أبي الحسن وأنه ابنه أبو عبد الرحمن فشبه لهم وباعوه وأجلبوا
به على نواحي لمدينة فبرز اليهم قائدها فهزموه ، ثم جمع لهم ونزمر بن
عريف بن يحيى فهزمهم واقترب جمعهم ونبذوا للجزار عهده ، فلحق بنى

يزناتن من زواوة فنزل على شيختهم شمسي من بنى عبد الصمد منهم ، وكانت هذه المرأة قد ملكتهم وغلبت عليهم بقومها ورجالها وكان لها بنون عشرة فاستفحل أمرها بهم ولما نزل عليها الجزار المذكور وانتسب لها الى السلطان أبى الحسن قامت بأمره وشمرت عزائمها لاجارته وحملت قومها على طاعته وشاع في الناس خبره فمن مصدق ومن مكذب وسرب السلطان أبو الحسن الاموال في قومها وبنيتها على اسلامه اليه فأبت ثم نمت اليها الخبر بكذبه وتمويهه فنبدت اليه عهده وخرج عنها الى بلاد العرب فلحق بالدواودة أمراء رياح من بنى هلال ونزل على سيدهم يعقوب بن علي وانتسب له في مثل ذلك فأجاروه ان صدق نسبه وأوعز السلطان أبو الحسن الى صهره أبى بكر الحفصي في شأن الجزار فبعث الحفصي الى يعقوب بن علي في ذلك ، فأشخصه الى السلطان أبى الحسن مع بعض حاشيته ، فلحق به بمكانه بسبته يريد الجهاد فامتحنه وقطعه من خلاف وانحسم داؤه وبقي المغرب تحت جراية من الدواة الى أن هلك في بعض السنين ، وأما الامير أبو عبد الرحمن فانه لما سجن بوجدة بقي هنالك الى سنة اثنتين واربعين وسبعمائة فوثب ذات يوم بالسجان فقتله واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فأنفذ حاجبه علان بن محمد ففضى عليه رحم الله الجميع

اخبار السلطان ابى الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف

التي محص الله فيها المسلمين وغير ذلك



لما فرغ السلطان أبو الحسن من شأن عدوه وعلت على الايدي يده وانفسح نطاق ملكه دعتهم همته الى الجهاد وكان كلفا به فأوعز الى ابنه الامير أبى مالك أمير الثغور الاندلسية سنة أربعين وسبعمائة بالدخول الى دار الحرب وجهاز اليه العساكر من حضرته وأنفذ اليه الوزراء ، فشخص أبو مالك غازيا وتوغل في بلاد النصرانية واكتسحها وخرج بالسبي والغنائم الى أدنى صدر من أرضهم ،

وأناخ بها فاتصل به الخبر ان النصارى قد جمعوا له وأنهم أغدوا السير فى انباعه فأشار عليه الملاء بالخروج من أرضهم وعبور الوادى الذى كان تخما بين أرض المسلمين ودار الحرب ويتحيز الى مدن المسلمين فيمتنع بها فليج فى ابايته وصمم على التعريس وكان فرما ثنا الا أنه غير بصير بالحرب لصغر سنه ، فصبحتهم عساكر النصرانية فى مضاجعهم قبل أن يركبوا وخالطوهم نى بياتهم وأدركوا الامير أبا مالك بالارض قبل أن يستوى على فرسه فجدلوه* واستلحموا الكثير من قومه واحتوا على المعسكر بما فيه من أموال المسلمين وأموالهم ورجعوا على أعقابهم ، واتصل الخبر بالسلطان أبى الحسن فتفجع لهلاك ابنه واسترحم له واحتسب عند الله أجره ، ثم أنفذ وزراءه الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل وفتح ديوان العطاء وعرض الجنود وأزاح عنهم واستنفر أهل المغرب كافة ، ثم ارتحل الى سبتة لياشر أحوال الجهاد وتسامعت به أمم النصرانية فاستعدوا للدفاع وأخرج الطاغية أسطوله الى الزقاق ليمنع السلطان من الاجازة واستحث السلطان اساطيل المسلمين من مراسى المغرب ، وبعث الى أصهاره الحفصيين بتجهيز أسطولهم اليه فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية ووافى سبتة فى ستة عشر أسطولا من أساطيل افريقية كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية وتوافت أساطيل المغربين بمرسى سبتة تناهز المائة ، وعقد السلطان عليها لمحمد بن على العزفى الذى كان صاحب سبتة يوم فتحها أيام السلطان أبى سعيد وأمره بمناجزة أسطول النصارى بالزقاق وقد تكامل عديدهم وعدتهم ، فاستلماوا وتظاهروا فى السلاح وزحفوا الى أسطول النصارى وتواقفوا مليا ثم قربوا الاساطيل بعضها من بعض وقرنوها للمصاف ، فلم يمض الا كلا ولا حتى هبت ريح النصر وأظفر الله المسلمين بعدوهم وخالطوهم فى أساطيلهم واستلحموهم هبرا بالسيوف وطعنا بالرماح وألقوا أشلاءهم فى اليم وقتلوا قائدهم المند ، واستاقوا أساطيلهم مجنوبة الى

* وحملت جثته الى شالة وأقبر بها وقد وقف القنصل الفرنساوى شينىي Chénier

على رخامة ضريحه انظر تاليفه المسمى أبحاث فى تاريخ المغاربة ج ٣ ص ٢٨٧ فقد استقصى ذلك واستدل عليه بالاثر الذى عثر عليه بنفسه

مرسى سبنة فبرز الناس لمشاهدتها وطيف بكثير من رؤوسهم فى جوانب البلد ونظمت أصفاد الاسرى بدار الانشاء ، وعظم الفتح وجلس السلطان للتهنئة وأنشد الشعراء بين يديه وكان ذلك يوم السبت سادس شوال سنة أربعين وسبعمائة فكان من أعز أيام الاسلام ، ثم شرع السلطان أبو الحسن فى اجازة العساكر من المتطوعة والمرتزة ، وانتظمت الاساطيل سلسلة واحدة من العدو الى العدو ، ولما تكاملت العساكر بالعبور وكانت نحو ستين ألفا أجاز هو فى أسطوله مع خاصته وحشمه آخر سنة أربعين وسبعمائة ونزل بساحة طريف وأناخ عليها ثالث محرم من السنة بعدها وشرع فى منازلها ، ووفاه سلطان الاندلس أبو الحجاج يوسف بن اسماعيل بن الاحمر فى عسكر الاندلس من غزاة بنى مرين وحامية الثغور ورجالة البدو ، فعسكروا حذاء معسكره وأحاطوا بطريف نطاقا واحدا وأنزلوا بها أنواع القتال و نصبوا عليها الآلات ، وجهاز الطاغية أسطولا آخر اعرض به الزقاق لقطع المرافق عن المعسكر ، وطال مقام المسلمين بمكانهم حول طريف ففتيت أزوادهم وقتل العلوفات فوهن الظهر واختلت أحوالهم ، ثم احتشد الطاغية أمم النصرانية وظاهره البرتقال صاحب اشبونة وغرب الاندلس وزحفوا الى المسلمين لسته أشهر من نزولهم على طريف ولما قرب الطاغية من معسكر المسلمين سرب الى طريف جيشا من النصارى أكنه بها الى وقت الحاجة اليه فدخلوها ليلا على حين غفلة من العسس الذين أرصدوا لهم وأحسوا بهم آخر الليل فثاروا بهم من مراصدهم وأدركوا أعقابهم قبل دخول البلد فقتلوا منهم عددا وقد نجا أكثرهم فلبسوا على السلطان أنه لم يدخل البلد سواهم حذرا من سطوته ، ثم زحف الطاغية من الغد فى جموعه الى المسلمين وعبأ السلطان مواكبه صفوفها وتزاحفوا ولما نشبت الحرب برز الجيش الكمين من البلد وهو الذى دخل ليلا وخالفوا المسلمين الى معسكرهم وعمدوا الى فسطاط السلطان فدافعهم عنه الناشبة الذين كانوا على حراسته فاستلحموهم لقتلهم ، ثم دافعهم النساء عن أنفسهن فقتلوهن كذلك وخلصوا الى حظايا السلطان منهن عائشة بنت عمه أبى بكر بن يعقوب بن عبد الحق وفاطمة بنت السلطان أبى بكر بن أبى زكرياء الحفصى وغيرهما من حظاياهم فقتلوهن واستلبوهن ومثلوا

بهن وانتهبوا سائر الفسطاط وأضرموا المعسكر ناراً ثم أحس المسلمون بماوراءهم في معسكرهم فاقتل مصافهم وارتدوا على أعقابهم بعد أن كان تاشفين بن السلطان أبى الحسن صمم في طائفة من قومه وحاشيته حتى خالطهم في صفوفهم فأحاطوا به وتقبضوا عليه وعظم المصاب بأسره ، وكان الخطب على الاسلام قلما فجع بمثله وذلك ضحوة يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة من سنة احدى وأربعين وسبعمائة وولى السلطان أبو الحسن متحيزاً الى فئة المسلمين واستشهد كثير من الغزاة وتقدم الطاغية حتى انتهى الى فسطاط السلطان من المحلة فانكر قتل النساء والولدان وكان ذلك منتهى أثره ، ثم انكفأ راجعاً الى بلاده ولحق ابن الاحمر بغرناطة وخلص السلطان أبو الحسن الى الجزيرة الخضراء ثم منها الى جبل الفتح ثم ركب الاسطول الى سبتة فى ليلة غده ومحض الله المسلمين وأجزل ثوابهم



استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء



لما رجع الطاغية من طريف استأسد على المسلمين بالاندلس وطمع فى التهامهم وجمع عساكر النصرانية ونازل أولاً قلعة بنى سعيد ثغر غرناطة وعلى مرحلة منها ، وجمع الآلات والايدي على حصارها وأخذ بمخنفها فأصابهم الجهد من العطش فنزلوا على حكمه سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، وأدال الله الطيب منها بالخبيث وانصرف الطاغية الى بلاده ، وكان السلطان أبو الحسن لما أجاز الى سبتة أخذ نفسه بالعود الى الجهاد لرجع الكرة فأرسل فى المدائن حاشرين وأخرج قواده الى سواحل المغرب لتجهيز الاساطيل فتكامل له منها عدد معتبر ، ثم ارتحل الى سبتة لمشاركة ثغور الاندلس وقدم عساكره اليها مع وزيره عسكر بن تاحضريت وعقد على الجزيرة الخضراء لمحمد بن العباس بن تاحضريت من قرابة الوزير وبعث اليها مدداً من العسكر مع موسى بن ابراهيم

اليريناني من المرشحين للوزارة نيابة ، وبلغ الطاغية خبره فجهز أسطوله وأجراه الى بحر الزقاق لمدافته وتلاقت الاساطيل ومحص الله المسلمين واستشهد منهم أعداد وتغلب أسطول الطاغية على بحر الزقاق فملكه دون المسلمين ، وأقبل الطاغية من اشيلية في عساكر النصرانية حتى أناخ بها على الجزيرة الخضراء مرفأ أساطيل المسلمين وفرضة المجاز ورجا أن ينظمها في مملكته مع جارتها طريف وحشر الفعلة والصناع للآلات وجمع الايدي عليها وطاولها الحصار واتخذ أهل المعسكر بيوتا من الخشب للمطاوله ، وجاء السلطان أبو الحجاج ابن الاحمر بعساكر الاندلس فنزل قبالة الطاغية بظاهر جبل الفتح في سبيل الممانعة وأقام السلطان أبو الحسن بمكانه من سبتة يسرب الى أهل الجزيرة المدد من الفرسان والمال والقوت في أوقات الغفلة من أساطيل العدو وتحت جناح الليل وأصيب كثير من المسلمين في ذلك ، ولم يغن عن أهل الجزيرة ذلك المدد شيئا واشتد عليهم الحصار وأصابهم الجهد ، وأجاز السلطان أبو الحجاج الى السلطان أبي الحسن يفاوضه في شأن السلم مع الطاغية بعد أن أذن الطاغية له في الاجازة مكرأ به وأصدر له بعض الاساطيل في طريقه فصدقهم المسلمون القتال وخلصوا الى الساحل بعد غص الريق ، وضافت أحوال أهل الجزيرة ومن كان بها من عسكر السلطان فسألوا الطاغية الامان على أن ينزلوا له عن البلد فبذله لهم وخرجوا فوفى لهم وأجازوا الى المغرب سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، فأنزلهم السلطان ببلاده على خير نزل ولقاهم من المبرة والكرامة ما عوضهم بما فاتهم وخلع عليهم وحملهم ووصلهم بما تحدث الناس به ، وتقبض على وزيره عسكر بن تاحضريت عقوبة له على تقصيره في المدافعة مع تمكنه منها ، وانكفأ السلطان أبو الحسن راجعا الى حضرته موقنا بظهور أمر الله وانجاز وعده والله متم نوره ولو كره الكافرون



بقية اخبار بنى ابي العلاء



قد تقدم لنا أن عثمان بن أبي العلاء كان يلي مشيخة الغزاة بالاندلس وانه استشهد سنة ثلاثين وسبعمائة * وقام بأمره ابنه أبو ثابت فاستحوذ بعصيته وقومه على بنى الاحمر ، فقتلوا محمد بن اسماعيل منهم مرجعه من فتح جبل القتح ونصبوا للامر أخاه يوسف بن اسماعيل حسبما تقدم الالماع بذلك ، ثم ان السلطان أبا الحجاج هذا بقى بين جنيه داء دخيل من بنى أبي العلاء الذين فتكوا بأخيه فلم يزل يسعى فى أمرهم حتى قبض عليهم وأودعهم المطبق ، ثم غربهم الى تونس فنزلوا على السلطان أبي بكر بن أبي زكرياء الحفصى واتصل الخبر بالسلطان أبي الحسن فكتب اليه باعتقالهم ففعل ، ثم بدا له فبعث اليه مع عريف الوزعة باباه ميمون بن بكرون فى اشخاصهم الى حضرته فتوقف الحفصى عن ذلك وأبى من اخفار ذمتهم ، فأشار عليه وزيره أبو محمد بن تافراجين بعثهم اليه وانه لا يريد بهم الا الخير فبعثهم وبعث كتابه بالشفاعة فيهم فقدموا على السلطان أبي الحسن مرجعه من الجهاد سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فتلقاهم بالبر والكرامة اكراما لشفيهم وأنزلهم بمعسكره وحملهم على الخيول المسومة بالمراكب الثقيلة وضرب لهم الفساطيط وأسنى لهم الخلع والجوائز وفرض لهم فى أعلى رتب العطاء وصاروا فى جملة ، ولما احتل بسبته لمشاركة أحوال الجزيرة الخضراء سعى عنده فيهم بان كثيرا من المفسدين يداخلونهم فى الخروج والتوثب على الامر فتقبض عليهم وأودعهم السجن بمكناسة الزيتون ، واستمروا هنالك الى أن قام أبو عنان فأطلقهم واستعان بهم على أمره حسبما نذكره ان شاء الله



مراسلة السلطان ابي الحسن لصاحب مصر ابى الفداء اسمعيل بن محمد بن قلاوون



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن راسل الملك الناصر صاحب مصر وهاداه بما عظم وقعه عند الخاصة والعامة ، واتصلت الولاية بينه وبين الملك الناصر الى أن هلك سنة احدى واربعين وسبعمائة وولى الامر من بعده ابنه أبو الفداء اسماعيل ، فخاطبه السلطان أبو الحسن أيضا وأتحفه وعزاه عن أبيه وأوفدعليه كاتبه وصاحب ديوان الخراج أبا الفضل ابن أبي عبد الله ابن أبي مدين وفى صحبته الحرة أخت السلطان أبي الحسن فقضى من وفادته ما حمل ، وأصحابه السلطان أبو الحسن كتبا الى الملك الصالح أبي الفداء وكان وصوله الى مصر منتصف شعبان سنة خمس وأربعين وسبعمائة

ونص الكتاب بعد البسمة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم : «من عند أمير المسلمين المجاهد فى سبيل الله رب العالمين المنصور بفضل الله المتوكل عليه المعتمد فى جميع أموره لديه سلطان البرين حامى العدوتين موثرالمرابطة والمثاغرة موازر حزب الاسلام حق الموازرة ناصر الاسلام مظاهر دين الملك العلام ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين فخر السلاطين حامى حوزة الدين ملك البرين امام العدوتين ممهد البلاد مبدد شمل الاعاد مجند الجنود المنصور الرايات والبنود محط الرحال مبلغ الآمال أبى سعيد ابن أمير المسلمين المجاهد فى سبيل رب العالمين حسنة الايام حسام الاسلام أبى الاملاك مشجى أهل العناد والاشراك مانع البلاد رافع علم الجهاد مدوخ أقطار الكفار مصرخ من ناداه للانتصار القائم لله باعلاء دين الحق أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أخلص الله لوجهه جهاده ويسر فى قهر عداة الدين مراده الى محل ولدنا الذى طلع فى أفق العلا بدرا تما وصدع بأنواع الفخار فجلى ظلما وظلما وجمع شمل المملكة الناصرية

فاعلى منها علما وأحیی رسما حائط الحرمین القائم بحفظ القبلتین باسط
الامان قابض كف العدوان الجزیل النوال الكفیل تأمینة بحیاطة النفوس
والاموال قطب المجد وسماكه حسب الحمد وملاكه السلطان الجلیل
الرفیع الاصل الحافل العادل الفاضل الكامل الشهیر الخطیر الاضخم
الافخم المعان المؤزر المؤید المظفر الملك الصالح أبی الولید اسماعیل ابن
محل أخینا الشهیر علاؤه المستطیر فی الآفاق ثناؤه زین الايام واللیل كمال
عین انسان المجدوانسان عین الكمال وارث الدول النافث بصحیح رأیه فی
عقود أهل الملل والنحل حامی القبلتین بعدله وحسامه النامی فی حفظ
الحرمین أجر اضطلاعہ بذلك وقیامہ هازم أحزاب المعاندين وجیوشها هادم
الكنائس والبیع فهی خاویة على عروشها السلطان الاجل الهمام الاحفل
الافخم الاضخم الفاضل العادل الشهیر الكیبر الرفیع الخطیر المجاهد
المرابط المقسط عدله فی الجائر والقاسط المؤید المظفر المنعم المقدس المطهر
زین السلاطین ناصر الدنیا والدين أبی المعالی محمد بن الملك الارضی الهمام
الامضى والد السلاطین الاخيار عاهد لواء النصر فی قهر الارمن والفرننج
والتتار محیی رسوم الجهاد معلى كلمة الاسلام فی البلاد جمال الايام
ثمال الاعلام فاتح الاقالیم صالح ملوك عصره المتقادم الامام المؤید المنصور
المسدد قسیم أمير المؤمنین فیما تقلد الملك المنصور سيف الدنیا والدين
قلاوون مكن الله له تمكين أولیائه ونمی دولته التی أطلعها له السعد شمسا
فی سمائه وأحسن ایزاعه للشكر أن جعله وارث آباءه سلام كريم یفواح
زهر الربی مسراه وینافح نسیم الصبا مجراه یصعبه رضوان یدوم ما دامت
تقل الفلك حرکاته ویتولاه روح وریحان تحییه به رحمه الله وبرکاته أما بعد حمد
الله مالک الملك جاعل العاقبة للتقوی صدعا بالیقین ودفعا للشك وخادل من أسر
النفاق فی النجوى فاصر على الدخن والافک والصلاة والسلام على سيدنا محمد
رسوله الذی محی بأنوار الهدی ظلم الشرك ونیه الذی حتم به الانبیاء وهو
واسطة ذلك السلك ودعا به حجة الحق فمادت بالكفرة محمولة الافلاك
وماجت بهم حاملة الفلك والرضا عن آله وصحبه الذین سلکوا سبیل هداه

فسلك في قلوبهم أجمل السلك وملكوا أعنة هواهم فلزموا من محجة الصواب
أجج السلك وصابروا في جهاد الأعداء فزاد خلوصهم مع الابتلاء والذهب
يزيد خلوصا على السبك والدعاء لاولياء الاسلام وحماته الاعلام بنصر
لمضائه في العدى أعظم الفتك ويسر بقضائه درك آمال الظهور وأحفل بذلك
الدرك فكتبنا اليكم كتب الله لكم رسوخ القدم وسبوغ النعم من حضرتنا
مدينة فاس المحروسة وصنع الله سبحانه يعرف مذاهب اللطاف ويكيف
مواهب تلهج اللسان في القصور عن شكرها بالاعتراف ويصرف من أمره
العظيم وقضائه المتلقى بالتسليم ما يتكون بين النون والكاف ومكانكم العتيد
سلطانه وسلطانكم المجيد مكانه وولاؤكم الصحيح برهانه وعلاؤكم الفسيح
في مجال الجلال ميدانه والى هذا زاد الله سلطانكم تمكينا وأفاد مقامكم
تحسينا وتحسينا وسلك بكم من سنن من خلفتموه سيلا مينا فلا خفاء بما
كانت عقده أيدي التقوى ومهدته الرسائل التي على الصفاء تطوى بيننا وبين
والدكم نعم الله روحه وقدسه وبقربه مع الأبرار في عليين أنسه من مؤاخاة
أحكمت منها العهود تالية الكتب والفتاحة وحفظ عليها محكم الاخلاص معوذتها
المحبة والنية الصالحة فانعقدت على التقوى والرضوان واعتضدت
بتعارف الارواح عند تنازع الابدان حتى استحكمت وصلة الولاء والتأمت
كلحمة النسب لحة الاخاء فما كان الا وشيكا من الزمان ولا عجب قصر زمن
الوصلة أن يشكوه الخلان ورد وارد أورد رنق المشارب وحقق قول « ومن
يسأل الركبان عن كل غائب » أنبا باستشارة الله تعالى بنفسه الزكية واكنان درته
السنية وانقلابه الى ما أعد له من المنازل الرضوانية بجيل ما وقر لفقده في
الصدور وعظيم ما تأثرت له النفوس لوقوع ذلك المقدور خانا للاسلام بتلك
الاقطار واشفاقا من أن يعثور قاصدي بيت الله الحرام من جراء الفتن عارض
الاضرار ومساهمة في مصاب الملك الكريم والوصى الحميم ثم عميت
الاخبار وطويت طي السجل الآثار فلم نر مخبرا صدقا ولا معلما بمن
استقر له ذلك الملك حقا وفي أثناء ذلك حفزنا للحركة عن حضرتنا استصراخ
أهل الاندلس وسلطانها وتواتر الاخبار بأن النصارى أجمعوا على خراب

أوطانها ونحن أثناء ذلك الشأن نستخبر الورد من تلکم البلدان عما أجلى عنه ليل الفتن بتلكم الاوطان فبعد لائى وقعنا منها على الخير وجاءنا بوقاية حرم الله بكم البشير وتعرفنا أن الملك استقر منكم فى نصابه وتداركه الله تعالى منكم بفتح الخير من أبوابه فأطفأ بكم نار الفتنة واخمدتها من أدواء النفاق ما أعل البلاد وأفسدها فقام سبيل الحج سابلا وعبر طريقه لمن جاء قاصدا وقافلا ولما احتفت بهذا الخبر القرائن وتواتر بنقل الحاضر المعين أثار حفظ الاعتقاد البواعث والود الصحيح تجره حقا الموارث فأصدرنا لكم هذه المخاطبة المتفننة الاطوار الجامعة بين الخبر والاستخبار الملبسة من الغراء والهناء ثوبى الشعار والدثار ومثل ذلك الملك رضوان الله عليه من تجل المطائب لفقدانه وتحل عرى الاصطبار بموته ولات حين أوانه ولكن الصبر أجمل ما ارتداه ذو عقل حصين والاجر أولى ما اقتناه ذودين متين ومثلکم من لا يخف وقاره ولا يشف عن ظهور الجزع الحادث اصطباره ومن خلفتموه فما مات ذكره ومن قتمتم بأمره فما زال بل زاد فخره وقد طالت والحمد لله العيشة الراضية بالحقب وطاب بين مبداه ومحتضره هنيئا بما من الاجراكتسب وصار حميدا الى خير منقلب ووفد من كرم الله على أفضل ما منح موقنا ووهب فقد ارتضاكم الله بعده لحياطة أرضه المقدسة وحماية زوار بيته مقيلة أو معرسة ونحن بعد بسط هذه التعزية نهنيكم بما خولكم الله أجمل التهنية وفى ذات الله الايراد والاصدار وفى مرضاته سبحانه الاضمار والاظهار فاستقبلوا دولة ألقى العز عليها رواقه وعقد الظهور عليها نطاقه وأعطاهما أمان الزمان عقدته وميثاقه ونحن على ما عاهدنا عليه الملك الناصر رضوان الله عليه من عهود موثقة وموالاتة محققة وثناء كرائمه عن أذكى من الزهرغب القطر مفتقه ولم يغب عنكم ما كان من بعثنا المصحفين الاكرمين اللذين خطتهما منا اليمين وآوت بهما الرغبة من الحرمين الشريفين الى قرار مكين وانه كان لوالدكم الملك الناصر تولاه الله برضوانه وأورده موارد احسانه فى ذلكم من الفعل الجميل والصنع الجليل ما ناسب مكانه الرفيع وشاكل فضله من البر الذى لا يضع حتى طبق فعله الاآفاق ذكرا وطوق أعناق الورد والقصاد برا وكان

من أجمل ما به تحفى وأتحف واعظم ما يعرفه الى الملك العلام فى ذلك تعرف
اذنه للمتوجهين اذ ذاك فى شراء رباغ توقف على المصحفين ورسم المراسم
المباركة بتحرير ذلك الوقف مع اختلاف الجديدين فجرت أحوال القراء فيهما
بذلك الخراج المستفاد ريثما يصلهم من خراج ما وقفه عليهم بهذه البلاد على
ما رسمه رحمة الله عليه من عناية بهم متصلة واحترام فى تلك الاوقاف فوائدها
به متوفرة متحصلة وقد أمرنا مؤدى هذا لكمالكم وموفده على جلالكم كاتبنا
الاسنى الفقيه الاجل الاحظى الاكمل أبا المجد ابن كاتبنا الشيخ الفقيه الاجل
الحاج الاتقى الارضى الافضل الاحظى الاكمل المرحوم أبى عبد الله بن أبى
مدين حفظ الله عليه رتبته ويسر فى قصد البيت الحرام بغيته بأن يتفقد أحوال
تلك الاوقاف ويعرف تصرف الناظر عليها وما فعله من سداد واسراف وأن
يتخير لها من يرتضى لذلك ويحمد تصرفه فيما هنالك وخاطبنا سلطانكم فى
هذا الشأن جريا على الود الثابت الاركان واعلاما بما لوالدكم رحمه الله تعالى
فى ذلك من الافعال الحسان وكمالكم يقتضى تخليد ذلكم البر الجميل
وتجديد عمل ذلكم الملك الجليل وتشيد ما اشتمل عليه من الشراء الاصيل
والاجر الجزيل والتقدم بالاذن السلطانى فى اعانة هذا الواقد بهذا الكتاب على
ما يتوخاه فى ذلك الشأن من طرق الصواب وثناؤنا عليكم الثناء الذى يفوح
زهر الربا ويطارح نغم حمام الايك مطربا وبحسب المصافاة ومقتضى الموالاتة
نشرح لكم المتزايدات بهذه الجهات وننبئكم بموجب ابطاء انفاذ هذا الخطاب
على ذلكم الجنب وذلك أنه لما وصلنا من الاندلس الصريخ ونادى منالجهاد
عزما لمثل ندائه يصيخ أنبأنا أن الكفار قد جمعوا أحزابهم من كل صوب
وقرض عليهم بابهم اللعين التناصر من كل أوب وان تقصد طوائفهم البلاد
الاندلسية بايجافها وتنقص بالمنازلة أرضها من أطرافها ليمحو كلمة الاسلام
منها ويقلصوا ظل الايمان عنها فقدمنا من يشتغل بالاساطيل من القواد
وسرنا على أثرهم الى سبتة منتهى الغرب الاقصى وباب الجهاد فما وصلناها الا
وقد أخذ أخذ العدو الكفور وسدت أجفان الطواغيت على التعاون مجاز العبور
وأتوا من أجفانهم بما لا يحصى عددا وأرصدوها بمجمع البحرين حيث المجاز

الى دفع العدا وتقلصوا عن الانبساط فى البلاد واجتمعوا الى الجزيرة الخضراء
أعادها الله بكل من جمعوه من الاعاد لكننا مع انسداد تلك السبيل وعدم أمور
نستعين بها فى ذلكم العمل الجليل حاولنا امداد تلکم البلاد بحسب الجهد
وأصرخناهم بما أمکن من الجند وجهزنا أجفانا مختلسين فرصة الاجازة
تردد على خطر بمن جهز للجهاد جهازه وأمرنا لصاحب الاندلس من المال
بما يجهز به حركته لمدانة محلة حزب الضلال واجرينا له ولجيشه العطاء
الجزل مشاهرة وأرضخنا لهم من النوال ما نرجو به ثواب الآخرة وجعلت
أجفانا تتردد فى مينا السواحل وتلج أبواب الخوف العاجل لاحراز الامن
الآجل مشحونة بالعدد الوفورة والابطال المشهورة والخييل المسومة
والاقوات المقومة فمن ناج حارب دونه الاجل وشهيد مضى لما عند الله عز
وجل وما زالت الاجفان تتردد على ذلك الخطر حتى تلف منها سبع وستون
قطعة غزوية أجرها عند الله يدخر ثم لم نقنع بهذا العمل فى الامداد فبعثنا
أحد أولادنا أسعدهم الله مساهمة به لاهل تلك البلاد فلقى من هول البحر
وارتجاجه والحاح العدو ولجاجة ما به الامثال تضرب وبمثلته يتحدث
ويستغرب ولما خلص لتلك العدو بمن أبقته الشدائد نزل بازاء الكافر الجاحد
حتى كان منه بفرسخين أو أدنى وقد ضرب بعطن يصابح العدو ويماسيه
بحرب بها يمنى وقد كان من مددنا بالجزيرة جيش شريت شرارته وقويت
فى الحرب ادارته يبلون البلاء الاصدق ولا يبالون بالعدو وهم منه كالشامة
البيضاء فى البعير الاورق الا أن المطاولة بحصارها فى البحر مدة ثلاثة أعوام
ونصف ومنازلتها فى البر نحو عامين معقودا عليها الصف بالصف أدى الى
فناء الاقوات فى البلد حتى لم يبق لاهليه قوت شهر مع انقطاع المدد وبه من
الخلق ما يربى على عشرة آلاف دون الحرم والولد فكتب الينا سلطان الاندلس
يرغب فى الاذن له فى عقد الصلح ووقع الاتفاق على أنه لاستخلاص المسلمين
من وجوه النجح فأذنا له فيه الاذن العام اذفى اصراخه واصراخ من بقطره
من المسلمين توخينا ذلك المرام هنالك دعى النصارى الى السلم فاستجابوا وقد
كانوا علموا فناء القوت وما استرابوا فتم الصلح الى عشر سنين وخرج ممن

بها من فرسان ورجال وأهل وبنين ولا رزئوا مالا ولا عدة ولا لقوا في
 خروجهم غير النزوح عن أول أرض مس الجلد ترابها شدة ووصلوا
 فأجزلنا لهم العطاء وأسليناهم عما جرى بالحباء فمن خيل تزيد على الال
 عتاقها وخلع تربى على عشرة آلاف أطواقها وأموال عمت الغنى وانفقيه
 ورعاية شملت الجميع بالعيش النضير وكف الله ضر الطواغيت عما عداها
 وما انقلبوا بغير مدرة عفا رسمها وصم صداها وقد كان من لطف الله جيب
 قضى بأخذ هذا الثغر ان قدر لنا فتح جبل طارق من أيدي الكفر وهو المد
 على هذه المدرة والفرصة منه ان شاء الله تعالى منيسرة حتى يفرق عقد الكذ
 ويفرج بهذه الجهة منهم مجاوروا هذه الاقطار فلولا اجلابهم من كل جا
 وكونهم سدوا مسلك العبور بما لجمعهم من الاجفان والمراكب لما بالينا بأصفاة
 ولحللنا بعون الله عقد اتقاقهم ولكن للموانع أحكام ولا راد لما جرت به
 الاقلام وقد أمرنا لذلك الثغر بمزيد المدد وتخيرنا له ولسائر تلك البلاد الع
 والعدد وعدنا لحضرتنا فاس لتستريح الجيوش من وعشاء السفر ونورة
 الجياد وتنتخب العدد لوقت الظهور المنتظر ونكون على أهبة الجهاد وع
 مرقبة الفرصة عند تمكنها في الاعاد وعند عودنا من تلك المحاولة نيسر الرك
 الحجازى موجهها الى هناكم رواجه فاصدرنا اليكم هذا الخطاب اصدار ال
 الخالص والحب اللباب وعندنا لكم ما عند أخنى الآباء واعتقادنا فيكم ف
 ذات الله لا يخشى جديده من البلاء ومالككم من غرض بهذه الانحاء موف
 قصده على أكمل الاهواء موالى تتيمه على أجمل الآراء والبلاد باتحاد الم
 متحدة والقلوب والايدي على ما فيه مرضاة الله عز وجل منعقدة جعل ال
 ذلكم خالصا لرب العباد مدخورا ليوم التناد مسطورا في الاعمال الصالحة ير
 المعاد بمنه وفضله هو سبحانه يصل اليكم سعدا تتفاخر به سعود الكواكب
 وتتضافر على الانقياد له صدور المواكب وتتقاصر عن نيل مجده متطاولاء
 المناكب والسلام الا تم يخصصكم كثيرا أثيرا ورحمة الله وبركاته وكتب في
 يوم الخميس السادس والعشرين لشهر صفر المبارك من عام خمسة وأربعين
 وسبعمائة وصورة العلامة وكتب في التاريخ المؤرخ

قال ابن خلدون : « ففضى أبو الفضل ابن أبي عبد الله بن أبي مدين من وفادته ما حمل وكان شأنه عجبا في اظهار أبهة سلطانه والانفاق على المستضعفين من الحاج في طريقه واتحاف رجال الدولة التركية بذات يده والتعفف عما في أيديهم رحمه الله » وقال العلامة المقرئى : « وفي منتصف شعبان من سنة خمس وأربعين وسبعمائة قدمت الحرة أخت صاحب المغرب في جماعة كثيرة وعلى يدها كتاب السلطان أبي الحسن يتضمن السلام وأن يدعو له الخطباء فى يوم الجمعة ومشايخ الصلاح وأهل الخير بانصر على عدوهم ويكتب الى أهل الحرمين بذلك » اهـ ولعل هذا الكتاب آخر غير الذى سردناه يتضمن ما ذكره والله أعلم

ونسخة الجواب عن الكتاب الذى سردناه من انشاء خليل الصفدى شارح لامية العجم : بعد البسملة فى قطع النصف بقلم الثلث : « عبد الله ووليه » صورة العلامة ، ولده اسماعيل بن محمد السلطان الملك الصالح السيد العالم العادل المؤيد المجاهد الم رابط المظفر المنصور ، عماد الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين محيى العدل فى العالمين منصف المظلومين من الظالمين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك فاتح الاقطار واهب الممالك والامصار ، اسكندر الزمان مملك اصحاب المنابر والاسرة والتخوت والتيجان ظل الله فى أرضه القائم بستته وفرضه مالك البحرين ، خادم الحرمين الشريفين ، سيد الملوك والسلاطين جامع كلمة الموحدين ، ولى أمير المؤمنين أبو الفداء اسماعيل بن السلطان الشهيد السعيد الملك الناصر ناصر الدنيا والدين أبى الفتح محمد بن السلطان الشهيد السعيد الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون خلد الله تعالى سلطانه وجعل الملائكة انصاره وأعوانه يخص المقام العالى الملك الاجل الكبير المجاهد المؤيد الم رابط المشاعر المعظم المكرم المظفر المعمر الاسعد الاصعد الاوحد الامجد السنى السرى المنصور أبا الحسن على بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق أمد الله بالظفر وقرن عزمه بالتأييد فى الآصال والبكر سلام وشت البروق وشائعه وادخرت الكواكب ودائعه واستوعب الزمان ماضيه ومستقبله ومضارعه وثناء

اتخذ النفحات المسكية طلائعه ونبه بالتغريد فى الروض سواجعه وجلى
فى كأسه من الشفق المحمر مدامه ومن النجوم فواقعه
«أما بعد» حمد الله على نعم ادت لنا الامانة فى عود سلطنة والدنا الموروثنة
وأجلستنا على سرير مملكة زرايبها بين النجوم مبثوثة ، واحسنت بنا الخلف
عن سلف عهوده فى الاعناق غير منكورة ولا منكوثة ، وصلاته على سيدنا محمد
عبده ورسوله وعلى آله وصحبه الذين بلغ بجهادهم فى الكفرة غاية أمله وسؤله
صلاة تحط بالرضوان سيولها وتجر بالغفران ذبولها ما تراسل أصحاب
وتواصل أحباب فيوضح للعلم الكريم ورود كتابكم العظيم وخطابكم الفائق
على الدر النظيم تفاخر الخمائل سطوره ، ويصبغ خد الورد بالخجل منشوره
ويحكى الرياض اليانعة فالافات غصونه والهمزات عليها طيوره ويخلع
على الآفاق حلل الايام والليالى فالطرس صباحه والنقس ديجوره لفظه يطرب
ومعناه يعرب فيغرب وبلاغته تدل على أنه آية لان شمس بيانها طلعت من المغرب
فاتخذنا سطوره ريحانا ورجعنا ألفاظه ألحانا ورجعنا الى الجد فشبها الفاته
بظلال الرماح وورقه بصقال الصفاح وحروفه المفرقة بافواه الجراح وسطوره
المنتظمة بالفرسان المزدحمة يوم الكفاح وانهينا الى ما أود عتموه من اللفظ
المسجوع والمعنى الذى يطرب طائره المسموع والبلاغة التى فضح التطبع بيانها
المطبوع فاما الغراء باخيكم الوالد قدس الله روحه وسقى عهده واحسن
لسلفه خلفا بعده فلنا برسول الله اسوة حسنة ولولا الوثوق بانه فى عدة الشهداء
ما رام القلب قراره ولا الطرف وسنه عاش سعيد ايملك الارض ومات شهيدا
يفوز بالجنة يوم العرض قد خلد الله ذكره يسير مسير الشمس فى الآفاق
ويوقف عند نظارة حدائقه الاحداق وورثانمه حسن الاخاء لكم والوفاء بعهودمودة
تشبه فى اللطف شمائلكم - واما الهناء بورائة ملكه والانخراط مع الملوك فى
سلكه فقد شكرنا لكم منحنى هذه المنحة وقابلناها بثناء يعطر النسيم فى كل نفحه
ووقفنا عليها حمدا جعل الود علينا ايراده وعلى انقاس سرحة الروض شرحه
وتحققنا به حسن ودكم الجميل وكريم اخائكم الذى لا يمد طود رسوخه
ولا يميل

وأما ما ذكرتموه من أمر المصحفين الكريمين الشريفين اللذين
وقفتموهما على الحرمين المنيفين وانكم جهزتم كاتبكم الفقيه الاجل الاسنى
الاسمى ابا المجد ابن كاتبكم ابي عبد الله بن ابي مدين اعزه الله لتفقد
احوالهما والنظر فى أمر أوقفهما فقد وصل المذكور بمن معه فى حرز
السلامة واکرما نزلهم وسهلنا بالترحيب سبلهم وجمعنا على بذل الاحسان
اليهم شملهم وحضر المذكور بين ايدينا وقربناه وسمعنا كلامه وخاطبناه وامرنا
فى أمر المصحفين الشريفين بما اشترتم ورسمنا لنوابنا فى توخى اوقفهما بما
ذكرتم وهذا الوقف المبرور جار على احسن عادة ألفها واثبت قاعدة عرفها
مرعى الجوانب محمى المنازل والمضارب آمن ازالة رسمه أو اذالة حكمه
بدره ابدأ فى مطالع تمه وزهره دائما يرقص فى كفه لا يزداد الا تخليدا ولا
اطلاق ثبوته الاتقييد او لا عنق اجتهاده الا تقليدا جريا على قاعدة أوقاف ممالكنة وعادة
تصرفاتنا فى مسالكنة وله مزيد الرعاية وافادة الحماية ووفادة العناية. وأما ما وصفتموه
من أمر الجزيرة الخضراء وما لاقاه أهلها ومنى به من الكفار حزنها وسهلها فانه سق
علينا سماعه الذى انكى اهل الايمان وعدد به نوب الزمان كل قلب بانامل
الحفقان وطالما فزتم بالظفر ورزقم النصر على عدوكم فجر ذيل الهزيمة وفر
ولكن الحرب سجال وكل زمان لدوائره دولة ولرجائه رجال ولو امكنت
المساعدة لطارت بنا اليكم عقبان الجياد المسومة وسالت على عدوكم ابا طحهم بقسينا
المعوجة وسهامنا المقومة وكحلنا عين النجوم بمراود الرماح وجعلنا ليل العجاج
ممزقا بروق الصفاح واتخذنا رؤوسهم لصوالج القوائم كرات وفرجنا مضايق
الحرب بتوالى الكرات وعطفنا عليهم الاعنة وخضنا جداول السيوف وودسنا شوك
الاسنة وفلقنا الصخرات بالصراخات واسلنا العبرات بالرعبات ولكن اين الغاية
من هذا المدى المتطاول واين الثريا من يد المتناول وما لنا غير امدادكم بجنود الدعاء الذى
نرفعه نحن ورعايانا والتوجه الصادق الذى تعرفه ملائكة القبول من سجايانا
- وأما - ما فقدتموه من الاجفان التى طرقها طيف الاتلاف وام حرم فنائها الفناء
وطاف به بعد الالطاف فقد روع هذا الخبر قلب الاسلام ونوع له الحزن على
اختلاف الاصباح والاظلام وهذه الدار لا يخلو صفوها من كدر القدر وطالما

أنامت بالامن أول الليل وخاطبت بالخطب في السحر ولكن في بقائكم ما يسلى
عن خطب العطب ومع سلامة نفسكم الكريمة فالامر حين لان الدر يفدى
بالذهب - وأما - ما رأيتموه من الصلح فرأى عقده مبارك وامر ما فيه فارطعزم
وان كان فيتدارك والامر يجيء كما يحب لا كما نحب والحروب يزورها
نصرها تارة ويغيب مع اليوم غدا وقد يرد الله الردا ويعيد الظفر بالعدا
وأما عودكم الى فاس المحروسة طلبا لراحة من عندكم من الجنود وتجهيزا
لمن يصل من عندكم الى الحجاز الشريف من الوفود فهذا أمر ضرورى
التدبير سرورى التتمير لان النفوس تمل وثير المهاد فكيف ملازمة
صهوات الجياد وتسام من مجالسة الشرب فكيف بممارسة الحرب
وتعرض عن دوام اللذة فكيف بمباشرة المنايا الفذة وهذا جبل طارق الذى
فتح الله به عليكم وساق هدى هديته اليكم لعله يكون سببا الى ارتجاع ما
سرد وحسما لهذا الطاغية الذى مرد وردا لهذا النازل الذى كدر ورد
الصبر لما ورد فعادة اللطاف بكم معروفة وعزوماتكم الى جهات الجهاد
مصروفة وقد تفاءلنا لكم من هذا الجبل بأنه طارق خير من الرحمن يطرق
وجبل يعصم من سهم يمر من قسى الكفار ويمرق وأما ما منحتموه من الخيل
العناق والملابس التى تطلع بدور الوجوه من مشارق الاطواق والاموال
التي زكت عند الله تعالى ونمت على الاتفاق فعلى الله عز وجل خلفها ولكم
فى منازل الدنيا والاخرة سرفها وشرفها واليكم تساق هدايا أنيتها وتحفكم
تحفها واذا وصل وفدكم الحاج وأنار له بوجه اقبالنا عليهم ليلهم الداج
كانوا مقيمين تحت ظل اكرامنا وشمول اسعافنا لهم وانعامنا يتخولون تحفا
أنتم سببها ويتناولون طرفا فى كؤوس الاعتناء بهم ينضد حبيها واذا كان
أوان الرحيل الى الحج فسحنا لهم الطريق وسهلنا لهم الرفيق وبلغناهم
بحول الله تعالى مناهم من منى وسؤلهم ممن اذا زاروا حجراته الشريفة
حازوا الراحة من العناء وفازوا بالغنى واذا عادوا عاملناهم بكل جميل
ينسيهم مشقة ذلك الدرب ويخيل اليهم أن لامسافة لمسافر بين الشرق
والغرب وغمرناهم بالاحسان فى العود اليكم وأمرناهم بما ينهونه شفاها

لديكم وعناية الله تعالى تحوط ذاتكم وتوفر لآخذ الثار حماةكم وتخصكم بتأييد تنزلون روضه الانضر وتجنون به ثمر النصر اليناع من ورق الحديد الاخضر وتتحفكم بسعد لايبلى قشيبه وعز لايمحو شبابه مشيبه وتحيته المباركة تغاديكم وتراوحكم وتفاوحكم أنفاسها المعبرة وتنافحكم بمنه وبرمه ، فى سادس رمضان سنة خمس وأربعين وسبعمائة »

قال ابن خلدون : « ثم شرع السلطان أبو الحسن بعد استيلائه على افريقية كما نذكره فى كتب نسخة أخرى من المصحف الكريم ليوقفها بيت المقدس فلم يقدر اتمامها وهلك قبل فراغه من نسخها » اه وهو يقتضى أن السلطان المذكور ما كتب سوى مصحفين اثنين ويؤيده ظاهر الكتابين المسرودين آنفا مع أنه تقدم النقل عن الشيخ أبي العباس المقرئ أنه وقف على النسخة الموقوفة بيت المقدس والله تعالى أعلم بحقيقة الامر .



هدية السلطان ابي الحسن الى ملك مالى من السودان المجاورين للمغرب



أعلم أن أرض السودان المجاورة للمغرب تشتمل على ممالك منها مملكة غانة ومنها مملكة مالى ومنها مملكة كاغو ومنها مملكة برنو وغير ذلك، وكان ملك مالى وهو السلطان منسا موسى بن أبى بكر من أعظم ملوك السودان فى عصره ، ولما استولى السلطان أبو الحسن على المغرب الاوسط وغلب بنى زيان على ملكهم عظم قدره وطال ذكره وشاعت أخباره فى الآفاق فسمما هذا السلطان وهو منسى موسى الى مخاطبة السلطان أبى الحسن وكان مجاورا لمملكة المغرب على نحو مائة مرحلة فى القفر ، فأوفد عليه جماعة من أهل مملكته مع ترجمان من المثلثين المجاورين لبلادهم من صنهاجة ، فوفدوا على السلطان أبى الحسن فى سبيل التهئة بالظفر فأكرم وفادتهم وأحسن متواهم ومنقلبهم ونزع الى مذهبه فى الفخر فانتخب طرفا من متاع المغرب وماعونه وشياً من ذخيرة داره وأسنى الهدية وعين رجالا من أهل دولته كان فيهم كاتب

الديوان أبو طالب بن محمد بن أبي مدين ومولاه عنبر الخصي فأوفدهم بها على ملك مالي منسا سليمان لمهلك أخيه موسى قبل مرجع وفده وأوعز الى أعراب الفلاة من بني معقل بالسير معهم ذاهبين وجاءين فشمرو لذلك على بن غانم أمير أولاد جرار من معقل وصحبهم في طريقهم امتثالا لامر السلطان وتوغل ذلك الركب في القفر الى بلد مالي بعد الجهد وطول الشقة فأحسن منسا سليمان مبرتهم وأعظم موصلهم وأكرم وفادتهم ومنقلبهم ، وعادوا الى مرسلهم في وفد من كبار مالي يعظمون السلطان أبا الحسن ويوجبون حقه ويؤدون طاعته ويذكرون من خضوع مرسلهم وقيامه بحق السلطان أبي الحسن واعتماله في مرضاته ما استوصاهم به

واعلم أن منسا موسى الذي ذكرناه كان من كبار الملوك كما قلنا وهو الذي صحبه أبو اسحاق الساحلي المعروف بالطويجي (*) من شعراء الاندلس ، كان قد لقيه في الموسم بعرفة فحلى بعينه وحظيت منزلته عنده فصحبه الى بلاده وأقام عنده مصحوبا بالبر والكرامة وبني للسلطان المذكور قبة رائعة فازدادت حظوته عنده ، قال ابن خلدون : « أطرف أبو اسحق الطويجين السلطان منسا موسى ببناء قبة مربعة الشكل استفرغ فيها اجادته وكان صناع اليدين وأضفى عليها من الكلس ووالى عليها بالاصباغ المشبعة ، فجاءت من أتقن المبانى ووقعت من السلطان منسا موسى موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم ووصله باثنى عشر ألفا من مثاقيل النبر مثوبة عليها » اه وكانت وفاة أبي اسحق بتبتكوا يوم الاثنين السابع والعشرين من جمادى الآخرة سنة سبع وأربعين وسبعمائة



(*) صوابه الطويجن تصغير طاجين الاناء المغربي المعروف

مصاهرة السلطان ابي الحسن ثانيامع السلطان ابي بكر الحفصي رحمهما الله



قد تقدم لنا ما كان من وقعة طريف وانه هلك فيها حرم السلطان أبى الحسن من جملتهن فاطمة بنت السلطان أبى بكر الحفصي فلما فقدوها أبو الحسن بقى فى نفسه منها حنين الى ما شغفته به من خلالها ولذاذة العيش فى عشرتها فسمما أمله من الاعتياض عنها بعض أخواتها ، فأوفد فى خطبتها وليه عريف بن يحيى أمير عرب.سويد من بنى زغبة الهلالين وكاتب الجباية والعسكر بدولته أبا الفضل بن محمد بن أبى مدين وقيه الفتوى بمجلسه أبا عبد الله محمد بن سليمان السطى ومولاه عنبر الخصى ، فوفدوا على السلطان أبى بكر سنة ست وأربعين وسبعمائة فأنزلهم منزل البر والكرامة ثم دس اليه حاجبه أبو محمد عبد الله بن تافراجين غرض وفادتهم وانهم قدموا خاطبين بعض كرائمه لسلطانهم فأبى من ذلك صونا لحرمة عن جولة الاقطار وتحكم الرجال مثل ما وقع فى ابنته الاولى ، فلم يزل حاجبه المذكور يخفض عليه الشآن ويعظم عليه حق السلطان أبى الحسن فى رد خطبته مع ما بينهما من الصهر السابق والمخالصة القديمة والعهود المتأكدة الى أن أجاب وأسعف وجعل ذلك للحاجب المذكور فانعقد الصهر بين السلطانيين على ابنته عزونة شقيقة ابنه أبى العباس الفضل بن أبى بكر صاحب بونة ، وأخذ الحاجب فى شوار العرس وتأنق فيه واحتفل واستكثر وطال مقام الرسل بتونس الى أن استكمل الجهاز فارتحلوا منها فى ربيع سنة سبع وأربعين وسبعمائة وأوعز السلطان أبو بكر الى ابنه الفضل شقيق العروس المذكورة أن يزفها على السلطان أبى الحسن قياما بحقه وبعث من بابه جماعة من مشيخة الموحدين فوفدوا جميعا على السلطان أبى الحسن واتصل بهم الخبر فى طريقهم بوفاة السلطان أبى بكر فجأة ليلة الاربعاء ثانى رجب من السنة المذكورة ، فعزاهم السلطان أبو الحسن عنه عند ما وصلوا اليه واستبلغ فى اكرامهم وأجمل موعده

أخيها الفضل بسلطانه ومظاهرتة على تراث أبيه فاطمأنت به السدار عند
السلطان أبي الحسن الى أن سار في جملة وتحت لوائه الى افريقية كما
نذكره ان شاء الله



غزو السلطان ابي الحسن افريقية واستيلاؤها على تونس واعمالها



كان السلطان أبو بكر الحفصي رحمه الله قد عهد بالامر بعده لابنه أبي
العباس أحمد ، وكان أوفد على السلطان أبي الحسن حاجبه أبا القاسم بن
عتوا في غرض له وأصحه كتاب العهد الى السلطان المذكور ليوافق عليه
فوقف عليه السلطان أبو الحسن وكتب على حاشيته بخطه ووافق عليه رحمه
الله وأحكم العقد في ذلك ، ولما مات السلطان أبو بكر كان ولي العهد غائبا
عن الجزيرة فبايع أبو محمد بن تافراجين لابنه عمر .

ذكر الشيخ أبو العباس الوائسري في أفضية «المعيار» عن الشيخ ابن
عرفه أن سلطان افريقية-أبا بكر الحفصي كتب العهد لولده أحمد فلما توفي
السلطان المذكور حضر أبو محمد بن تافراجين قاضي تونس قاضي الجماعة
أبا عبد الله محمد بن عبد السلام وقاضي الانكحة أبا عبد الله الأجمي
وأمرهما أن يبايعا ولد الخليفة عمر فقالا : « كيف نبايعه ونحن شهدنا بيعة
أخيه احمد والتزمناها » وكان الحاجب ابن تافراجين نبيل فلما رأى امتناعهما
قال : « ادخلا دار السلطان واشتغلا بغسله وتكفينه » فلما دخلا حضر الحاجب
المذكور أهل العقد والحل وأمرهم أن يبايعوا عمر فبايعوه ، فلما خرج
القاضيان وجدا البيعة قد حصلت وكان في انتظار أحمد المشهود له بالعهد
وهو غائب بقفصة خوف الفتنة فبايع القاضيان ، وكان ابن عرفه يستصوب
فعل الحاجب وامتناع القاضيين أولا وبيعهما ثانيا ، ثم قدم ولي العهد ووقع
بينه وبين أخيه قتال وجرث خطوب كان في آخرها قتل ولي العهد وقتل وليه

أبى الهول بن حمزة أمير الكعوب من عرب سليم فى ءاخرين منهم وقطع عمر أيضا أخويه عبد العزيز وخالدا من خلاف فهلكا» وكان الحاجب أبو محمد ابن تافراجين قد أحس بالشر من جهة عمر المتغلب وتوقع النكبة من جانبه فسلل الى قصره وأخذ ما خف من ذخيرته ولحق بالسلطان أبى الحسن وقص عليه الخبر وأغراه بتملك افريقية وأوجب عليه النظر للمسلمين فيها وكان السلطان أبو الحسن يتمنى ذلك لولا مكان صهره أبى بكر فأقام يتحين لها الاوفات ويتربص لها الفرص حتى كانت هذه ، (وانما تنجع المقالة فى المرء اذا صادفت هوى فى الفؤاد) فأظهر أبو الحسن الامتعاض لما فعله عمر بأخيه ولى العهد من منعه من حقه أولا ثم اراقة دمه ثانيا لاسيما وقد كان أعطى خط يده بالموافقة على العهد المذكور ، فأجمع الحركة الى افريقية ولحق به خالد بن حمزة بن عمر أخو أبى الهول المقتول مع ولى العهد فاستعداه على عدوه ، ففتح السلطان أبو الحسن ديوان العطاء ونادى فى الناس بالمسير الى افريقية وأزاح عنهم وعسكر بظاهر تلمسان ثم نهض فى صفر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة يجر الدنيا بما حملت ، بعد أن عقد لابنه الامير أبى عنان على المغرب الاوسط وعهد اليه بالنظر فى أموره كافة وجعل اليه جبايته وقدمت عليه فى طريقه أعراب افريقية وولاية قابس وبلاد الجريد وأطاعته طرابلس والزاب وبعجاية وصاحبها يومئذ أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء ابن ابى بكر ولما وصل الى قسنطينة خرج اليه ابناء الامير أبى عبد الله بن أبى بكر فبايعوه فأقبل عليهم وصرفهم الى المغرب وأنزلهم بوجدة وأقطعهم جبايتها ، وأنزل بقسنطينة خلفاء وعماله وقد كان صرف أبا عبد الله صاحب بعجاية الى ندرومة فأنزله بها وأقطعه الكفاية من جبايتها ، ثم وفد عليه بنو حمزة بن عمر أمراء الكعوب من سليم فأخبروه باجفال عمر المتغلب بتونس مع ظاعنة أولاد مهلهل واستحثوه فى اعتراضهم قبل لحاقهم بالقفر ، فسرح معهم العساكر فى طلبه لنظر حمو بن يحيى العسكرى

وتلوم السلطان أبو الحسن بقسنطينة وعرض جيوشه بسطح الجعاب منها ، ثم ارتحل على أثرهم وأغذ حمو بن يحيى السير مع ناجفة أولاد أبى

الليل فلحقوا بعمر صاحب تونس بارض الحمامة من ناحية قابس فدافعوا عن أنفسهم بعض الشيء ثم انهزموا وكبا بعمر جواده في نافقاء بعض اليرابيع وانجلى الغبار عنه وعن مولاة ظافر راجلين فتقبض عليهما وأوثقهما قائد العسكر بيده حتى اذا جن الليل ذبحهما خوفا من أن تفتكهما العرب من يده وبعث برأسيهما الى السلطان أبى الحسن فوصلا اليه باجية وخلص الفل من تلك الوقعة الى قابس ، فتقبض عبد الملك بن مكى صاحبها على رجالات من أهل الدولة كان فيهم أبو القاسم بن عتو من مشيخة الموحدين وصخر ابن موسى من رجالات سدويكش وغيرهما من أعيان الدولة ، فبعث بهم ابن مكى الى السلطان أبى الحسن مقرنين فى الاصفاة فأما ابن عتو وصخر بن موسى وعلى بن منصور فقطعهم من خلاف لفتيا الفقهاء بجرايتهم واعتقل الباقى

وسرح السلطان عساكره الى تونس وعقد عليهم لصهره على ابنته يحيى ابن سليمان من بنى عسكر فاحتلوا بتونس ، ثم جاء السلطان على أثرهم فنزل بظاها يوم الاربعاء الثامن من جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة وتلقاه وفد تونس وشيوخها من أهل الفتيا وأرباب الشورى فآتوه بطاعتهم وانقلبوا مسرورين بولايتهم مغتبتين بملكته ، وكانت تونس يومئذ مشحونة بالاعلام الاكابر منهم ابن عبد السلام وابن عرفة وابن عبد الرفيع وابن راشد القفصى وابن هرون وأعلام آخرون ، ثم عبا السلطان أبو الحسن يوم السبت مواكبه لدخول الحضرة فصف جنوده سماطين من معسكره بسيجوم الى باب البلد نحو أربعة أميال وركبت بنو مرين من مراكزهم من جموعهم وتحت راياتهم ، وركب السلطان من فسطاطه وعن يمينه وليه عريف بن يحيى كبير سويد وويله أبو محمد عبد الله بن تافراجين وعن يساره الامير أبو عبد الله محمد بن أبى زكرياء وهو أخو السلطان أبى بكر وويله الامير أبو عبد الله ابن أخيه خالد كانا معتقلين بقسنطينة فأطلقهما السلطان أبو الحسن وصحبوه الى تونس فكانوا طراز ذلك الموكب فيمن لا يحصى من أعياص بنى مرين وكبرائهم ، وهدرت طبوله وخفقت راياته

وكانت يومئذ نحو المائة وجاء السلطان والمواكب تجتمع عليه صفاصفا الى أن وصل الى البلد وقد ماجت الارض بالجيوش ، قال ابن خلدون : وكان يوما لم ير مثله فيما عقلناه ، قلت : كان سن ابن خلدون يومئذ ست عشرة سنة لانه ولد غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة

وكان قدم في جملة السلطان أبي الحسن جماعة كبيرة من أعلام المغرب كان يلزمهم شهود مجلسه ويتجمل بمكانهم فيه ثم دخل القصر الخلفي وخلع على أبي محمد بن تافراجين وقرب اليه فرسا بسرجه ولجامه وطعم الناس بين يديه وانتشروا الى منازلهم ثم دخل السلطان أبو الحسن مع ابن تافراجين الى حجر القصر ومساكن الخلفاء فطاف عليها ودخل منها الى الرياض المتصلة بها المدعوة برأس الطابية فطاف على تلك البساتين وسرح نظره فيها واعتبر بحالها ثم أفضى منها الى معسكره وأنزل يحيى بن سليمان بقصبة تونس في عسكر لحمايتها ثم ارتحل من الغد الى القيروان فجال في نواحيها ووقف على آثار الاولين ومصانع الاقدمين والطلول المائلة لضهاجة والعيدين والتمس البركة في زيارة القبور التي تذكر للصحابة والسلف من التابعين والاولياء في ساحتها ثم سار الى سوسة ثم الى المهديّة ووقف على ساحل البحر منها وتطوف في معالمها ونظر في عاقبة الذين كانوا من قبله أشد قوة وآثارا في الارض واعتبر بأحوالهم ومر في طريقه بقصر الاجم ورباط المنستير وانكفاً راجعا الى تونس فاحتل بها غرة رمضان من السنة ونزل المسالحي على ثغور افريقية وأقطع بني مرين البلاد والضواحي وأمضى اقطاعات العرب التي كانت لهم من قبل الحفصيين واستعمل على الجهات وخفتت الاصوات وسكنت الدهماء وانقبضت أيدي أهل الفساد وانقرض أمر الحفصيين في هذه المدة الا أنه عقد على بونة لصهره الفضل ابن السلطان أبي بكر اكراما لصهره ووفادته عليه واتصلت ممالك السلطان أبي الحسن ما بين مسراته الى السوس الاقصى من هذه العدوّة والى رندة من عدوة الاندلس ودخل المغرب بأسره في طاعته وحذر ملوك مصر والشام ما شاع من بسطته وانفساح دولته ونفوذ كلمته والملك لله يؤتیه من يشاء من عباده

والعاقبة للمتقين وقد كان الشعراء رفعوا اليه قصائد فى سبيل التهئة بالفتح
 وكان سابق الحلة يومئذ أبو القاسم الرحوى فى قصيدة يقول فى مطلعها
 أجابك شرق اذ دعوت ومغرب فمكة هشت للقاء ويشرب
 وهى طويلة تخطيناها اختصارا والله تعالى ولى التوفيق بمنه



انتقاض عرب سليم بافريقية على السلطان ابى الحسن ومانشأ عن ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على العرب الداخلين الى المغرب أن جمهورهم
 كان من بنى جشم بن معاوية بن بكر وبنى هلال بن عامر بن صعصعة وبنى
 سليم بن منصور ، وان الذين بقوا منهم بافريقية هم بنو سليم وبعض هلال
 وكان لهم استطالة على الدول واعتزاز عليها ، فكان ملوك الحفصيين يتألفونهم
 بالولايات والاقطاعات ونحو ذلك ، وكان السلطان أبو الحسن المريني حاله
 مع عرب المغرب الاقصى غير حال الحفصيين مع عرب افريقية وملكته لاهل
 باديته غير ملكتهم لاهل باديتهم ، فلما ورد افريقية واستولى عليها رأى من
 اعتزاز العرب بها على الدولة وكثرة اقطاعاتهم من الضواحي والامصار ما
 تجاوز الحد المعتاد عنده ، فأنكر ذلك وضرب على أيديهم وعوضهم عنه
 باعطيات فرضها لهم فى الديوان من جملة الجند واستكثر جبايتهم فنقصهم
 الكثير منها ، ثم شكوا اليه الرعية من أولئك العرب وما ينالونهم به من
 الظلمات وضرب الاتاوة التى يسمونها الخفارة فقبض أيديهم عن ذلك كله
 وتقدم الى الرعايا بمنعهم منها ، فارتابت العرب لذلك وفسدت ضمائرهم وثقلت
 وطأة الدولة المرينية عليهم فتربصوا بها وتحزبوا لها وتعاونت ذئابهم فى بواديتهم
 فاجتمعوا وأغاروا على قياطين بنى مرين ومسالحهم فى ثغور افريقية حتى انهم أغاروا
 على ضواحي تونس فاستاقوا الظهر الذى كان فى مرعاها والسلطان يومئذ بها
 فعظم عليه ذلك وحقد على كبرائهم وأظلم الجو بينه وبينهم ، ثم وفد عليه أيام

الفطر من رجالاتهم خالد بن حمزة أمير بنى كعب وأخوه أحمد وخليفة بن عبد الله من بنى مسكين وابن عمه خليفة بن أبي زيد من أولاد القوس فأنزلهم السلطان أبو الحسن وأجمل لقاءهم مفضيا عما صدر من غوغائهم ، ثم رفع اليه عبد الواحد بن اللحياني من أولاد الملوك الحفصيين انهم بعثوا اليه مع بعض حاشيته يطلبون منه الخروج معهم لينصبوه للامر بأفريقية وانه خشي على نفسه بادرة السلطان فتراها اليه من ذلك ، فقامت قيامة السلطان أبي الحسن عند سماعه ذلك فأحضرهم وأحضر الحفصي معهم وقرره بما دار بينه وبينهم فبهتوا وأنكروا فوبخهم وأمر بهم فسحبوا الى السجن ثم فتح ديوان العطاء وعرض الجند لغزوهم وعسكر بسيجوم من ظاهر تونس وذلك بعد قضاء نسك الفطر من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة

واتصل الخبر بأولاد أبي الليل وأولاد القوس باعتقال وفدهم وجمع السلطان لغزوهم فضافت عليهم الارض بما رحبت وانطلقوا في أحيائهم يحزبون الاحزاب ويستشيرون الثوار وعطفوا على أعدائهم من أولاد مهلهل فوصلوهم بعد القطيعة وكانوا بعد مقتل سلطانهم عمر بن أبي بكر قد لحقوا بالقفر خوفا من أبي الحسن لانهم كانوا شيعه لعمر المذكور ، فلما وقع بين أبي الحسن وبين أولاد أبي الليل ما وقع ركب قتيبة بن حمزة اليهم ومعه أمه ونساء أولادها فتطارحوا عليهم ورجبوا اليهم في الاجتماع معهم على الخروج على السلطان ومنابدته ، فكان أولاد مهلهل اليها مسرعين فارتحلوا معهم وتوافت أحياء سليم من بنى كعب وبنى حكيم بتوزر من بلاد الجريد فتدأروا وتصافوا وأهدروا الدماء بينهم وتبايعوا على الموت وصاروا نفسا واحدة على تباين أغراضهم وفساد ذات بينهم ، والتمسوا من أعياص الملك من يتصبونه للامر فدلهم بعض سماسرة الفتن على رجل من بنى عبد المومن وهو أحمد ابن عثمان بن أبي دبوس آخر ملوك بنى عبد المومن وكان يحترف بالخياطة في توزر بعد ما طوحت به الطوائخ فانطلقوا اليه وجاءوا به ونصبوه للامر وجمعوا له شيا من الفساطيط والخيل والآلات والكتوة وأقاموا له رسم السلطان وعسكروا عليه بقياطينهم وحللهم وتحالفوا على نصره

ولما قضى السلطان أبو الحسن نسك عيد الاضحى من السنة المذكورة ارتحل من ساحة تونس وبسيط القيروان فأجفلوا أمامه فأتبعهم وألح عليهم الى أن وصلوا الى القيروان فلما رأوا أن لا ملجأ لهم منه عزموا على الثبات له وتحالفوا على الاستماتة وكان عسكر السلطان أبي الحسن يومئذ مشحونا بأعدائه من بنى عبد الواد المغلوبين على ملكهم ومغراوة وبنى توجين وغيرهم ، فدسوا الى العرب أثناء هذه المناوشة بأن يناجزوا السلطان غدا حتى يتحيزوا اليهم ويجروا عليه الهزيمة فأجابوهم الى ذلك وصبحوا معسكر السلطان من الغد فركب اليهم فى التعية ، ولما تقابلوا تحيز اليهم الكثير ممن كان معه واقتل مصافه فانهزم هزيمة شنعاء وبادر الى القيروان فدخلها فيمن معه من الفل مستجيرا بها ودافع عنه أهلها ، وتسابقت العرب الى معسكره فانتهبوه بما فيه من المضارب والعدد والآلات ودخلوا فسطاط السلطان فاستولوا على ذخيرته والكثير من حرمة ، وأحاطوا بالقيروان وزحفت اليها حللهم فدارت بها سياجا واحدا وتعاونت ذئابهم بأطراف البقاع وأجلب ناعق الفتنة منهم بكل قاع واضطربت افريقية نارا ، وكانت الهزيمة يوم الاثنين سابع محرم من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وبلغ الخبر الى تونس وكان السلطان قد خلف بها عند رحيله الكثير من أبنائه وحرمة ووجوه قومه وأمناء بيت ماله وبعض الحاشية من جنده فتحصنوا بالقصبة وأحاط بهم الغوغاء كى يستنزلوهم عنها فامتنعوا عليهم وكانوا بها أملاك منهم ، وكان الامير أبو سالم ابراهيم بن السلطان أبي الحسن قد جاء من المغرب فى هذا التاريخ فوفاه الخبر قرب القيروان فانفض معسكره ورجع الى تونس فكان معهم فى القصبة ، ثم نزع أبو محمد بن تافراجين عن السلطان أبي الحسن وكان محصورا معه بالقيروان وكان قد سئم صحبته ومل خدمته لانه كان أيام حجابته للسلطان الحفصى مستبدا عليه مفوضا اليه فى جميع أموره ، فلما استوزره السلطان أبو الحسن لم يجره على تلك العادة لانه كان قائما على أموره بنفسه وليس التفويض للوزراء من شأنه ، وكان ابن تافراجين يظن أنه سيكل اليه أمر

إفريقية وينصب معه ملكها الفضل ابن السلطان أبى بكر شقيق زوجته وربما زعموا أنه عاهده على ذلك فكان فى قلبه من الدولة المرينية مرض وكان العرب أيام عزمهم على الخروج يفاوضونه بذات صدورهم فلما حصلوا على البغية من الظهور على السلطان وحصاره بالقيروان اختالوا فى أمر ابن تافراجين ، فبعثوا الى السلطان يطلبون منه بعثه اليهم ليفاوضوه فى الرجوع الى الطاعة والانخراط فى سلك الجماعة ، فاذن له فخرج اليهم ووصل يده بيدهم ولم يرجع الى السلطان أبى الحسن ، فقلدوه حجابة سلطانهم ابن أبى دبوس ثم سرحوه الى حصار من بالقصبة من بنى مرين وطمعوا فى الاستيلاء عليها وفض ختامها فسار ابن تافراجين اليها وانضم اليه أنياخ الموحدىن فى زعانف من الغوغاء وأحاطوا بالقصبة ، ثم لحق به ابن أبى دبوس فعاودوها القتال ونصبوا عليها المجانيق فامتنت عليهم ولم يغنوا شيئاً ، وابن تافراجين فى أثناء ذلك يحاول الفرار بنفسه لاضطراب الامور واختلال الرسوم الى أن بلغه خلوص السلطان أبى الحسن من القيروان الى سوسة

وكان من خبره أن العرب بعد حصارهم اياه بالقيروان اختلفت كلمتهم لديه وكان قد دخل أولاد مهلهل فى الافراج عنه واشترط لهم على ذلك أموالاً ونذر بنو أبى الليل بذلك فاضطربت كلمتهم ودخل عليه قتيبة بن حمزة منهم بمكانه من القيروان زعيماً بالطاعة فتقبله وأطلق أخويه خالداً وأحمد ومع ذلك فلم يطمئن اليهم ثم جاء اليه محمد بن طالب من أولاد مهلهل وخليفة بن أبى زيد وأبو الهول بن يعقوب من أولاد القوس وعاهدهوه على الافراج عنه والقيام معه حتى يصل الى مأمنه فخرج معهم ليلاً على التعية وذو بان العرب تطأ أذياله وضباعها تنوشه الى أن استقر بسوسة وأمن على نفسه وقد أتى النهب على جل ما كان معه ولما سمع ابن تافراجين وهو محاصر للقصبة بوصول السلطان الى سوسة تسلل من أصحابه وركب البحر الى الاسكندرية فأصبحوا وقد فقدوه فاضطرب أمرهم وارتاب سلطانهم ابن أبى دبوس لما علم بخبره فانفض جمعهم عن القصبة وأفرجوا عنها وخرج بنو مرين فملكوا البلد وخرّبوا منازل الحاشية بها ، ثم ركب السلطان أبو (الاستقفا - ثالث - 11)

الحسن من سوسة البحر فاحتل بتونس في ربيع الاخر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فاجتمع شمله واستتب أمره ، وكتب الى صاحب مصر في التقبض على ابن تافراجين فأجاره بعض الامراء وانصرف لقضاء فريضة الحج واعتمل السلطان أبو الحسن في اصلاح أسوار تونس وادارة الخندق عليها وأقام لها من الصيانة والحصانة رسماً دفع به في نحر عدوه وبقي له ذكره من بعده ثم أجلب العرب وسلطانهم ابن أبي دبوس على تونس ونازلوا أبا الحسن بها واستبلغوا في حصاره وخلصت ولاية أولاد مهلهل للسلطان فعول عليهم ، ثم راجع بنو حمزة بصائرهم وصاروا الى مهادته وعقد لهم السلم ودخل عليه عمر بن حمزة وافدا فحبسه حتى قبض اخوانه على أميرهم ابن أبي دبوس وقادوه اليه استبلاغا في الطاعة وامحاضا للولاية، فنقبل فؤثمهم وأودع ابن أبي دبوس السجن وعقد الصهر بينه وبين عمر بن حمزة فزوج ابنة عمر بابنه أبي الفضل ، واختلفت أحوال هؤلاء العرب على السلطان أبي الحسن في الطاعة تارة والانحراف أخرى مدة اقامته بتونس الى أن كان ما نذكره والله غالب على أمره



انتقاض الاطراف وثوراة ابي عنان بن السلطان ابي الحسن واستبلاؤا على المغرب



قد تقدم لنا أن السلطان أبا بكر الحفصي رحمه الله لما زوج ابنته من السلطان أبي الحسن بعث معها في زفافها شقيقها أبا العباس الفضل بن أبي بكر وأن خبر وفاة والده أدركه وهو بالطريق ، ولما وصل الى السلطان أبي الحسن عزاه عن مصاب أبيه ووعدته بالمظاهرة على ملكه فبقي عنده بتلمسان الى أن نهض في صحبته الى افريقية فلما غلب السلطان أبو الحسن على بجاية وقسنطينة وارتحل الى تونس عقد له على بونة التي كان يلي عملها أيام أبيه فانقطع أمله وفسد ضميره وطوى على البث حتى اذا كانت نكبة القيروان

سما الى التوثب على ملك سلفه وكان أهل قسنطينة و بجاية قد سئموا ملكة
بنى مرين وبرموا بولايتهم لمخالفتهم بعض العوائد التي كانت لهم مع الملوك
الحفصيين ولان الصبغة الحفصية كانت قد رسخت في نفوسهم جيلا بعد جيل
فصعب عليهم نزعها

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى وحينه أبدا لاول منزل
فأشربوا الى الثورة على المرينيين لما سمعوا بنكبة القيروان واتفق أن
قدم قسنطينة ركب من أهل المغرب قاصدين الى السلطان أبي الحسن وكان
فيهم عمال الجباية قدموا بجبايتهم عند راس الحول كما جرت به عادتهم في
ذلك ومعهم ابن صغير للسلطان اسمه عبد الله وفيهم وفد من رؤساء الفرنج
بعثهم طاغيتهم بقصد التهئة بفتح افريقية ومعهم تاشفين بن السلطان الذي
أسر يوم طريف أطلقه الطاغية بعد أن أصابه خبال في عقله وأرسل معه
بهدية نفيسة وفيهم أيضا وفد من أهل مالي بعثهم السلطان منسا سليمان بقصد
التهئة أيضا فتوافت هؤلاء الوفود بقسنطينة وقد طم عاب الفتنة على افريقية
فأراد غوغاؤها انتهاب ما معهم ثم تخلصوا منهم في خبر طويل

وفي أثناء ذلك ثار الفضل بن السلطان ابي بكر صاحب بونة فراسله أهل
قسنطينة في القدوم عليهم والقيام بأمرهم فقدمها وجرت خطوب واتصل بأهل
بجاية ما فعله أهل قسنطينة فتبعوهم على رأيهم من الانتقاض ووثبوا على من
كان عندهم من حامية بنى مرين فاستلبوهم وأخرجوهم عراة واستدعوا
الفضل بن أبي بكر من قسنطينة فبادر اليهم واستولى على بجاية واستتب أمره
بها وأعاد ألقاب الخلافة وبينما هو يحدث نفسه بغزو تونس ثار عليه أبناء
أخيه أبي عبد الله بن أبي بكر فانتزعوا منه بجاية وردوه الى عمله الاول وانتفض
على السلطان أبي الحسن أيضا سائر زناتة من بنى عبد الواد ومغراوة وبنى
توجين وبايع بنو عبد الواد لعثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن
ابن زيان وساروا الى تلمسان فاستجدوا بها ملك سلفهم في أخبار طويلة
وجرت هذه الخطوب والسلطان أبو الحسن مقيم بتونس تغاديه العرب

بالمقاتل وتراوحه وتعوج عليه تارة وتستقيم أخرى وطال مقامه بها وعميت
 أنباؤه على أهل المغرب وحدث في الخلق الوباء العظيم الذي عم المشرق
 والمغرب فأرجف بموته واضطربت الأحوال بالمغرب الثلاثة الأدنى والأوسط
 والأقصى واتصل ذلك بالأمير أبي عنان وهو يومئذ بتلمسان كان أبوه قد ولاء
 عليها عند ذهابه إلى إفريقية حسبما مر ، فلما أرجف بمهلك أبيه وتساقط إليه
 الفل من عسكره عراة زرافات ووحدانا تطاول إلى الاستئثار بملك أبيه دون سائر
 إخوته وكان مرشحا عنده لذلك لمزيد فضله عليهم في غير وصف ، واتفق
 أن كان عنده رجل من بني عبد الواد اسمه عثمان بن يحيى بن محمد بن
 جرار وكان ينسب إلى علم الحدثان ، ولما سافر السلطان إلى إفريقية كان هذا
 الرجل أول المرجفين به وأنه لا يرجع من سفرته وأن الأمر صائر إلى أبي
 عنان ونجع ذلك في أبي عنان لموافقته هواه ، فاشتمل على ابن جرار وخلطه
 بنفسه فلما ورد الخبر بنكبة السلطان وانحصاره أولا بالقيروان ثم بتونس لم
 يسترب أبو عنان في صدق ابن جرار وأنه على بصيرة من أمره فتحفز للوثبة
 وصمم على الثورة ، ثم أكد عزمه على ذلك ما اتصل به من خبر ابن أخيه
 منصور بن أبي مالك عبد الواحد بن أبي الحسن بفاس الجديد وأنه ثار بها
 وفتح ديوان العطاء واستلحق واستركب ورام التغلب على المغرب واحتياز
 الأمر لنفسه دون غيره وورى في ذلك بأنه إنما عزم على الذهاب إلى إفريقية
 لاستنقاذ السلطان من هوة الحصار يسر من ذلك حسوا في ارتغاء وتفطن
 لشأنه الحسن بن سليمان بن يرزيكن عامل القصبة بفاس وصاحب الشرطة
 بالضواحي ، فاستأذنه في اللحاق بالسلطان فأذن له راحة منه فلحق بأبي عنان
 على حين أمضى عزيمته على التوثب فأخرج ما كان بقصر السلطان بالمنصورة
 من المال والذخيرة وجاهر بالدعاء لنفسه وجلس للبيعة بمجلس السلطان من
 قصره في ربيع الثاني من سنة تسع وأربعين وسبعمائة فبايعه الملاء وقرأ كتاب بيعتهم
 على الأشهاد ، ثم بايعه العامة وانفض المجلس وقد استتب سلطانه ورسست
 قواعد ملكه وركب في التعبية والآلة حتى نزل بقبة الملعب وطعم الناس
 وانتشروا وعقد على وزارته للحسن بن سليمان بن يرزيكن القادم عليه ، ثم

لفارس بن ميمون بن وردار وجعله رديفا له ورفع مكان ابن جرار عليهم
كلهم واختص لمناجاته كاتبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمرو ، ثم
فتح الديوان وجعل يتركب كل من تساقط اليه من قبل أبيه ويخلع عليهم
وارتحل الى المغرب وعقد على تلمسان لابن جرار وأنزله بالقصر القديم منها
فاستمر بها واستبد الى أن قدم عليه بنو عبد الواد مجتمعين على سلطانهم عثمان
ابن عبد الرحمن فقتلوه غرقا في خبر طويل ، ولما انتهى الامير أبو عنان الى
وادي الزيتون وشى اليه بالوزير الحسن بن سليمان وانه عازم على الفتك به
بتازا تقربا الى السلطان أبي الحسن ووفاء بطاعته ، وانه قد داخل في ذلك
حافده منصور بن أبي مالك الثائر بفاس وأطلعه هذا الواشى على كتاب
الوزير في ذلك فلما قرأه تقبض عليه ثم قتله خنقا في مساء ذلك اليوم وأعد
السير الى المغرب

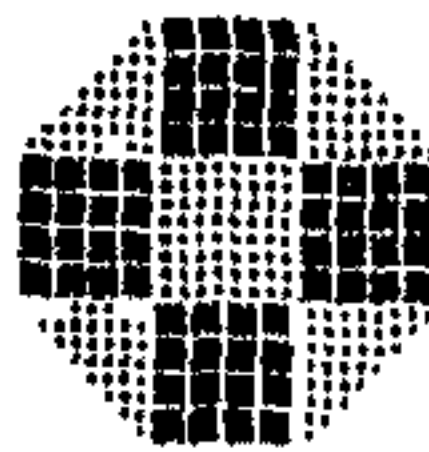
وانتهى الخبر الى منصور صاحب فاس فزحف للقائه والتقى الجمعان
بوادي أبي الاجراف من ناحية تازا فاقتل مصاف منصور وانهزمت جموعه
ولحق بفاس الجديد فتحصن بها وتبعه أبو عنان فأناخ عليه خارجها وقد
تسائل الناس على طبقاتهم اليه وآتوه طاعتهم وكان قد سلك مع الرعية والجنود
من البذل والاستيلاف طريقا لم يسبق اليه ، وكانت منازلته لفاس الجديد في
ربيع الاخر من السنة المذكورة فأخذ بمخقتها وأجمع الايدي والفعلة على
الالات لحصارها ، ثم أرسل الى مكناسة باطلاق أولاد أبي العلاء المعتقلين
بالقصة منها فأطلقوا ولحقوا به وحاصروا معه فاس الجديد وضيقوا عليها الى
أن ضاقت أحوال أهلها واختلفت أهواؤهم ونزع الى أبي عنان أهل الشوكة
منهم ، ثم أن ادريس بن عثمان بن أبي العلاء احتال في فتح البلد بأن أظهر
النزوع عن أبي عنان الى منصور المحصور فدخل البلد وتمكن منه وثار به
فيمن معه من حاشيته واقتحمه الامير أبو عنان عليهم ونزل منصور على حكمه
فاعتقله الى أن قتله بمحبسه واستولى على ذلك الملك ، وتسابقت اليه وفود
الامصار للتهنئة بالبيعة وتمسك أهل سبتة بطاعة السلطان أبي الحسن ثم
رجعوا عن ذلك وثاروا على عاملهم عبد الله بن علي بن سعيد من طبقة الوزراء

فقبضوا عليه وقادوه الى أبي عنان مبايعين له متقربين به اليه وتولى كسر ذلك
فيهم زعيمهم الشريف أبا العباس أحمد بن محمد بن رافع الصقلي من آل
الحسين السبط رضى الله عنه كان سلفه قد انتقلوا من صقيلة الى سبتة
فاستوطنوها ، ثم استوطنوا بعدها حضرة فاس واستوسق
للأمير أبي عنان ملك المغرب واجتمع اليه قومه من بنى مرين الا
من أقام مع أبيه بتونس وفاء بحقه وحص جناح أبيه عن الكرة على بنى كعب
الناكثين لعهد الناكثين عن طاعته فأقام السلطان أبو الحسن رحمه الله بتونس
يرجو الايام ويأمل الكرة والاطراف تنتفض والخوارج تتجدد وقنط من كان
معه من حاشيته وشموا المقام بارض ليست لهم بدار مقام فحسنوا له النهوض
الى المغرب فأسعفهم وعزم على الرحلة كما نذكره ان شاء الله ، وفي هذه
المدة كتب اليه السلطان ابو الحجاج يوسف بن الأحمر كتابا من انشاء وزيره
لسان الدين ابن الخطيب يسأله عن أحواله ويعزيه عن مصابه ويتأسف له
ونص الكتاب : « المقام الذى أقمار سعدة فى انتظام واتساق ، ويجاد عزه
الى الغاية القصوى ذات استباق ، والقلوب على حبه ذات اتفاق ، وعناية الله
تعالى عليه مديدة الرواق ، واياديه الجمة فى الاعناق الزم من الاطواق ، وأحاديث
مجده سمر النوادي وحديث الرفاق ، مقام محل ايننا الذى شأن قلوبنا الاهتمام
بشأنه ، وأعظم مطلوبنا من الله تعالى سعادة سلطانه ، السلطان الكذا ابن
السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى والصنائع الالهية تحط
ببابه والالطاف الخفية تعرس فى جنابه والنصر العزيز يحف
بركابه وأسباب التوفيق متصلة بأسبابه والقلوب الشجيبة
لفراقه مسرورة باقترابه ، معظم سلطانه الذى له الحقوق المحتومة ، والفواضل
المشهوره المعلومة ، والمكارم المسطورة المرسومة والمفاخر المنسوقة المنظومة
الداعى الى الله تعالى فى وقاية ذاته المعصومة وحفظها على هذه الامة المرحومة
الامير عبد الله يوسف بن أمير المسلمين أبي الوليد اسماعيل بن فرج بن
نصر سلام كريم ، طيب عميم ، كما سطعت فى غياهب الشدة انوار الفرج
وهبت نواسم أطفاف الله عاطرة الارج ، يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله

وبركاته ، أما بعد حمد الله جالى الظلم بعد اعتكارها ، ومقيل الايام من عثارها
ومزين سماء الملك بشموسها المحتجة وأقمارها ، ومريح القلوب من وحشة
افكارها ، ومنشى سحاب الرحمة على هذه الامة بعد افتقارها ، وشدة اضطرابها
واضطرارها ، ومداركها باللفظ الكفيل بتمهيد اوطانها وتيسير أوطارها
والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله صفوة النبوة ومختارها ،
وناب مجدها السامى ونجارها، نبى الملاحم وخائض تيارها، ومذهب رسوم الفتن
ومطفىء نارها ، الذى لم ترعه الشدائد باضطراب بحارها ، حتى بلغت كلمة
الله ما شاءت من سطوع انوارها ، ووضوح اثارها والرضا عن آله واصحابه
الذين تمسكوا بعهدده على احلاء الحوادث وامرارها وباعوا نفوسهم فى اعلاء
دعوته الحنيفة واطهارها والدعاء لمقامكم الاعلى باتصال السعادة واسنمرارها
وانسحاب العناية الالهية واسدال استارها حتى تقف الايام ببابكم موفف
اعتذارها وتعرض على مثابتم ذنوبها رغبة فى اغتفارها فانا كتبنا اليكم
كتب الله تعالى لكم أوفى ما كتب لصالحى الملوك من مواهب السعادة وعرفكم
عوارف الآلاء فى اصدار أمركم الرفيع وايراده وأجرى الفلك الدوار بحكم
مراده وجعل لكم العاقبة الحسنى كما وعد به فى محكم كتابه المين للصالحين
من عباده من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى وليس بفضل الله الذى عليه فى
الشدائد الاعتماد . والى كنف فضله الاستناد نم ببركة جاه نبينا الذى وضح بهدايته
سبيل الرشاد الا الصنائع التى تشام بوارق اللطف من خلالها وتخبر
سيماها بطلوع السعود واستقبالها وتدل مخايل يمنها على حسن ماآلها لله
الحمد على نعمه التى نرغب فى كمالها ونستدر عذب زلالها وعندنا من
الاستبشار باتساق أمركم وانتظامه والسرور بسعادة أيامه والدعاء الى الله
تعالى فى اظهاره واتمامه ما لاتفى العبارة باحكامه ولا تتعاطى حصر أحكامه
والى هذا أيد الله تعالى أمركم وعلاه وصان سلطانكم وتولاه فقد علم الحاضر
والغائب وخلص الخلوص الذى لاتغيره الشوائب ما عندنا من الحب الذى
وضحت منه المذاهب وانه لما اتصل بنا ما جرت به الاحكام من الامور التى
صحبت مقامكم فيها العناية من الله والعصمة وجعل على العباد والبلاد الوقاية

والنعمه لا يستقر بقلوبنا القرار ولا تتأني بأوطاننا الاوطار تشوقا لما تتيحه لكم الاقدار ويبرزه من سعادتكم الليل والنهار ورجاؤنا في استئناف سعادتكم يشتد على الاوقات ويقوى علما بأن العاقبة للتقوى وفي هذه الايام عميت الانباء وتكالت في البر والبحر الاعداء واختلفت الفصول والاهواء وعافت الوارد الانواء وعلى ذلك من فضل الله الرجاء ولو كنا نجد للاتصال بكم سببا أو نلقى لاعانتكم مذهبا لما شغلنا البعد الذي بيننا اعترض العدو بساحتنا في هذه الايام ربض وكان خديمكم الذي رفع من الوفاء راية خافقة واقتنى منه في سوق الكساد بضاعة نافقة الشيخ الاجل الاوفى الاود الاخلاص الاصفى على أبو محمد ابن آجانا سنى الله مأموله وبلغه من سعادة أمركم سؤله وقد ورد على بابنا وتحيز الى اللحاق بجانبنا ليتيسر له من جهتنا القدوم ، ويتأني له باعاتنا الغرض المروم فينما نحن ننظر في تسميم غرضه واعانتته على الوفاء الذي قام بمفترضه اذ اتصل بنا خبر قرقورتين من الاجفان التي استعنتم بها على الحركة والعزمة المقترنة بالبركة حطت احدهما بمرسى المنكسب والاخرى بمرسى المرية في كنف العناية الالهية فتلقينا من الواصلين فيها الانباء المحققة بعد التباسها والاحبار التي يغنى نصها عن قياسها وتعرفنا ما كان من عزمكم على السفر وحركتكم المقرونة باليمن والظفر وانكم استخرتم الله تعالى في اللحاق بالاطوان التي يؤمن قدومكم خائفها ويؤلف طوائفها ويسكن راجفها ويصلح أحوالها ويذهب أهوالها وانكم سبقتم حركتها بعشرة أيام مستظهرين بالعزم المبرور والسعد الموفور واليمن الرائق السفور والاسطول المنصور فلا تسألوا عن انبعاث الآمال بعد سكونها ونهوض طيور الرجاء من وكونها واستبشار الامة المحمدية منكم بقره عيونها وتحقق ظنونها وارتياح البلاد الى دعوتكم التي ألبستها ملابس العدل والاحسان وقلدتها قلائد السير الحسن وما منها الا من باح بما يخفيه من وجده وجهر بشكر الله تعالى وحمده وابتهل اليه في تيسير غرض مقامكم الشهير وتتميم قصده واستئناس نور سعده وكم مطل الانتظار بديون آمالها والمطاولة من اعتلالها وأما نحن فلا تسألوا عن استشعر دنو

حبيبه بعد طول مغيبه انما هو صدر راجعه فؤاده وطرف ألفه رقاده وفكر
 ساعده مراده فلما بلغنا هذا الخبر بادرنا الى انجاز ما بذلنا لخدمتكم المذكور
 من الوعد واغتنمنا ميقات هذا السعد ليصل سببه بأسبابكم ويسرع لحاقه
 بجنابكم فعنده خدم نرجو أن ييسر الله تعالى بحوله أسبابها ويفتح ببيتكم
 الصالحة أبوابها وقد شاهد من امتعاضنا لذلك المقام الذي ندين له بالتشيع
 الكريم الوداد ونصل له على بعد المزار ونزوح الأقطار سبب الاعتداد ما
 يغنى عن القلم والمداد وقد ألقينا اليه من ذلك كله ما يلقيه الى مقامكم الرفيع
 العماد وكتبنا الى من بالسواحل من ولاتنا نحد لهم ما يكون عليه عملهم في
 بر من يرد عليهم من جهة أبوتكم الكريمة ذات الحقوق العظيمة والايادي
 الحديثة والقديمة وهم يعملون في ذلك بحسب المراد وعلى شاكلة جميل
 الاعتقاد ويعلم الله تعالى اننا لو لم تعق العوائق الكبيرة والموانع الكثيرة
 والاعداء الذين غصت بهم في الوقت هذه الجزيرة ما قدمنا عملا على اللحاق
 بكم والاتصال بسبيكم حتى نوفي لابوتكم الكريمة حقها ونوضح من
 المسرة طرقها لكن الاعذار واضحة وضوح المثل السائر والى الله تعالى
 نبتهل في أن يوضح لكم من التيسير طريقا ويجعل لكم السعد مصباحا ورفيقا
 ولا يعدمكم عناية منه وتوفيقا ويتم سرورنا عن قريب بتعريف أنبائكم السارة
 وسعودكم الدارة فذلك منه سبحانه غاية آمالنا وفيه أعمال ضراعتنا وابتهاؤنا
 هذا ما عندنا بادرنا لاعلامكم به أسرع البدار والله تعالى يوفد علينا أكرم
 الاخبار بسعادة ملككم السامي المقدار وييسر ما له من الاوطار ويصل
 سعدكم ويحرس مجدكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته « اه



ركوب السلطان ابي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن في ذلك



كان الامير أبو العباس الفضل أبو السلطان أبي بكر الحفصى بعد أن لحق بعمله القديم من بونة قد وفد عليه مشيخة العرب من أولاد أبي الليل وأغرود بملك افريقية والنهوض الى تونس ومحاصرة السلطان أبي الحسن بها فأجابهم الى ذلك ونهض اليها بعد عيد الفطر سنة تسع وأربعين وسبعمائة فحاصرها مدة ثم انفض عنها ثم عاود حصارها ، ثم انفض عنها ودخل القفر مع أولاد أبي الليل الى أن بايعه أهل بلاد الجريد بإشارة أبي القاسم بن عتو المقطوع ، ودخل في طاعته توزر وقفصة ونفطة والحامة وقابس وجربة وانهى الخبر الى السلطان أبي الحسن باستيلاء الفضل على هذه الامصار واستفحال أمره بها وانه ناهض الى تونس فاهمه شأنه وخشى على الأمر ، وكانت بطاتته توسوس اليه بالرحلة الى المغرب لاسترجاع نعمتهم باسترجاع ملكه مع ما أصابهم بتونس من الغلاء والموت الذريع فأجابهم الى ذلك وشحن أساطيله بالاقوات وأزاح علل المسافرين ، ولما قضى نسك عيد الفطر من سنة خمسين وسبعمائة ركب البحر في فصل الشتاء وهيجان البحر وكلب البرد بعد أن عقد لابنه أبي الفضل على تونس ثقة بما بينه وبين عمر بن حمزة من المصاهرة وتفاديا بمكانه من معرفة الغوغاء وثورتهم به ، وكانت مدة محاصرة السلطان أبي الحسن بتونس سنة ونصفا ، واتصل خبر رحيله بالفضل بن أبي بكر وهو ببلاد الجريد فآغد السير الى تونس ونزل بها على أبي الفضل المريني ومن كان معه من حاشيته وأهل دولته ثم اقتحمها واتصلت يده بيد أهل البلد ثم أحاطوا بالقصبة يوم منى حتى استنزلوا أبا الفضل على الامان فخرج الى دار أصهاره من بني حمزة فبقى عندهم حتى أنفذوا معه من أوصله الى أبيه فلدح به بثغر الجزائر

وأما السلطان أبو الحسن وجيشه الراكب البحر معه فانهم لما لججوا احتاجوا الى الماء فدخلوا مرسى بجاية لخمس ليل من اقلعهم عن تونس

فمنعهم صاحب بجاية الحفصي من الورود وأوعز الى سائر سواحله بمنعهم
 فزحفوا الى الساحل وقتلوا من صدهم عن الماء الى أن غلبوهم واستقوا وأقلعوا
 ثم عصفت بهم الرياح في تلك الليلة وجاءهم الموج من كل مكان وتكسرت
 الاجفان وغرق الكثير من بطانة السلطان وعامة الناس وقذف الموج بالسلطان
 فألقاه على حجر قرب الساحل من بلاد زواوة عارى الجسد مباشرة للموت ،
 وقد هلك من كان معه من الفقهاء والعلماء والكتاب والاشراف والخاصة وهو
 يشاهد مصارعهم واختطاف الموج لهم من فوق الصخور التي تعلقوا بها فمكثوا
 ليلتهم على ذلك وصبحهم جفن من بقية الاساطيل كان قد سلم من ذلك العاصف
 فإدار أهل الجفن اليه حين رأوه فاحتملوه وقد تصايح به البربر من الجبال
 وتواثبوا اليه حين وضع النهار وأبصروه ، فتداركه الله بهذا الجفن فاحتملوه
 وقذفوا به في مدينة الجزائر

وفي نصح الطيب أن أساطيل السلطان أبي الحسن كانت نحو الستمائة
 ففرقت كلها ونجا هو على لوح وهلك من كان معه من أعلام المغرب وهم نحو
 أربعمائة عالم منهم أبو عبد الله محمد بن سليمان السطى شارح الحوفى ، وأبو
 عبد الله محمد بن الصباغ المكناسى الذى أملى فى مجلس درسه بمكناسة على
 حديث يا أبا عمير ما فعل النغير أربعمائة فائدة ، والاستاذ الزواوى أبو العباس
 وغير واحد وكان غرق الاسطول على ساحل تدلس . وذكر الشيخ أبو عبد
 الله الابى فى شرح مسلم كلامه على أحاديث العين ما معناه : أن رجلا كان
 بتلك الديار معروفا باصابة العين فسأل منه بعض الموتورين للسلطان أبي الحسن
 أن يصيب أساطيله بالعين وكانت كثيرة نحو الستمائة فنظر اليها الرجل العائن
 فكان غرقها بقدره الله الذى يفعل ما يشاء ونجى السلطان بنفسه وجرت عليه
 حن اه

ولما احتل بالجزائر وقد تمسك أهلها بطاعته استنشق ريح الحياة ولائم
 لصدع وأقام الرسم وخلع على من وصل اليه من فل الاساطيل واستلحق
 استركب ولحق به ابنه الناصر من بسكرة والتف عليه بعض العرب من
 حواز الجزائر ووفد عليه أولياؤه من عرب سويد فنهض الى جهة تلمسان

وقد استولى عليها بنو زيان وسلطانهم عثمان بن عبد الرحمن فبرز اليه أبو ثابت أخو عثمان المذكور ولما التقى الجمعان اختل مصاف السلطان أبي الحسن واستبيح معسكره واتهبت فساطيطه وقتل ابنه الناصر ، وظهر يومئذ من بسالته وصدق دفاعه وشدة حملاته حتى أنه اركب طعائنه وخلص محاميا عنها واحتمل ولده جريحا فتوفى بالطريق فواراه في التراب وأخفى قبره ، ثم خلس الى الصحراء مع وليه ونزمار بن عريف بن يحيى السويدي ولحق بحلس قومه قبلة جبل وانشريس وأجمع أمره على قصد المغرب موطن قومه ومنبت عزه ودار ملكه فارتحل معه وليه ونزمار بالناجعة من قومه وخرجوا الى جبل راشد ثم قطعوا المفاوز الى سجلماسة في القفر ، فلما أطلوا عليها وعابن أهلها السلطان تهاقتوا عليه تهاقت الفراش على ضوء السراج حتى خرج اليه العذارى من ستورهن ميلا اليه ورغبة في ولايته ، وفر العامل بسجلماسة الى منجاته وكان الامير أبو عنان لما بلغه الخبر بقصد أبيه سجلماسة نهض اليه في قومه وجموعه بعد أن أزاح عنهم وأفاض عطاء فيهم ، وكأنت بنو مرين نافرة عن السلطان أبي الحسن حاذرة من عقوبته لجنايتهم بالتخاذل في المواقف والفرار عنه في الشدائد ولما كان يعد بهم في الاسفار ويتجسم بهم المهالك والاحطار فكانوا لذلك مجمعين على منابذته ومخلصين في طاعة ابنه ، ولما اتصل خبر قدومهم بالسلطان أبي الحسن علم من حاله أنه لا يطيق دفاعهم وكان ونزمار قد أجفل عنه في قومه سويد لان أباه عريف بن يحيى كان قد نزع الى أبي عنان قبل قدوم السلطان من تونس فأكرم محله ورفع منزلته فكتب الى ابنه ونزمار ينهاء عن ولاية السلطان أبي الحسن ومظاهرتة له وأقسم له لئن لم يفارق السلطان ليقعن بابنه عنتر وكان معه في جملة الامير أبي عنان فآثر ونزمار رضا أبيه وعلم أن غناءه عن السلطان في وطن المغرب قليل فأجفل عنه ولحق بسكرة فكان بها الى أن رجع الى أبي عنان بعد هذا ، ولما قرب أبو عنان من سجلماسة أجفل السلطان عنها الى ناحية مراکش ودخل أبو عنان سجلماسة فتقف أطرافها وسد فروعها وعقد عليها ليحتاتن بن عمر بن عبد المومن كبير بنى ونكاسن وبلغه أن أباه قد سار الى مراکش فاعتزم على اتباعها فلم تطاوعه بنو مرين فرجع بهم الى فاس الى أن كان ما نذكره

استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزامها عنها إلى هنتاتة اهل جبل درن ووفاته هناك



لما أجهل السلطان أبو الحسن عن سجماسة سنة احدى وخمسين
وسبعمائة قصد مراکش وركب اليها الاوعار من جبال المصامدة ، ولما شارفها
تسارع اليه اهل جهاتها بالطاعة من كل أوب و نسلوا اليه من كل حذب ، وفر
عامل مراکش الى أبي عنان ونزع الى السلطان أبي الحسن صاحب ديوان
العجباية أبو المجد بن محمد بن أبي مدين بما كان في الخزانة من مال العجباية
فاختصه واستكتبه وجعل اليه علامته ، واستركب واستلحق وجبى الاموال
وبث العطاء ودخل في طاعته قبائل العرب من جشم وسائر المصامدة ، وثاب له
بمراكش ملك رجي معه أن يستولى على سلطانه ويرتجع فارط أمره

وكان أبو عنان لما رجع الى فاس عسكر بساحتها وشرع في العطاء وازاحة
العلل ، ثم ارتحل في جموع بني مرين الى مراکش وبرز السلطان أبو الحسن
للقائه وانتهى كل واحد من الفريقين الى وادي أم الربيع وتربص كل واحد
بصاحبه عبور الوادي فعبره أبو الحسن ، وكان اللقاء بتامدغوست في آخر
صفر من سنة احدى وخمسين وسبعمائة فاقتل مصاف السلطان وانهمزم
عسكره ، ولحق به أبطال بني مرين ثم راجعوا عنه حياء وهيبة وكبي به فرسه
يومئذ في مفره فسقط الى الارض والفرسان تحوم حوله ، فاعترضهم دونه أبو
دينار سليمان بن علي بن أحمد أمير الذواودة من عرب رياح ورديف أخيه
يعقوب كان هاجر مع السلطان من الجزائر ولم يزل في جملة الى هذا اليوم
فدافع عنه حتى ركب وسار من ورائه رداً له ، وأسر حاجبه علال بن محمد
فأودعه أبو عنان السجن ثم امتن عليه بعد وفاة أبيه

وخلص السلطان أبو الحسن رحمه الله الى جبل هنتاتة من جبال درن
ومعه كبيرهم عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاتي فنزل عليه وأجاره واجتمع
اليه الملا من قومه هنتاتة ومن انضاف اليهم من المصامدة وتأمرؤا وتعاهدوا

على المدافعة عنه وبايعوه على الموت وجاء أبو عنان على أثره حتى احتل بمراكش وأنزل عساكره على جبل هنتاتة ورتب المسالح لحصاره وحربه وطال عليه ثوابه حتى طلب السلطان من ابنه الأبقاء عليه وأن يبعث إليه حاجبه أبا عبد الله محمد بن محمد بن أبي عمر فحضر عنده وأحسن العذر عن الأمير أبي عنان والتمس له الرضا منه فرضى عنه وكتب له بولاية عهده وأوعز إليه بأن يبعث له مالا وكسى فسرح الحاجب ابن أبي عمر باخراجها من المودع بدار ملكهم واعتل السلطان خلال ذلك فمرضه أولياؤه وخاصته واقتصد لاخراج الدم ثم باشر الماء للطهارة فورم محل الفصادة ومات رحمه الله في الثالث والعشرين من ربيع الثاني سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة (*) هكذا عند ابن خلدون وابن الخطيب وغيرهما ، والذي رأيته مكتوبا بالنقش على رخامة قبره بشالة أن وفاته كانت ليلة الثلاثاء السابع والعشرين من ربيع الأول من السنة المذكورة وبعث أولياء السلطان بالخبر إلى ابنه وهو بمعسكره من ساحة مراكش ورفعوه على أعواد نعشه إليه فتلقاها حافيا حاسرا ، وقبل أعواده وبكى واسترجع ورضى عن أوليائه وخاصته وأنزلهم بالمحل الذي رضوه من دولته ؛ ثم دفن أباه بمراكش قبل جامع المنصور من القصبة بالموضع الذي به اليوم قبور الملوك الأشراف السعديين ، ثم لما نهض أبو عنان إلى فاس احتمل شلو أبيه معه حتى دفنه بشالة مقبرة سلفهم ولا زال ضريحه قائم العين والأثر إلى الآن رحمه الله تعالى



بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته



كان السلطان أبو الحسن رحمه الله أسمر طويل القامة عظيم الهيكل معتدل اللحية حسن الوجه ، وكان عفا مائلا إلى التقوى ، مولعا بالطيب لم يشرب الخمر قط لافي صغره ولا في كبره ، مجبا للصالحين عدلا في رعيته

(*) حكى المؤلف قولاً آخر في كتابه « كشف العرين عن ليوث بني مرين »

انه مات مسموما ، وفي الروضة انه مات بذات الجنب والله أعلم .

يحب الفخر ويعنى به ، وقال بعض المشاركة في حقه ما صورته : «ملك أضاء المغرب بأنوار هلاله ، وجرت الى المشرق أنواء نواله وطابت نسمااته واشتهرت عزماته كان حسن الكتابة كثير الانابة ذا بلاغة وبراعة وشهامة وشجاعة» . اه وبنى رحمه الله عدة مدارس منها المدرسة العظمى بمراكش قبلى جامع ابن يوسف ، قال العلامة اليفرنى فى «النزهة» : «ان الذى بناها هو السلطان أبو الحسن المذكور» قلت : «ومن وقف على هذه المدرسة وتأمل تنجيدها وتنميقها قدر قدر هذا السلطان وعلم عظم أهميته ومحبته للعلم وأهله» ومنها المدرسة العظمى بطالعة سلا قبلى المسجد الاعظم منها ، بناها رحمه الله على هيئة بديعة وصنعة رفيعة ؛ وأودع جوانبها من أنواع النقش وضروب التخريم ما يحير البصر ويدهش الفكر ، ووقف عليها عدة أوقاف رصع أسماءها بالنقش والاصباغ على رخامة عظيمة ثم نصب الرخامة بالحائط الجوفى منها كل ذلك محافظة على تلك الاوقاف أن تغير ، وأما المسجد الاعظم ومدرسته الجوفية فهما من بناء يعقوب المنصور الموحدى حسبما تقدم ذلك فى أخباره وعندى أن السور المحمول عليه الماء الداخلى الى سلا المعروف عندهم بسور الاقواس من بناء السلطان أبى الحسن رحمه الله ، ولى فى ذلك مستند غريب : وهو أنى كنت ذات يوم أفأوض بعض القنافة بسلا ممن كان يباشر أمر المياه بها ويصلح ما احتاج الى الاصلاح منها ، فقلت كالمستفهم لنفسى من غير قصد توجيه الخطاب اليه . يا ترى من الذى بنى سور الماء الداخلى الى البلد ، فقال على البديهة : الذى بنى المدرسة هو الذى بنى سور الماء ، فقلت له وكنت متشوقا يومئذ لتحقيق ذلك . وما علمك بهذا ؟ فقال : ان بيلة المدرسة بنيت يوم بنيت المدرسة بدليل الزليج المرصوف حولها بالعمل الكبير الموجود نظيره فى سائر حيطان المدرسة وسواريتها ، وهذه البيلة لم تتغير عن حالها الى أن باشرت اصلاحها فى هذه الايام ؛ فحضرت عن قنواتها وتتبع مادة الماء الواصل اليها فاذا عمل تلك القوادس وصنعة بنائها حتى الكلس المفرغ عليها الجامع بينها مماثل لعمل قنوات مبنية بالسور المذكور ، داخلة فيه بحيث بنى عليها يوم تاسيسه من غير فرق بين هذه وتلك فى جميع عملهما ، وليس شىء

من القنوات الحادثة بعدهما يشبههما، فعلمت أن الذي بناهما واحداً عجبنى كلامه
 وباحثته في ذلك فصمم على معتقده وحاولت تشكيكه بكل وجه فلم يتشكك
 فظهر لي صدق دليله وغلب على ظني ما جزم به وعند الله علم حقيقة الامر
 واعلم أن هذا السور من المباني العادية والهياكل العظيمة التي تدل على
 فخامة الدولة وكمال قوتها مثل ما يقال عن حنايا قرطاجنة ونحوها ، وهذا
 السور مسوق من عيون البركة خارج مدينة سلا على أميال كثيرة ممتدا من
 القبلة الى الجوف على أضخم بناء وأحكمه ، موزون سطحه بالميزان الهندسى
 ليتأتى جريان الماء فوقه على استواء ولذلك ينخفض الى الارض متى ارتفعت
 ويعلو عنها اذا انخفضت ، ويجرى على منته من الماء مقدار النهر الصغير فى
 ساقية قد اتخذت له ، ولما شارف البلد عظم ارتفاعه جدا لاجل انخفاض الارض
 عنه وكلما مر فى سيره بطريق مسلوكة نتحت له فيه أقواس فسمى لذلك سور
 الاقواس ، وبالجملة فهو شاهد لبانيه بضخامة الدولة وعظم الهمة ،

وللسلطان أبى الحسن رحمه الله بفاس ومكناسة وغيرهما من بلاد المغرب
 آثار كثيرة ، فمن آثاره بفاس بيلة الرخام الابيض المجلوبة من المرية زنتها
 مائة فنطار وثلاثة وأربعون فنطارا ، سبقت من المرية الى مرسى العرائش ثم
 طلعت فى وادى قصر كتامة ؛ ثم حملت على عجل الخشب تجرها القبائل
 الى منزل أولاد محبوب الذين على ضفة وادى سبو فوسقت فيه الى أن وصلت
 الى ملتقاه مع وادى فاس ، ثم حملت على عجل الخشب أيضا يجرها الناس الى
 أن وصلت الى مدرسة الصهريج التى بعدوة الاندلس ؛ ثم نقلت منها بعد ذلك
 بأعوام الى مدرسة الرخام التى أمر رحمه الله بنائها جوف جامع
 القرويين المعروفة اليوم بمدرسة مصباح ، ومصباح هذا هو ابو الضياء مصباح
 ابن عبد الله اليصلوتى الفقيه المشهور ، وانما نسبت اليه لان السلطان أبا الحسن
 لما بناها كان أبو الضياء أول من تصدى للدرس بها فنسبت اليه وقد تقدم
 لنا خبر المدرسة التى بناها غربى جامع الاندلس أيام أبيه وانفق عليها أكثر
 من مائة الف دينار ، ومن آثاره بمكناسة الزيتون الزاويتان القدمى،
 والجديدة وكان بنى القدمى فى زمان أبيه والجديدة حين ولى الخلافة ، وله

فى هذه المدينة عدة آثار سوى الزاويتين من القناطر والسقايات وغيرها ، ومن أجل ذلك المدرسة الجديدة بها وكان قدم للنظر على بنائها قاضيه على المدينة المذكورة ولما تم بناؤها جاء إليها من فاس ليقف عليها ويرى عملها وصنعتها فقعده على كرسي من كراسى الوضوء حول صهريجها ، وجيء بالرسوم المتضمنة للتنفيذات اللازمة فيها ، ففرقتها فى الصهريج قبل أن يطالع ما فيها وأنشد :

لا بأس بالغالى اذا قيل حسن ليس لما قرت به العين ثمن
وكان له معرفة بالشعر فمن شعره قوله :

أرضى الله فى سر وجهه وأحمى العرض عن دنس ارتياب
وأعطى الوفر من مالى اختيارا وأضرب بالسيوف طلى الرقاب

وأخباره كثيرة ومن أراد الوقوف على تفاصيلها فعليه بكتاب الخطيب بن مرزوق الذى ألفه فى دولته وسيرته وسماه « المسند الصحيح الحسن من أحاديث السلطان أبى الحسن » ولما ذكر الوزير ابن الخطيب فى كتابه رقم الحل هذا السلطان وصفه بقوله :

الملك المعدود من خير سلف الدين والعفاف والجلاله
والعلم والحلم وفضل الدين ومهد الملك ومسدى المن
باني المباني النخبة الشريفة وتارك المدارس الظريفة
وقاطع الدهر بغير لهو اما لتدريس وعلم يدرس
أو لا ياد فى عباد تفرس أو نسخ قرآن وعرض حزب
ومجموع القول اذا القول اختلف والعز والقدرة والجزاله
وصفوة الصفوة من مريين وواحد الدهر وفخر الزمن
بمقتضى همته المنيفه شاهدة بأنه الخليفه
فى مجلس معظم أو بهو أو لبلاد من عدو تحرس
أو لثواب ورضا يلتمس أو عدة معدة لحرب

ومن أعيان وزرائه عامر بن فتح الله السدراتى ، وعبد الله بن ابراهيم الفودودى ومن أعيان كتابه أبو محمد عبد المهيم الحضرمى
(الاستقفا - ثالث - 12)

وابو محمد بن عبد الله بن ابى مدين العثماني ، وابو الحسن على بن
القبائلي التيمملي رحم الله الجميع بمنه
ولنذكر ما كان من الاحداث في هذه المدة :

ففي سنة سبعمائة أسس السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق تلمسان
الجديدة المسماة بالمنصورة حسبما تقدم الخبر عنها مستوفى
وفي سنة احدى عشرة وسبعمائة كان القحط بالمغرب فاستسقى الناس وخرج
السلطان أبو سعيد ماشيا على قدميه لاقامة سنة الاستسقاء وذلك يوم الاربعاء الرابع
والعشرين من شعبان من السنة المذكورة وتقدمت أمامه الصلحاء والفقهاء والقراء
يدعون الله تعالى ، وقدم بين يدي نجواه صدقات ، وفرق اموالا ، وفي يوم
السبت بعده خرج في جنده الى قبر الشيخ ابى يعقوب الاشقر بجبل
الكندرتين فدعا هنالك ورحم الله تعالى عباده وغان ارضه وبلاداه

وفي سنة تسع عشرة وسبعمائة توفي الشيخ أبو الحسن على بن
محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير بضم الصاد وفتح الغين
وكسر الياء المشددة قاله ابن الخطيب في الاحاطة ، وكان ربعة آدم اللون
بخفيف العارضين يلبس أحسن زى ، ويدرس بجامعة الاجدع من فاس
يقعد على كرسي عال لسمع القريب والبعيد على انخفاض كان في صوته
وكان حسن الاقراء وقورا صبورا ثباتا ، وكان أحد الاقطاب الذين تدور
عليهم الفتيا بالمغرب فيحسن التوقيع عليها على طريق الاختصار وترك فضول

★ قد ذكر صاحب روضة النسرين بعض اولادالسلطان ابى الحسن فقال : « اولاده
الذكور السلطان ابو عمر تاشفين والسلطان ابو عنان فارس والسلطان ابو سالم ابراهيم
والسلطان ابو فارس عبد العزيز وابو مالك عبد الواحد وابو عبد الرحيم يعقوب وابو
عامر عبد الله وسعود وداوود ويوسف وعبد الحق وابو غالب محمد وأحمد ومحمد المنتصر
بالله ومحمد المسعود بالله . بناته : حضرية وام العز وتابو وتاعزنت وسونة وريمة ويامنة
والزهراء وصفية وزروا وكان جميع ما ولد بين ذكر وانثى وسقط وغيره الف وثمانمائة
واثنين وستين اخبرني بذلك ثقته الشيخ المعمر علال بن محمد بن « مصمود الهسكوري » .

القول ولاء السلطان ابو الربيع القضاء بفاس وشد عضده فجرى فى العدل على صراط مستقيم ،

وفى سنة احدى وعشرين وسبعمائة توفى الشيخ أبو العباس احمد ابن محمد بن عثمان الازدى المراكشى المعروف بابن البناء الامام المشهور فى علم التعاليم والهيئة والنجوم والازياج وغير ذلك ، وكان رحمه الله عز وجل معروفا باتباع السنة موسوما بطهارة الاعتقاد منعوتا بالصلاح وكان انتفاعه بصحبة الشيخ ابى زيد الهزميرى رضى الله عنه

وفى سنة اثنتين وعشرين وسبعمائة فى ذى القعدة منها هبت ريح شديدة بفاس ومكناسة واحوازهما واستمر هبوبها يومين وليتين فعافت عن الاسفار وهدمت الدور وقلعت الاشجار .

وفى سنة ثلاث وعشرين بعدها فى المحرم منها جرت العين الموالية للمشرق من عيون صنهاجة باحواز فاس بدم عييط من وقت العصر الى نصف الليل ثم عادت الى حالها وفيها كان المطر العظيم والثلج الكثير بالمغرب وعدم الفحم والحطب حتى بيع الفحم بفاس بدرهمين للرطل ، وفى جمادى الاولى منها احترق سوق العطارين الكبرى بفاس فجدده السلطان ابو سعيد من باب مدرسة العطارين الى رأس عقبة الجزارين ، وعقد عليه هنالك بابا ضخما وافرده للعطارين دون غيرهم

وفى سنة أربع وعشرين وسبعمائة كانت المجاعة بالمغرب وارتفعت الاسعار فى جميع البلاد فبلغ المد من القمح بفاس خمسة عشر درهما والصحفة منه تسعين دينارا وغلا الادم وهدمت الخضر بأسرها ، وكسى السلطان ابو سعيد واطعم فى هذه المسغبة شيا كثيرا ، ودام ذلك الى قرب منتصف السنة بعدها ، وفيها فى يوم الثلاثاء ثالث عشر رمضان منها نشأ خارج فاس من جهة جوفها سحب عظيم وظلمة شديدة ورياح عاصفة أعقب ذلك برد كثير عظيم الجرم تزن الواحدة منه ربع رطل واقل واكثر ونزل فى خلاله مطر وابل جاءت منه السيول طامية حملت الناس والدواب واهلكت جميع ما يبجل زالغ من الكروم والزيتون وسائر الشجر

وفي سنة خمس وعشرين بعدها ليلة الجمعة السادس والعشرين من جمادى منها دخل السيل العظيم مدينة فاس وكاد ياتي عليها بحيث هدم الدور والمساجد والاسواق واهلك الالافا من الخلق حتى خيف على البلد التلف

وفي سنة ست وعشرين وسبعمائة انتهى تاريخ ابن ابي زرع المسمى « بالانيس المغرب القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس » ومما هو الغاية في باب الاغراب ما ذكره ابن خلدون قال : « حضر أسيافنا بمجلس السلطان ابي الحسن وقد رفع اليه امرأتان من اهل الجزيرة الخضراء ورندة حبنا أنفسهما عن الاكل جملة منذ سنين وشاع أمرهما ووقع اختبارهما فصح شأنهما واتصل على ذلك حالهما الى ان ماتتا وذكرهما ايضا الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ في كتابه المسمى بـ « المحاضرات » قال : « وردت على تلمسان في العشرة الخامسة من المائة الثامنة امرأة من رندة لا تأكل ولا تشرب ولا تبول ولا تتغوط وتحيض فلما استهر هذا من امرها انكره الفقيه ابو موسى ابن الامام وتلى : « كانا ياكلان الطعام » فأخذ الناس يثون ثقات نسائهم ودهاتهن اليها فكشفوا عنها بكل وجه يمكنهن فلم يقفن على غير ما ذكر ، وسئلت هل تشتهين الطعام ، فقالت : « هل تشتهون التبن بين يدي الدواب » وسئلت هل ياتيها شيء فاخبرت « انها صامت ذات يوم فدرکها الجوع والعطش فنامت فأتاها آت في النوم بطعام وشراب فأكلت وشربت فلما أفاقت وجدت نفسها قد استغنت فهي على تلك الحال تؤتى في المنام بالطعام والشراب الى الان » ، ولقد جعلها السلطان في موضع بقصره وحفظها بالعدول ومن يكشف عما عسى تجيء أمها به اذا أتت اليها أربعين يوما فلم يوقف لها على أمر ، قال : « بيد اني اردت ان يزداد في عدد العدول ويضم اليهم الاطباء ومن يخوض في المعقولات من علماء الملل المسلمين وغيرهم ويوكل من نساء الفرق من يبالغ في كشف من يدخل اليها ولا يترك احدا يخلو بها (وبالجملة) يبالغ في ذلك ويستندام رعيها عليه سنة لا حتمال ان يغلب عليها طبع فتستغنى في فصل دون فصل ، ثم يكتب هذا في العقود

ويشاع أمره في العالم ، وذلك لانه يهدم حكم الطبيعة الذي هو اضر الاحكام على الشريعة ، ويبين كيفية غذاء أهل الجنة ، وأن الحيض ليس من فضلات الغذاء ويطل التأثير والتولد ، ويوجب أن الاقترانات بالعادات لا باللزوم ، وعند الاسباب لابها الى غير ذلك ، الا اني لما أشرت بهذا انقسم من أشرت عليه بتبليغه الى من لم يفهم ما قلت ومن لم يرفع به راسا لا يثار الدنيا على الدين فانا لله وانا اليه راجعون .

قال المقرئ : « وقد ذكر أن امرأة أخرى كانت معها على تلك الحالة » وحدثني غير واحد من الثقات ممن ادرك عائشة الجزرية انها كانت كذلك ، وان عائشة بنت أبي بكر يعني زوجة السنطان ابي الحسن التي استشهدت في طريف اختبرتها اربعين يوما ايضا وكم من آية أضيعت وحجة نسيت مما لم يعرف مثله قبل المائة الثامنة ، وكذلك الوباء العام القريب فروطه يوشك ان يطول أمره فينسى ذكره ويكذب المحدث به اذا انقضى عصره ، وكم فيه من ادلة على اصول الملة « اه كلام الشيخ ابي عبد الله المقرئ رحمه الله ويعني بالوباء القريب فروطه: وباء منتصف المائة الثامنة أيام كان السلطان أبو الحسن بتونس فانه كان وباء عظيما لم يعهد مثله قد عم أقطار الارض وتحيف العمران جملة حتى كاد ياتي على الخليفة أجمع والامور كلها بيد الله لايسئل عما يفعل وهم يسئلون



الخبر عن دولتا السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن ابي الحسن
رحمه الله



كان السلطان محبوبا في قومه وعشيرته ، أثيرا عند والده متميـزا بذلك عن سائر اخوته لفضله وعمله وصيـانته وعفـافه واستظـهار القرآن الكريم وغير ذلك من الاوصاف الحسنة ، أمه ام ولد رومية اسمها شمس الضحى وقبرها بشالة معروف الى الان رأيت مكتوبا عليه بالنقش : « انها توفيت ليلة السبت رابع رجب الفرد سنة خمسين وسبعمائة ، ودفنت اثر صلاة

الجمعة في الخامس والعشرين من الشهر المذكور وحضر لدفنها أعيان المشرق والمغرب ، اه وكان مولد السلطان أبي عنان بفاس الجديد في الثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة تسع وعشرين وسبعمائة وبويع في حياة والده يوم ثار عليه بلمسان حسبا قدما الخبر عنه وذلك يوم الثلاثاء منسلخ ربيع الاول سنة تسع وأربعين وسبعمائة . ولما هلك والده أبو الحسن بجبل هنتاة وانقضى شأن الحصار ارتحل السلطان أبو عنان الى فاس ونقل شلو أبيه الى شالة فدفنه بها ، وأخذ السير الى فاس وقد استتب أمره وخلا له الجو فاحتل بدار ملكه وأجمع (*) أمره على غزو بني عبد الواد لارتجاع ما بأيديهم من الملك الذي تطاولوا اليه . ولما دخلت سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة نادى بالعطاء وأزاح العلل وعسكر بساحة البلد الجديد وعرض جيشه ثم نهض يريد تلمسان

واتصل خبره بسطانها أبي سعيد عثمان بن عبد الرحمن الزياني فجمع له قومه ومن شايعهم من زناتة والعرب ، ثم نهض اليه ومعه أخوه ووزيره أبو ثابت فكان اللقاء ببسيط انكاد آخر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وأجمع بنوعبد الواد على صدمة المرينيين وقت القائلة وعند ضرب الابنية وسقاء الركاب وافتراق أهل المعسكر في حاجاتهم ، فحملوا عليهم وأعجلوهم عن ترتيب المصاف وركب السلطان أبو عنان لتلافي الامر وخاض بحر القتال وقد أظلم الجو بالغبار ، حتى اذا خلص اليهم وخالطهم في صفوفهم ولوا الادبار ، واتبع بنو مرين آثارهم فاستولوا على معسكرهم واستباحوهم قتلا وسبيا وصفدوهم أسرى ولم يزالوا في اتباعهم الى الليل ، وتقبضوا على سلطانهم أبي سعد فساقوه الى السلطان أبي عنان فاعتقله ، وتقدم على التعبية الى تلمسان فدخلها في ربيع المذكور واستوت في ملكها قدمه ، وأحضر أبا

(*) في بغية الرواد أن الامر كان على ما ينبغي بين أبي عنان وملك تلمسان أبي سعيد إلى أن كتب أبو عنان لابى سعيد متشفعا في مغراوة الذين كان محاصرا لهم فرد شفاعتهم فحرق علي بنى عبد الواد من أجل ذلك واستنفر الناس لغزو تلمسان الخ بغية الرواد ص ١٥٨ وما بعدها جزء أول طبع الجزائر ١٣٢١ .

سعيد فوبخه وأراه أعماله حشرات عليه ، ثم أحضر الفقهاء وأرباب الفتيا فأفتوا بحرابته وقتله فأمضى حكم الله فيه فذبح في محبسه لتاسعة من اعتقاله وفر أخوه الزعيم أبو ثابت الى قاصية الشرق بعد أن احتمل معه حرمه وحرَم أخيه ومتخلفهم ، واحتل بوادي شلف من بلاد مغراوة فعسكر هنالك واجتمع عليه أوشاب من زناتة وحدث نفسه باللقاء ووعداها بالصبر والثبات واتصل خبره بالسلطان أبي عنان فسرح اليه وزيره فارس بن ميمون في عساكر بني مرين والجنبد فأغذ السير اليهم ، ثم ارتحل السلطان أبو عنان من تلمسان على أثره ، ولما تراءى الجمعان تصادقا الحملة وخاض النهر بعضهم الى بعض ثم صدق بنو مرين الحملة فاجتازوا النهر وانكشفت بنو عبد الواد واتبع بنو مرين آثارهم فاستلحموهم ثانية واستباحوا معسكرهم واستاقوا نساءهم وأموالهم ودوابهم ، وكتب الوزير بالفتح الى السلطان أبي عنان وفر أبو ثابت الى قاصية الشرق في نفر من عشيرته وبني أبيه فاعترضتهم قبائل زواوة فانتهبوا أسلابهم وأرجلهم عن خيولهم ومروا على وجوههم حفاة عراة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، وكتب الوزير الى أمراء الثغور في شأن أبي ثابت وأصحابه فأذكوا العيون عليهم وقعدوا لهم بالمرصد حتى عثر عليهم بعض الحشم ، فقبضوا على أبي ثابت وابن أخيه أبي زيان بن أبي سعيد المقتول ووزيرهم يحيى بن دواد ، فرفعوهم الى أمير بجاية أبي عبد الله محمد ابن أبي زكرياء بن أبي بكر الحفصي وكان خالصة للسلطان أبي عنان منذ أيام والده فاعتقلهم عنده حتى وفد بهم عليه بلمدية ، فأكرم السلطان أبو عنان وفادته وركب للقاءه ، ولما تراءى نزل الحفصي عن فرسه اعظاما للسلطان فنزل السلطان مكافأة له ولقاء مبرة وكرامة ، وأودع أبا ثابت السجن وتوافت اليه وفود الذواودة بمكانه من لمدية فأكرم وفادتهم ، وأسنى عطاياهم من الخلع والحملان والذهب والفضة وانقلبوا خير منقلب ، ووافته بمكانه ذلك بيعة ابن مزني عامل بسكرة والزاب مع وفدهم فأكرمهم ووصلهم ، وفرغ السلطان أبو عنان من شأن المغرب الاوسط وبث عماله في نواحيه وثقف أطرافه وسمى الى تملك افريقية على ما تذكره ان شاء الله

تملك السلطان ابي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي عليها



لما وفد أبو عبد الله الحفصي على السلطان أبي عنان بلمدية في شعبان من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وبالغ في اكرامه ناجاه بذات صدره ، وشكا اليه ما يلقاه من رعيته من الامتناع من الجباية والسعي في الفساد وما يتبع ذلك من شقاق الحامية واستبداد البطانة ، وكان السلطان أبو عنان متشوقا لمثلها فأشار عليه بالنزول عنها وان يعوضه عنها ما شاء من بلاده ، فسارع الى قبول ذلك ودس اليه السلطان مع حاجبه محمد بن أبي عمرو أن يشهد بذلك على رؤوس الملاء ففعل وعوضه عنها مكناسة الزيتون ، ونقم بطانة الحفصي عليه ونزع بعضهم عنه الى افريقية وأمره السلطان أبو عنان أن يكتب بخطه الى عامله على بجاية بالنزول عنها وتمكين عمال السلطان منها ففعل ، وعقد أبو عنان عليها لعمر بن علي الوطاسي من بني الوزير الذين قدمنا خبر ثورتهم بحصن تازوطا أيام يوسف بن يعقوب ، ولما قضى السلطان أبو عنان حاجته من المغرب الاوسط واستولى على بجاية ثغر افريقية انكفاً راجعا الى تلمسان لشهود عيد الفطر بها ودخلها في يوم مشهود ، وحمل أبا ثابت الزياتي ووزيره يحيى بن داوود على جملين ودخل بهما تلمسان يخطوان بهما في ذلك المحفل بين السماطين فكانا عبرة لمن حضر ، ثم جنبا من الغد الى مصارعهما فقتلا قعصا بالرماح والى الله عاقبة الامور



ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها



لما قدم عمر بن علي الوطاسي بجاية واستقر بها ثقل أمره على نفوس أهلها لالفهم ملكة الحفصيين وانصباغهم بالميل اليهم ، فتربصوا بالوطاسي الدوائر وكان أبو عبد الله الحفصي قد استصحب معه في وفادته على السلطان أبي عنان حاجبه فارحا مولى ابن سيد الناس ، فلما نزل للسلطان عن بجاية

نقم فارح عليه ذلك وأسرها فسي نفسه الى أن بعثه الحفصي المذكور مع الوطاسي لينقل حرمه ومتاعه وماعون داره الى المغرب ، فأتتهى الى بجاية وبينما هو يحاول ما أرسل في شأنه شكا اليه الصنهاجيون سوء ملكة بنى مرين فنجع كلامهم فيه ونفت لهم بما عنده من الضغن ودعاهم الى الثورة بالمرينيين والقيام بدعوة الحفصيين ، فأجابوه الى ذلك وتواعدوا للفتك بعلى ابن عمر الوطاسي بمجلسه من القصة ، وتولى كبرها منصور بن ابراهيم بن الحاج من مشيختهم وباكره في داره على عادة الامراء ، ولما أكب عليه ليثم أطرافه طعنه بخنجره ثم ولج عليه الباقون فاستلحموه وذلك في ذى الحجة من سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة وثار الغوغاء بالبلد وهتف الهاتف بدعوة أبي زيد بن محمد بن أبي بكر الحفصي صاحب قسنطينة ، وطيروا اليه بالخبر واستدعوه فتناقل عنهم وبلغ الخبر الى السلطان أبي عنان فاتهم أبا عبدالله الحفصي بمداخلة حاجبه فارح في ذلك فاعتقله بداره واعتقل وفدا من أشرف بجاية كانوا ببابه ، ثم راجع شيوخ بجاية بصائرهم وتداركوا أمرهم في الرجوع الى طاعة السلطان أبي عنان واتفق رأيهم على أن يرقعوا هذا الحرق ويسدوا هذه الثلمة برأس الحاجب فارح وصنهاجة الثائرين معه ، وداخلهم في ذلك القائد هلال مولى ابن سيد الناس ولما عزموا على أمرهم دعوا الحاجب فارحا الى المسجد ليفاوضوه فيما نزل بهم فأحس بالشر ولجأ الى دار الشيخ أبي العباس أحمد بن ادريس البجائي امام بجاية ومفتيها ، فاقترحوا عليه الدار وباشره مولاه محمد بن سيد الناس بطعنة فأنفذه ورمى بشلوه من أعلا الدار ، فاحتزوا رأسه وبعثوا به الى السلطان أبي عنان وفر منصور بن ابراهيم بن الحاج وقومه صنهاجة عن البلد ، وسرح السلطان أبو عنان اليها حاجبه أبا عبد الله محمد بن أبي عمرو في الكتائب فدخلها فاتح سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، وذهبت صنهاجة في كل وجه ولحق أصحاب الفعلة منهم بتونس وتقبض الحاجب ابن أبي عمرو على جماعة من غوغاء بجاية المتهمين بالخوض في الفتنة يناهزون المائتين فاعتقلهم وأركبهم الاسطول الى المغرب فأطمأن الناس وسكنوا ، وتوافت لديه وفود الدواودة من كل جهة فأجزل

صلاتهم ، ووفد عليه عامل الزاب يوسف بن مزني فأكرم وفادته ، ثم ارتحل الى تلمسان غرة جمادى الاولى من السنة ومعه شيوخ الذواودة ووجوه بجاية قال ابن خلدون : وكنت يومئذ في جملتهم فجلس السلطان للوفد وعرض ما جنب اليه من الجياد والهدايا وكان يوما مشهودا ، وانصرفوا الى مواطنهم فاتح شعبان من السنة المذكورة ، قال : وانقلبت مع الحاجب بعد اسناء الجائزة والخلع والحملان من السلطان والوعد الجميل بتجديد ما الى قومي بلدي من الاقطاعات ، ولما احتل الحاجب ابن أبي عمرو ببجاية ضبط أمرها وأقام أودها وألح على قسنطينة بترديد البعوث وتجهيز الكتائب الى أن أذعنوا للطاعة ومكنوه من تاشفين ابن السلطان أبي الحسن المنسوب هناك للفتنة وأوفد أبو زيد الحفصي صاحب قسنطينة ابنه على السلطان أبي عنان فقبل وفادته وشكر سعيه وانكفأ الحاجب ابن أبي عمرو الى بجاية وأقام بها الى أن هلك في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة فذهب حميد السيرة عند أهل البلد ، وعقد السلطان أبو عنان على بجاية لعبد الله بن علي بن سعيد أحد وزرائه فنهض اليها في ربيع من سنة ست وخمسين المذكورة فاستقر بها وسلك سنن الحاجب قبله وسيرته وجهاز العساكر الى حصار قسنطينة الى أن كان من فتحها ما نذكره بعد ان شاء الله



خروج ابي الفضل ابن السلطان ابي الحسن ببلاد السوس

ثم مقتله عقب ذلك



قد تقدم لنا أن السلطان أبا الحسن لما ركب البحر من تونس الى المغرب عقد على تونس لابنه أبي الفضل هذا ، وانه لما أقلع عنها ثار أهل البلد وشيعة الحفصيين عليه فأخرجوه عنها ولحق بأبيه فكان معه الى أن هلك وخلص الامر الى السلطان أبي عنان فلحق به هو وأخوه أبو سالم ، ففكر أبو عنان في أمرهما وخشى عاقبة ترشيحهما فأشخصهما الى الاندلس ليكونا مع الغزاة

والقراية في ايلة السلطان أبي الحجاج يوسف بن الاحمر ثم ندم على ذلك ولما استولى على تلمسان والمغرب الاوسط ورأى أن قد استفحل أمره واعتز سلطانه أنفذ الرسل الى أبي الحجاج في أن يشخصهما اليه لان مقامهما عنده أحوط لجمع الكلمة بخلاف ما اذا غابا عن حضرته ، وخشى أبو الحجاج غائلته عليهما فأبى من اسلامهما اليه وأجاب الرسل بأنه لا يخفر ذمته ولا يسيء جوار المسلمين المجاهدين لديه ، فغضب السلطان أبو عنان لذلك وقام وقعد وأمر حاجبه ابن أبي عمرو أن يكتب اليه ويبالغ في التوبيخ واللوم ففعل الحاجب المذكور

قال ابن خلدون : وقد أوقفني الحاجب على ذلك الكتاب بجاية فقضيت عجبا من فصوله وأغراضه ، ولما قرأه أبو الحجاج ابن الاحمر دس الى أبي الفضل وكان أكبر الاخوين باللحاق بالطاغية وكانت بينهما ولاية ومخالصة فنزع اليه أبو الفضل وجهاز الطاغية له أسطولا أركبه فيه وأنزله بساحل السوس من أرض المغرب ، ونذر السلطان أبو عنان بذلك فأوعز الى قائد أسطوله باعتراض أسطول الطاغية فاعترضه وأوقع به وكتب ابن الاحمر أثناء ذلك كتابا الى السلطان أبي عنان يعتذر عن أمر أبي الفضل من انشاء وزيره لسان الدين ابن الخطيب ونصه :

«المقام الذي شهد الليل والنهار بأصالة سعادتته وجرى الفلك الدوار بحكم ارادته وتعود الظفر بمن يناويه فاطرد والحمد لله جريان عادته فويله متحقق لا فادته وعدوه مرتقب لا بادته وحلل الصنائع الالهية تضافو على اعطاف مجادته مقام محل أخينا الذي سهم سعده صائب وأمل من كاده خاسر خائب وسير الفلك المدار في مرضاته دائب وصنائع الله تعالى له تصحبها الالطاف العجائب فسيان شاهد منه في عصمة وغائب السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى مسدد السهم ماضى العزم، تجل سعوده عن تهور الوهم ولا زال مرهوب الحد ممثل الرسم موفور الحظ من نعمة الله تعالى عند تعدد القسم ، فائزا بفلج الخصام عند لد الخصم معظم قدره وملتزم بره مبتهيج بما يسببه الله تعالى له من اعزاز نصره واظهار أمره

فلان ، سلام كريم طيب بر عميم ، يخص مقامكم الاعلى ، ومثابنتكم الفضلى التى
 حازت فى الفخر الامد البعيد وفازت من التأييد والنصر بالخط السعيد
 ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى فسح لملككم الرفيع فى
 العزمى وعرفه عوارف آلائه وعوائد النصر على أعدائه يوما وغدا
 وحرس سماء علائه بشهب من قدره وقضائه فمن يستمع الآن يجد له
 شهابا رسدا ، وجعل نجاح آماله وحسن مآله قياسا مطردا فرب يريد
 صر ض نفسه وهاد اليه الجيش أهدي وما هدى والصلاة والسلام على
 سيدنا ومولانا محمد نبيه ورسوله الذى ملأ الكون نورا وهدى وأحيا
 مراسم الحق وقد صارت طرائق قددا أعلى الانام يدا وأشرفهم محتدا
 الذى بجاهه نلبس أثواب السعادة جددا ونظف بالنعيم الذى لا ينقطع أبدا
 والرضا عن آله وأصحابه الذين رفعوا السماء سنته عمدا وأوضحوا السبيل
 اتباعه مقصدا وتقبلوا شيمه الطاهرة ركعا وسجدا سيوفا على من اعتدى
 ونجوما لمن اهتدى حتى علت فروع ملته صعدا وأصبح بناؤها مديدا مخلدا
 والدعاء لمقامكم الاسمى بالنصر الذى يتوالى مثنى وموحدا كما جمع لملككم
 ما تفرق من الالقاب على توالى الاحقاب فجعل سيفكم سفاحا وعلمكم
 منصورا ورأيكم رشيدا وعزمكم مؤيدا فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى
 لكم صنعا يشرح للاسلام خلدا ونصرا يقيم للدين الحنيفى أودا وعزما
 يملأ أفئدة الكفر كمدنا وجعلكم ممن هيا له من أمره رشدا ويسر لكم
 العافية الحسنى كما وعد به فى كتابه العزيز والله أصدق موعدا من حمراء
 غرناطة حرسها الله ولا زائد بفضل الله سبحانه الا استطاع سعودكم فى
 آفاق العناية واعتقاد جميل صنع الله فى البداية والنهاية والعلم بأن ملككم
 تحدى من الظهور على أعدائه بأية وأجرى جياذ السعد فى ميدان لا يحد
 بغاية وخرق حجاب المعتاد بما لم يظهر الا لاصحاب الكرامة والولاية
 ونحن على ما علمتم من السرور بما يهز لملككم المنصور عطفنا ويسدل عليه
 من العصمة سجفا فقاومه الارتياح لمواقع نعم الله تعالى نصفنا ونصفنا ونعقد
 بين أبناء مسرته وبين الشكر لله خلفا ونعد التشيع له مما يقربنا الى الله

زلفى ونؤمل من امداده ونرتقب من جهاده وقتا يكمل به الدين ويكفى
 ونروى غلغ النفس وتشفى والى هذا وصل الله سعدكم ووالى نصركم
 وعضدكم فانا من لدن صدر عن أخيكم أبى الفضل ما صدر من الانقياد
 لخدع الآمال والاعتزاز بموارد الآل وقال رأيه فى اقتحام الاحوال
 وتورط فى هفوة حار فيها حيرة أهل الكلام فى الاحوال وناصب من أمركم
 السعيد جبلا قضى الله له بالاستقرار والاستقلال ومن ذا يزاحم الاطواد
 ويزحزح الجبال وأخلف الظن منا فى وفائه وأضر عملا استأثر عنا باخفائه
 واستعان من عدو الدين بمعين فلا ورى لمن استنصر به زند ولا خفق لمن
 تولاه بالنصر بند وان الطاغية أعانه وأنجده ورأى أنه سهم على المسلمين
 سدده وعضب للفتنة جرده فسخر له الفلك وأمل أن يستخدمه بسبب
 ذلك الملك فأورده الهلك والظلم الحلك علمنا أن طرف سعاده كتاب
 وسحائب آماله غير ذات انسكاب وقدم عزته لم يستقر من السداد فى غرز
 ركاب فان نجاح أعمال النفوس مرتبط بنياتها وغايات الامور تظهر فى
 بداياتها وعوائد الله تعالى فىمن نازع قدرته لاتجهل ومن غالب أمر الله
 خاب منه المعول فىنما نحن نرتقب خسار تلك الصفقة المعقودة وخمود
 تلك الشعلة الموقودة وصلنا كتابكم يشرح الصدور ويشرح الاخبار
 ويهدى طرف المسرات على أكف الاستبشار ويعرب بلسان حال المسارعة
 والابتدار عن الود الواضح وضوح النهار والتحقق بخلوصنا الذى يعلمه
 عالم الاسرار فأعاد فى الافادة وأبدا وأسدى من الفضائل الجلائل ما
 أسدى فعلم منه مآل من رام يقده زند الشتات من بعد الالتام ويشير
 عجاجة المنازعة من بعد ركوب القتام هيهات تلك قلادة الله تعالى التى
 ما كان ليركها بغير نظام ولم يدر أنكم نصبتم له من الحزم حباله لايفلتها
 قنيص وسددتم له من السعد سهما ماله عنه من محيص بما كان من ارسال
 جوارح الاسطول السعيد فى مطاره حائلا بينه وبين أوطاره فما كان الا
 التسمية والارسال ثم الامساك والقتال ثم الاقتيات والاستعمال فىاله من
 زجر استنطق لسان الوجود مجدله واستنصر البحر فخذله وصارع القدر

فجدله لما جدله وان خدامكم استولوا على ما كان فيه من مؤمل غاية بعيدة
 ومنتسب الى نسبة غير سعيدة وشانئ غمرته من الكفار خدام الماء وأولياء
 النار تحكمت فيهم أطراف العوالى وصدور الشفار وتحصل منهم من
 تخطاه الحمام فى قبضة الاسار فعجبنا من تيسير هذا المرام واخمد الله
 لهذا الضرام وقلنا تكييف لا يحصل فى الاوهام وتسديد لا يستطيع اصابته
 السهام كلما فدح الخلاف زندا أطفأ سعدكم شعلته أو أظهر الشتات ألسنا
 أبرأ يمن طائرکم علة ماذاك الالية صدقت معاملتها فى جنب الله تعالى
 وصحت واسترسلت بركتها وسحت وجهاد نذرتموه اذا فرغت شواغلکم
 وتمت واهتمام بالاسلام يكفيه الخطوب النى أهمت فنحن نهنيكم بمنح الله
 ومنه ونسأله أن يلبسکم من اعاتته أوقى جنه فأملنا أن تطرد آمالکم
 وتنجح فى مرضات الله أعمالکم فمقامکم هو العمدة التى يدافع العدو
 بسلاحها وتبليج ظلماته بصفاحها وكيف لانهنئکم بصنع على جهتنا يعود
 وبشابقنا تطلع منه السعود فتيقنوا ما عندنا من الاعتقاد الذى رسومه فد
 استقلت واكفت وديمه بساحة الود قد وكفت والله عز وجل يجعل لكم
 الفتوح عادة ولا يعدمکم عناية وسعادة وهو سبحانه يعلى مقامکم وينصر
 أعلامکم ويهنى الاسلام أيامکم والسلام الكريم يخصکم ورحمة الله
 وبركاته اه

ولما نزل أبو الفضل بساحل السوس لحق بعبد الله السكسيوى صاحب
 الجبل المنسوب اليه ودعا لنفسه ، وكان ذلك اثر مقدم الحاجب ابن أبى
 عمرو من فتح بجاية سنة أربع وخمسين وسبعمائة ، فجهز السلطان أبو عنان
 اليه عسكره من تلمسان وعقد على حرب السكسيوى وأبى الفضل لوزيره
 فارس بن ميمون بن وردار فسار حتى نزل على جبل السكسيوى وأحاط به
 وأخذ بمخنقه واخط مدينة لمسكره وتجمير كتابه بسفح ذلك الجبل
 سماها القاهرة ، ولما اشتد الحصار على السكسيوى بعث الى الوزير يسأله
 الرجوع الى طاعته المعروفة وأن ينبذ العهد الى أبى الفضل ، ففارقه وانتقل
 الى جبال المصامدة ، ودخل الوزير فارس أرض السوس فدوخ أقطارها ومهد

أكنافها وسارت الالوية والجيوش فى جهاتها ورتب المسالح فى ثغورها
وأمصارها

وسار أبو الفضل يتنقل فى جبال المصامدة الى أن انتهى الى صناكة وألقى
بنفسه على ابن الحميدى منهم مما يلى بلاد درعة فأجاره وقام بأمره ونازله
عامل درعة يومئذ عبد الله بن مسلم الزردالى من مشيخة بنى عبد الواد كان
السلطان أبو الحسن رحمه الله قد اصطنعه أيام فتحه لتلمسان فاستقر فى
دولتهم واندرج فى صنائعهم ، فأخذ بمخنق ابن الحميدى وأرهبه بوصول
العساكر والوزراء اليه ، وداخله فى التقبض على أبى الفضل وأن يبذل له من
المال فى ذلك ما أحب ، فأجاب ولاطف عبد الله بن مسلم الامير أبا الفضل
ووعده من نفسه الدخول فى الامر وطلب لقاءه ، فركب اليه أبو الفضل ولما
استمكن منه ابن مسلم تقبض عليه ودفع لابن الحميدى ما اشترط له من المال
وأشخصه معتقلا الى أخيه السلطان أبى عنان سنة خمس وخمسين وسبعمائة
فأودعه السجن وكتب بالفتح الى القاصية ثم قتله ليلال يسيرة من اعتقاله خنقا
بمحبيه وانقضى أمر الخوارج وتمهدت الدولة الى أن كان ما نذكره ان
شاء الله



وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطاننا الغنى بالله

على السلطان أبى عنان رحمهم الله



كان السلطان أبو الحجاج يوسف بن الاحمر قد أوفد وزيره لسان
الدين ابن الخطيب على السلطان أبى عنان اثر مهلك السلطان أبى الحسن
معزيا له بمصابه ، فقدم ابن الخطيب وأدى الرسالة وجلى فى أغراض تلك
السفارة وعاد الى غرناطة ، ثم هلك السلطان أبو الحجاج سنة خمس
وخمسين وسبعمائة بمصلى عيد الفطر وهو ساجد طغنه بعض الزعانف
فأصماه لوقته ، وبايع الناس ابنه محمد بن يوسف الغنى بالله وقام بأمر دولته

مولاه رضوان الراسخ القدم فى قيادة عساكرهم وكفالة الاصل
واستبد بالامر وانفرد ابن الخطيب بوزارته كما كان لابييه من
لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفا لرضوان فى امره
الاستبداد معا ، فجرت الدولة على أحسن حال ، ثم أن السلطان
وزيره ابن الخطيب سفيرا عنه الى السلطان أبى عنان مستمدا
الطاغية على عادة سلفه فى ذلك ، قال ابن الخطيب : لما أشره
فاس فى غرض هذه الرسالة خاطبني الخطيب الرئيس أبو عبد
مرزوق التلمساني بمنزل الشاطبي على مرحلة منها بما نصه :
ياقادم وافي بكل نجاح أبشر بما تلقاه م
هذى ذرى ملك الملوك فلذ بها تل المنى وتفز بك
مغنى الامام أبى عنان يضمن تظفر بحر بالندا
من قاس جود أبى عنان فى الندا بسواه قاس البحر
ملك يفيض على العفاة نواله قبل السؤال وقبل
فلجود كعب وابن سعد فى الندا ذكر محاه عن :
ما أن سمعت ولا رأيت بمثلته من أريحي للندا
بسط الامان على الانام فأصبحوا قد ألحفوا منه بض
وهمى على العافين سيب نواله حتى حكى سح ا
فنواله وجلاله وفعاله فافت وأعيت السن
وبه الدنا أضحت تروق وأصبحت كل المنى تنقاد به
من كان ذا ترخ فرؤية وجهه متلافة الاحزان
فانهض أبا عبد الاله تفز بما تبغيه من أمل ون
لا زلت ترتشف الامانى راحة من راحة المولى

فالحمد لله يا سيدى وأخى على نعمه التى لاتحصى ، -

جميعنا المقصد الاسنى فيبلغ الامد الاقصى ، فطالما كان معظم
فى خيال وللأسف بين اشتغال بال واشتغال بلبال ولقدو
المحل المولوى فى ارتقاب ولمواعيدكم بذلك فى تحقق وقوعه

ولا ارتياب ، فها أنت تجتنى من هذا المقام العلى بتشيعك وجوه المسرة صباحا
وتتلقى أحاديث مكارمه ومواهبه مسندة صحاحا بحول الله تعالى ولسيىدى
الفضل فى قبول مركوبه الواصل اليه بسرجه ولجامه فهو من بعض ما لدى
المعظم من احسان مولاه وانعامه ولعمري لقد كان وافد على سيدى فى
مستقره مع غيره فالحمد لله الذى يسر فى ايصاله على أفضل أحواله
قال ابن الخطيب : فراجعته بما نصه :

راحت تذكرنى كؤس الراح	والقرب يخفض للجنوح جناح
وسرت تدل على القبول كأنما	دل النسيم على انبلاج صباح
حسنا قد غنيت بحسن صفاتها	عن دملج وقلادة ووشاح
أمست تحض على اللياد بمن جرت	بسعوده الأقلام فى الالواح
بخليفة الله المؤيد فارس	شمس المعالى الازهر الوضاح
ما شئت من شيم ومن همم غدت	كالزهر أو كالزهر فى الادواح
فضل الملوك فليس يدرك شأوه	أنى يقاس العمر بالضحاح
أسنى بنى عباسهم بلوائه الـ	منصور أو بحسامه السفاح
وغدت مغانى الملك لما حلها	تزرى بدر هدى وبحر سماح
وحياة من أهداك تحفة قدام	فى العرف منها راحة الارواح
ما زلت أجعل ذكره وثناءه	روحي وريحانى الاريح وراح
ولقد تمازج حبه بجوارحى	كتمازج الاجسام بالارواح
ولو أننى أبصرت يوما فى يدى	أمرى لطرت اليه دون جناح
فلان ساعدنى الزمان وأيقنت	من قربه نفسى بفوز قـداح
ايه أبا عبد الاله وانسه	لنداء ود فى علاك صـراح
أما اذا استجدتنى من بعد ما	ركدت لما جنت الخطوب رياح
فاليكها مهزولة وأنا امرؤ	قررت عجزى واطرحت سلاح

سيدى أبقاك الله لعهد تحفظه ، وولاء بعين الوفاء تلحظه ، وصلتني رقتك
التي ابتدعت وبالحق من مولى الخليفة صدعت والفتنى وقد سطت بي
الايحال حتى كادت تتلف الرحال والحاجة الى الغداء قد شممت عن
(الاستقفا - ثالث - 13)

كنسح البطين وثانية العجمواين قد توقع فوات وقتها وان كانت صلاتها صلاة الطين والفكر قد غاض معينه وضعف وعلى الله جزاء المولى الذى يعينه ، فغزتى بكتيبة بيان اسدها هسور وعلمها منصور وألفاظها ليس فيها قصور ومعانيها عليها الحسن مقصور واعتراف مثلى بالعجز فى المضايق حول ومنة وقول لا أدرى للعالم فكيف بغيره جنة لكنها بشرتى بما يقل مؤديه بذل النفوس وان جلت وأطلعتنى من السراء على وجه نحسده الشمس اذا تجلت بما أعلمتنى به من جميل اعتقاد مولانا أمير المؤمنين أيده الله فى عبده وصدق المخيلة فى كرم مجده وهذا هو الجود المحض والفضل الذى شكره هو الفرض وتلك الخلافة المولوية تتصف بصفات من يبدأ بالنوال من قبل الضراعة والسؤال من غير اعتبار للأسباب ولا مجازات للأعمال نسأل الله تعالى أن يبقى منها على الإسلام أوفى الظلال ويبلغها من فضله أقصى الآمال ووصل ما بعثه سيدى صحبتها من الهدية والتحفة الودية وقبلتها امتثالا واستجليت منها عتقا وجمالا وسيدى فى الوقت أنسب باتخاذ ذلك الجنس وأقدر على الاستكثار من اناث البهم والانس وأنا ضعيف القدرة غير مستطيع لذلك الا فى الندره فلو رأى سيدى ورأيه سداد وقصده فضل ووداد أن ينقل القضية الى باب العاريسه من باب الهبة مع وجود الحقوق المترتبة لبسط خاطرى وجمعه وعمل فى رفع المؤنة على شاكلة حالى معه وقد استصحتت مركوبا يشق على هجره ويناسب مقامى شكله ونجره ، وسيدى فى الاسعاف على الله أجره ، وهذا أمر عرض وفرض فرض ، وعلى نظره المعول ، واعتماد أعضائه هو المعقول الاول والسلام على سيدى من معظم قدره وملتزم بره ابن الخطيب فى ليلة الاحد السابع والعشرين لذي القعدة سنة خمس وخمسين وسبعمائة والسماء قد جادت بمطر سهرت منه الاجضان وظن أنه طوفان واللحاق فى غدها بالباب المولوى مؤمل بحول الله» اهـ

ولما قدم الوزير المذكور على السلطان المذكور تقدم الوفد الذين معه من وزراء الاندلس وفقهائها ومثل بين يديه واستأذنه فى انشاد شىء من الشعر

يقدمه بين يدي نجواه فاذن له وأنشد وهو قائم :

خليفة الله ساعد القدر علاك ما لاح في الدجا قمر
ودافعت عنك كف قدرته ما ليس يستطيع دفعه البشر
وجهك في النائبات بدر دجا لنا وفي المحل كفك المطر
والناس طرا بأرض أندلس لولاك ما أوطنوا ولا عمروا
ومن به مذ وصلت جبلهم ما جحدوا نعمة ولا كفروا
وجملة الامر انه وطن في غير عليك ما له وطر
وقد أهمتهم نفوسهم فوجهوني اليك وانتظروا

فاهتز السلطان أبو عنان لهذه الابيات وأذن له في الجلوس وقال له قبل أن يجلس : « ما ترجع اليهم الا بجميع طلباتهم » ثم أدى الرسالة ودفع الكتاب ولما عزموا على الانصراف أنقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع ما طلبوه قال ابن خلدون: قال شيخنا القاضي أبو القاسم الشريف وكان معه في ذلك الوفد « لم نسمع بسفير فضى سفارته قبل أن يسلم على السلطان الا هذا » ونص الكتاب الذي قدم به ابن الخطيب : «المقام الذي يغنى عن كل مفقود بوجوده ويهز الى جميل العوائد أعطاف بأسه وجوده ونستضيء عند اظلام الخطوب بنور سعوده ونرت من الاعتماد عليه أسنى ذخريته الولد عن آبائه وجدوده مقام محل أبيننا الذي رعى الازمة شأنه وصلة الراعى سجية انفرد بها سلطانه ومواعيد النصر ينجزها زمانه والقول والفعل في ذات الله تعالى تكفلت بهما يده الكريمة ولسانه وتطابق فيهما اسراره واعلانه السلطان الكذا ابن السلطان الكذا ابن السلطان الكذا أبقاه الله تعالى محروسا من غير الايام جنابه موصولة بالوقاية الالهية أسبابه مسدولا على ذاته الكريمة ستر الله تعالى وحجابه مصروفا عنه من صروف القدر ما يعجز عن رده بوابه ولا زال ملجأ تنفق لديه الوسائل التي تدخرها لاولادها أولياؤه وأحبابه ويسطر في صحف الفخر ثوابه وتشتمل على مكارم الدين والدنيا أثوابه وتتكفل بنصر الاسلام وجبر القلوب عند طوارق الايام كتابه وكتابه معظم ما عظم من حقه السائر من اجلاله وشكر خلاله

على لاجب طرقة المستضىء فى ظلمة الخطب بنور أفقه الامير عبد الله محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج ابن أمير المسلمين أبى الوليد بن فرج ابن نصر سلام كريم بر عميم يخص مقامكم الاعلى ورحمة الله تعالى وبركاته أما بعد حمد الله الذى لاراد لامرد ولا معارض لفعله مصرف الامر بقدرته وحكمته وعدله الملك الحق الذى بيده ملاك الامر كله مقدر الآجال والاعمار فلا يتأخر شىء عن ميقاته ولا يبرح عن محله ، جاعل الدنيا مناخ نقلة ، لا يغتبط العاقل بمائه ولا بظله ، وسبيل رحلة فما أكثب ظغنه من حله والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد صفوة خلقه وخيرة أنبائه وسيد رسله الذى نعصم بسببه الاقوى وتمسك بحبله ونمد يد الافتقار الى فضله ونجاهد فى سبيله من كذب به أو حاد عن سبيله ونصل اليه ابتغاء مرضاته ومن أجله والرضا عن آله وأحزابه وأنصاره وأهله المستولين من ميدان الكمال على خصله والدعاء لمقامكم الاعلى بغز نصره ومضاء فضله فانا كتبناه اليكم كتب الله تعالى لكم وقاية لاتطرق الخطوب حماها وعصمة ترجع عنها سهام النوائب كلما فوقها الدهر ورماما ، وعناية لا تغير الحوادث اسمها ولا مسماها وعزا يزاحم أجرام الكواكب منتماها من حمراء غرناطة حرسها الله تعالى ونعم الله سبحانه تتواتر لدينا دفعا ونفعا وألطفه تتعرفها وترا وشفعا ومقامكم الابوى هو المستند الاقوى والمورد الذى ترده آمال الاسلام فتروى وتهوى اليه أفدتهم فتجد ما تهوى ومثابتمك العدة التى تأسست مبانيها على البر والتقوى والى هذا وصل الله تعالى سعدكم وأبقى مجدكم فانا لما نعلم من مساهمة مجدكم التى يقتضيها كرم الطباع وطباع الكرم وتدعو اليها ذمم الرعى ورعى الذمم ، نعرفكم بعد الدعاء لملككم بدفاع الله تعالى عن ارتقائه وامتاع المسلمين ببقائه بما كان من وفاة مولانا الوالد نفعه تعالى بالسعادة النى ألبسه حلتها والشهادة التى فى أعماله الزكية كتبها والدرجة العالية التى حتمها له وأوجبها وبما تصير لنا من أمره وضم بنا من نشره وسدل على من خلفه من ستره وانها لعبرة لمن ألقى السمع وموعظة تهز الجمع وترسل الدمع وحادثة أجمل الله تعالى فيها الدفع وشرح مجملها وان

أخرس اللسان هولها وأسلم العبارة قوتها وحولها انه رضى الله تعالى عنه لما برز لاقامة سنة هذا العيد مستشعرا شعار كلمة التوحيد مظهرا سمة الخضوع للمولى الذى تضرع بين يديه رقاب العيد آمنا بين فومه وأهله متسر بلا فى حلال نعم الله تعالى وفضله قرير العين باكمال عزه واجتماع شمله قد احترس بأقصى استطاعته واستظهر بخلصان طاعته والاجل المكتوب قد حضر والارادة الالهية قد أنفذت القضاء والقدر وسجد بعد الركعة الثانية من صلاته أتاه أمر الله لميقاته على حين الشباب غض جلابه والسلاح زاخر عبا به والدين بهذا القطر قد أئنع بالامن جنابه وأمر من يقول للشئء كن فيكون قد بلغ كتابه ولم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعالى القلوب وخلصت الرغبات الى فضله المطلوب الاشقى قبضه الله تعالى أسعاده غير معروف ولا منسوب وخيىث لم يكن معتبر ولا محسوب نخلل الصفوف المعقودة وتجاوز الابواب المسدودة وخاض الجموع المشهودة والامم المحشورة الى طاعة الله المحشودة لاتدل العين عليه شارة ولا بزة ولا تحمل على الحذر من مثله أنفة ولا عزة وانما هو خيىث ممرور وكلب عقور وحية سمها وحى محذور وآله مصرفة لينفذ بها قدر مقدور فلما طعنه وأثبته وأعلق به شرك الحين فما أفلته قبض عليه من الخلصان الاولياء من خبر ضميره وأحكم تقريره فلم يجب عند الاستفهام جوابا يعقل ولا عثر على شئء عنه ينقل لطفنا من الله أفاد براءة الذم وتعاورته للحين أيدي التمزيق وأتبع شلوه بالتحريق واحتمل مولانا الوالد رحمه الله الى القصر وبه ذمء لم يلبث بعد الفتكة العمرية الا أيسر من اليسير وتخلف الملك بنظر من الطرف الحسير وينهض بالجناح الكسير وقد عاد جمع السلامة الى جمع التكسير الا أن الله تعالى تدارك هذا القطر الغريب أن أقامنا مقامه لوقته وحينه ورفع عماد بناء ملكه ولما شعث دينه وكان جميع من حضر المشهد من شريف الناس ومشروفهم وأعلامهم ولفيفهم قد جمعه ذلك الميقات وحضر الاولياء الثقات فلم تختلف علينا كلمة ولا شذت منهم عن بيعتنا نفس مسلمة ولا أخيف برى ولا حذر جرى ولا فرى فرى

ولا وقع لبس ولا استوحشت نفس ولا نبض للفتنة عرف ولا أغفل
للدين حق فاستند النقل الى نصه ولم يعد من فقيدنا غير شخصه وبادرنا
الى مخاطبة البلاد نمهدا ونسكنها ونقرر الطاعة فى النفوس ونمكنها
وأمرنا الناس بها بكف الايدي ورفع التعدى والعمل من حفظ شروط المسالمة
المقودة بما يجدى ومن شره منهم للفرار عاجلناه بالانكار وصرفنا على
النصارى ما أوصاه مصحبا بالاعتذار وخاطبنا صاحب قشتالة نرى ما عنده فى
صلة السلم الى أمدها من الاخبار واتصلت بنا البيعات من جميع الافطار وعفى
على حزن المسلمين بوالدنا ما ظهر عليهم بولايتنا من الاستبشار واستبقوا
تطير بهم أجنحة الابتدار جعلنا الله تعالى ممن قابل الحوادث بالاعتبار
وكان على حذر من تصارييف الاقدار واختلاف الليل والنهار وأعاننا على
اقامة دينه فى هذا الوطن الغريب المنقطع بين العدو الطاغى والبحر الزخار
وألهمنا من شكره ما يتكفل بالمزيد من نعمه ولا قطع عنا عوائد كرمه وان
فقدنا والدنا فانتتم لنا من بعده الوالد والذخر الذى تكرم منه العوائد والحب
يتوارث كما ورد فى الاخبار التى صحت منها الشواهد ومن أعد مثلكم
لبنيه فقد تسرت من بعد الممات أمانيه وتأسست قواعد ملكه وتشيدت
مبانيه فالاعتقاد الجميل موصول والفروع لها فى التشيع اليكم أصول
وفى تقرير فخركم محصول وأنتم رداء المسلمين بهذه البلاد المسلمة الذى
يعينهم بارفاده وينصرهم بانجاده ويعامل الله تعالى فيها بصدق جهاده وعند
ما استقر هذا الامر الذى تبعت المحنة فيه المنحة وراقت من فضل الله تعالى
ولطفه فيه الصفحة وأخذنا البيعة من أهل حضرتنا بعد استدعاء خواصهم
وأعيانهم وتزاحمت على رقعها المنشور خطوط أيمانهم وتأصلت قواعد
ألفاظها ومعانيها فى قلوبهم وآذانهم وضمنوا الوفاء بما عاهدوا الله عليه وقد
خبر سلفنا والحمد لله وفاء ضمانهم بادرنا تعريف مقامكم الذى نعلم مساهمته
فيما ساء وسر وأحلى وأمر عملا بمقتضى الخلوص الذى ثبت واستقر
والحب الذى ما مال يوما ولا ازور وما أحق تعريف مقامكم بوقوع هذا
الامر المحذور وانجلاء ليله عن صبح الصنع البادى السفور وان كنا قد

خاطبنا من خدامكم من يبادر اعلامكم بالامور الا انه امر له ما بعده
وحادث يأخذ حده ونبعث الى بابكم من شاهد الحال ما بين وفوعها الى
استقرارها رأى العيان وتولى تسديد الامور بأعماله الكريمة ومقاصده
الحسان ليكون أبلغ في البر وأشرح للصدر وأوعب للبيان فوجهنا اليكم
وزير أمرنا وكاتب سرنا الفقيه الاجل أبا عبد الله محمد بن الخطيب
وألقينا اليه من تقرير تعويلنا على ذلك المقام الاسنى واستنادنا من التشيع
اليه الى الركن الوثيق المبني ما نرجو أن يكون له فيه المقام الاغنى والنمرة
العذبة المجنى فلاهتمامه بهذا الغرض الاكيد الذى هو أساس بنائنا وفامع
أعدائنا آثرنا توجيهه على توفر الاحتياج اليه ومضار الحال عليه والمرغوب
من أبوتكم المؤملة أن يتلقاه فبولها بما يليق بالملك العالى والخلافة السامية
المعالى والله عز وجل يديم أيامكم لصلة الفضل المتوالى ويحفظ مجدكم من
غير الايام والليالى وهو سبحانه يصل سعدكم ويحرس مجدكم ويوالى
نصركم وعضدكم والسلام الكريم يخضعكم ورحمة الله وبركاته اه
وللسلطان الغنى بالله هذا مع السلطان أبى عنان رحمهما الله مراسلات
عديدة ومكاتبات مديدة قد ذكر صاحب نفع الطيب منها جملة وافرة مع
التنبيه على أسبابها فانظرها فيه ان شئت وأكرم السلطان أبو عنان الوزير ابن
الخطيب فى هذه الوفادة وغيرها اكراما بليغا ولما انصرف عنه مدحه بقصيدة
طويلة طنانة يقول فى أولها :

أبدى لداعى الفوز وجه منيب وأفاق من عذل ومن تانيب
ويقول فى أثنائها :

يا ناصر الدين الحنيف وأهله انضاء مسغبة وفل خطوب
حقق ظنون بنيه فيك فانهم يتعللون بوعدك المرقوب
ضاقت مذاهب نصرهم فتعلقوا بجناب عز من علاك رحيب
ودجا ظلام الكفر فى آفاقهم أوليس صبحك منهم بقريب
فانظرو بعين العز من ثغر غدا حذر العدا يرنو بطرف مريب
نادتك أندلس ومجدك ضامن ألا يخيب لديك ذو مطلبوب

وهى طويلة .

وفى سنة ست وخمسين وسبعمائة انتقض على السلطان أبى عنان وزيره
وصاحب شوره عيسى بن الحسين بن على بن أبى الطلاق من شيوخ بنى
مرين ووجهها ، وكان السلطان أبو عنان قد استعمله على جبل طارق فتمكنت
رياسته به وانتقض على السلطان لاسباب يطول شرحها ، ثم التأت حاله
وضاقت مذاهبه فقبض عليه وأحضر بين يدي السلطان أبى عنان هو وابنه يوم
منى من سنة ست وخمسين المذكورة فتنصلا واعتذرا فلم يقبل منهما
وأودعهما السجن وضيق عليهما ، ولما كان آخر السنة أمر بهما فجنبا الى
مصارعهما وقتل عيسى قعصا بالرماح وقطع ابنه أبو يحيى من خلاف وأبى
من مداواة قطعه فلم يزل يتخبط فى دمه الى أن هلك بعد ثلاثة أيام من قطعه
وعقد السلطان على جبل طارق وسائر ثغور الاندلس لسليمان بن داوود ، ثم
عقد بعده لولده أبى بكر السعيد وهو الذى تولى الملك بعده والله أعلم



رحلة السلطان أبى عنان إلى سلا وتطارحه (*) على وليها الاكبر أبى العباس ابن عاشر رضى الله عنه



كان لبني مرين عموما وللسلطان أبى عنان خصوصا جنوح الى الخير
ومحبة فى أهله وتعرض لمن يشار اليه بالصلاح واستمطار لطله ووبله ، وكان
الشيخ الاشهر أبو العباس أحمد بن عاشر الاندلسى رضى الله عنه قد
استوطن فى هذا التاريخ مدينة سلا ، وكان من الافراد الجامعين بين العلم
والعمل المتمسكين بالكتاب والسنة ، الناهجين سنن السلف الصالح فى الزهد

(*) ما وقع لابي عنان مع ابن عاشر وقع نظير لالمولاي اسماعيل العلوى مع سيدى
أحمد بن محمد بن عبد الله معز الاندلسى راجع ذلك فى الجزء الاول من المقصد الاحمد
لسيدى عبد السلام القادري ص . ١٥٠ وما يليها فإنه مما يحسن الوقوف عليه والتنظير به
رحم الله الجميع والله درالقائل: فقل لملوك الارض تجهد جهدها * فذا الملك ملك لا يباع ولا يهدى

والورع والانقطاع عن الخلق جملة بحيث طار ذكره وعظم لدى الخاص والعام قدره ، فتحركت هممة السلطان أبي عنان لزيارته والاقباص مما يفتح الله به من وعظه واشارته ، فارتحل سنة سبع وخمسين وسبعمائة الى سلا فقدمها وحرص على الاجتماع بالشيخ المذكور ووقف ببابه مرارا فلم يأذن له وترصده يوم الجمعة بعد الصلاة ولما انفض الناس تبعه على قدميه والناس ينظرون اليه وهو لا يراه فقال السلطان عند ذلك لقد منعنا من هذا الولي ، ثم أرسل اليه ولده راغبا ومستعظفا فأجابه بما قطع رجاءه من لقائه غير أنه كتب اليه كتابا وعظه فيه وذكره فسر السلطان أبو عنان بذلك الكتاب وحزن لما فاته من الاجتماع بالشيخ ، وقد ذكر الفقيه العلامة البركة أبو العباس أحمد ابن عاشر بن عبد الرحمن السلاوي المدعو بالحافي في كتابه «تحفة الزائر في مناقب الشيخ ابن عاشر» نص هذا الكتاب ولم يحضرني الآن فانظره فيه وبالله تعالى التوفيق



غزوة السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها



لما كان أيام التشريق من سنة سبع وخمسين وسبعمائة اعترم السلطان أبو عنان على النهوض الى افريقية واضطرب معسكره بساحة فاس الجديد ، وبعث في الحشد الى مراکش وأوعز الى بنى مرين بأخذ الابهة للسفر وجلس للعتاء وعرض الجنود من لدن عزمه على النهوض الى شهر ربيع الاول من سنة ثمان وخمسين بعدها ، ثم ارتحل من فاس وسرح في مقدمته وزيره فارس بن ميمون في العساكر وسار هو في ساقته على التعية الى أن احتل ببجاية وتلوم لازاحة العلل ، ثم نازل الوزير قسنطينة وجاء السلطان على أثره ولما أطلت راياته وماجت الارض بجنوده دعر أهل البلد وألقوا بأيديهم الى الاذعان ، وانفضوا من حول سلطانهم أبي العباس أحمد بن محمد ابن أبي بكر الحفصي وجاءوا مهطعين الى السلطان أبي عنان ، وتحيز

الحفصى فى خاصته الى القصبة ثم طلبوا الامان من السلطان أبى عنان فبذله لهم وخرجوا وأنزلهم بمعسكره أياما ، ثم بعث بأبى العباس فى الاسطول الى سبتة فاعتقله بها ، وعقد على قسنطينة لمنصور بن الحاج خلوف اليبانى من شيوخ بنى مرين وأهل الشورى منهم وأنزله بالقصبة فى شعبان من السنة المذكورة ، ووصلت اليه بيعات أمراء الاطراف من توزر ونفطة وقابس وغيرها ، ووفد عليه أولاد مهلهل أمراء بنى كعب من سليم وأقيال بنى أبى الليل منهم يستحثونه لملك تونس فسرح معهم العساكر وعقد عليها ليحيى ابن عبد الرحمن بن تاشفين * وبعث أسطوله فى البحر مددالهم وعقد عليه للرئيس محمد بن يوسف المعروف بالابكم من أمراء بنى الاحمر

وكان سلطان تونس يومئذ أبا اسحق ابراهيم بن أبى بكر الحفصى ولما اتصل به خبر بنى مرين أخرج حاجبه أبا محمد بن تافراجين لقتالهم فزحفت الجيوش الى تونس ووصل الاسطول الى مرساها فقاتلهم ابن تافراجين يوما أو بعض يوم ثم ركب الليل الى المهديّة فتحصن بها ، ودخل أولياء السلطان الى تونس فى رمضان من سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وأفاموا بها الدعوة المرينية ، واحتل يحيى بن عبد الرحمن بالقصبة وأنفذ الاوامر وكتب الى السلطان أبى عنان بالفتح فعظم سروره ، ونظر بعد ذلك فى أحوال ذلك القطر وقبض أيدى العرب من رياح عن الاتاوة التى يسمونها الخفارة ، فارتابوا وطالبهم بالرهن عن الطاعة ، فأجمعوا الخلاف والتفوا على أميرهم يعقوب بن على ولحقوا بالزاب ؛ وارتحل السلطان فى أثرهم فأجفلوا أمامه الى القفر فخرّب حصونهم التى بالزاب ورجع عنهم وحمل له ابن مزنى عامل بسكرة والزاب جبايته وأطلق المؤن للعسكر من الادام والحنطة والحملان والعلوفة ثلاثة أيام ، وكافأه السلطان على صنيعه فخلع عليه وعلى أهله وولده وأسنى جوائزهم

ورجع الى قسنطينة واعتزم على الرحلة الى تونس ، وضافت العساكر ذرعا بشأن النفقات والابعاد فى الرحلة وارتكاب الخطر فى دخول

افريقية ، فتمشت رجالاتهم فى الانفضاض عن السلطان وداخلوا الوزير فارس بن ميمون فى ذلك فوافقهم ؛ ثم أذن شيوخ العسكر ونقباؤه لمن تحت أيديهم من القبائل فى اللحاق بالمغرب حتى يبقوا منفردين وأنهى الى السلطان أبى عنان أن شيوخ العسكر قد عزموا على قتله ونصب ادريس بن عثمان بن أبى العلاء للامر فأسرهما فى نفسه ولم يدها لهم ، ورأى فلة من معه من الجند فارتاب وكر راجعا الى المغرب بعد أن كان ارتحل عن قسنطينة الى جهة تونس مرحلتين ؛ فانكفاً وأغذ السير الى فاس فاحتل بها غرة ذى الحجة من سنة ثمان وخمسين المذكورة ، وتقبض يوم دخوله على وزيره فارس بن ميمون لانه اتهمه بمداخلة بنى مرين فى شأنه وقتله رابع أيام التشريق قعصا بالرماح ، وتقبض على مشيخة بنى مرين فاستلحمهم وأودع طائفة منهم السجن

ولما رجع السلطان أبو عنان من افريقية بلغ خبره الى الجهات ؛ فارتحل أبو محمد بن تافراجين من المهديّة الى تونس ولما أطل عليها ثارت شيعة الحفصيين على من كان بها من جيش بنى مرين فنجوا الى السفن وركبوا البحر الى المغرب ، وجاء على أثرهم يحيى بن عبد الرحمن فيمن كان معه من العساكر وأولاد مهلهل وكان يوم الهيعة بناحية الجريد لاقتضاء جبايته فصبوب الى المغرب واجتمعوا كلهم باب السلطان أبى عنان فارجأ حركته الى العام القابل وكان ما نذكره ان شاء الله .



وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية



لما رجع السلطان أبو عنان من افريقية ولم يستتم فتحها بقى فى نفسه منها سىء وخشى على ضواحي قسنطينة من يعقوب بن على ومن معه من الذواودة المخالفين فأهمه شأنهم واستدعى سليمان بن داود من مكانه بجبل طارق وعقد له على وزارته وسرحه فى العساكر الى افريقية فنهض اليها فى ربيع من سنة تسع وخمسين وسبعمائة ، وكان السلطان أبو عنان لما خالف عليه يعقوب بن

على وفر الى القصر أقام مكانه أخاه المنازع له فى رياسة رباح ميمون بن على
وقدمه على أولاد محمد من الذواودة وأحله بمكانه من رياسة البدو فنزع اليه
عن أخيه يعقوب الكثير من قومه ، وتمسك بطاعة السلطان أيضا طوائف من
أولاد سباع بن يحيى فانحاشوا جميعا للوزير ونزلوا بحلهم على معسكره
ثم ارتحل السلطان أبو عنان من فاس حتى احتل بتلمسان فأقام بها
لمشاركة أحوال الوزير المذكور واحتل الوزير بوطن قسنطينة وبعث الى عامل
بسكرة والزاب يوسف بن مزنى بأن تكون يده معه وأن يفاوضه فى أحوال
الذواودة لرسوخه فى معرفتها؛ فارتحل اليه من بسكرة ونازلوا جبل أورابن (*)
واقترضوا جبايته ومغارمه وشردوا المخالفين من الذواودة عن العيث فى الوطن فتم
غرضهم من ذلك؛ وانتهى الوزير وعساكر السلطان الى أول أوطان افريقية من آخر
مجالات رباح ، وانكفأ راجعا الى المغرب فوافى السلطان أبا عنان بتلمسان
ووصلت معه وفود العرب الذين أبلوا فى الخدمة فوصلهم السلطان وخلع
عليهم وحملهم وفرض لهم فى العطاء بالزاب وكتب لهم بذلك وانقلبوا الى
أهلهم فرحين مغتربين ، ووفد على أثرهم أحمد بن يوسف بن مزنى أوفده
أبوه بهدية الى السلطان من الخيل والرقيق والدرق فتقبلها السلطان وأكرم
وفادته ، ثم استصحبه الى فاس ليريه أحوال كرامته وليستبلغ فى الاحتفاء به
واحتل بدار ملكه منتصف ذى القعدة من سنة تسع وخمسين وسبعمائة

وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله

لما وصل السلطان أبو عنان الى دار ملكه بفاس احتل بها بين يدي العيد
الأكبر حتى اذا قضى الصلاة من يوم الاضحى أدركه المرض بالمصلى وأعجله
طائف الوجع عن الجلوس للناس يوم العيد على العادة فدخل قصره ولزم
فراشه

وذكر ابن خلدون ما حاصله : « انه كانت بين الوزير حسن بن عمر

(*) صوابها أوراس

الفودودي وبين ولي العهد أبي زيان محمد بن السلطان أبي عنان نفرة مستحكمة لسوء طويته وشر ملكته فاتفق الوزير المذكور مع من كان على رايه من أهل مجلس السلطان على تحويل الامر عنه الى غيره من ابناء السلطان فأجمعوا الفتك به والبيعة لآخيه أبي بكر السعيد طفلا خماسيا ، ثم أغروا الوزير مسعود بن عبد الرحمن بن ماساي بتطلب أبي زيان ولي العهد في نواحي القصر والتقبض عليه فدخل اليه وتلطف في اخراجه من بين الحرم وقاده الى أخيه السعيد فبايع وثل الى بعض حجر القصر فأتلقت فيها مهجته واستقل الحسن بن عمر بالامر يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى الحجة والسلطان أبو عنان أثناء ذلك يجود بنفسه ، وارقب الناس دفنه يوم الاربعاء والخميس بعده فلم يدفن فارتابوا وفشى الكلام فدخل الوزير زعموا اليه بمكانه من قصره ثم غطه حتى أتلفه ودفن(*) يوم السبت وحجب الحسن بن عمر الولد المنصوب للامر وأغلق عليه بابه وتفرد بالامر والنهي دونه « انتهى وهذا أول مرض نزل بالدولة المرينية .

وقال في الجدوة : « توفي السلطان أبو عنان قتيلا خنقه وزيره الحسن ابن عمر الفودودي يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة متم سنة تسع وخمسين وسبعمائة وسنه يوم توفي ثلاثون سنة »



بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته



كان السلطان أبو عنان رحمه الله أبيض اللون تعلوه صفرة ؛ طويل القامة يشرف على الناس بطوله نحيف البدن على الانف حسنه ؛ أعين أدعج جهورى الصوت فى كلامه عجلة حتى لا يكاد السامع يفهم ما يقول ، عظيم اللحية تملأ صدره أسودها واذا مرت بها الريح تفرقت نصفين حتى يستبين موضع الذقن ؛ وكان فارسا شجاعا يقوم فى الحرب مقام جنده ، وكان فقيها

[*] بجامع المدينة البيضاء [فاس] وكانت دولته تسعة اعوام وتسعة أشهر .

يُنَظَرُ العلماءُ الجَلَّةَ عارفاً بالمنطق وأصول الدين وله حظٌ صالحٌ من علمي العربية والحساب ؛ وكان حافظاً للقرآن عارفاً بناسخه ومنسوخه ، حافظاً للحديث عارفاً برجاله ، فصيح القلم كاتباً بليغاً ، حسن التوقيع شاعراً أنشد له صاحبُ الجذوة أشعاراً حسنة من ذلك في الحكمة قوله :

وإذا تصدر للرياسة خامل * جرت الأمور على الطريق الأعوج
وقال ابن الأحمر : « كنت يوماً جالسا معه بمقعد ملكه من المدينة البيضاء بفاس فدخل عليه رجل يتصلح فلما نظر إليه قال بديهة :

تراهم في ظواهرهم كراما ويخفون المكيدة والخداعا»

وللسلطان أبي عنان رحمه الله آثارٌ دينية من بناء المدارس والزوايا وغير ذلك ، ومدرسته العناية بفاس مشهورة إلى الآن ؛ ومن مدارس المدرسة العجبية بحومة باب حسين من سلا وقد صارت اليوم فندقاً يعرف بفندق إسكور ومما قاله أبو بكر بن جزى في بعض ما أنشأه السلطان المذكور من الزوايا قوله :

هذا محل الفضل والايثار والرفق بالسكان والزوار

دار على الاحسان شيدت والتقى فجزاؤها الحسنى وعقبى الدار

هي ملجأ للواردين ومورد لابن السيل وكل ركب سارى

آثار مولانا الخليفة فارس أكرم بها في المجد من آثار

لا زال منصور اللواء مظفرا ماضى العزائم سامى المقدار

بنيت على يد عبدهم وخديم با بهم العلى محمد بن حـ دار

في عام أربعة وخمسين انقضت من بعد سبعمئين فى الاعصار

وقال صاحب الجذوة: « حدثني شيخنا أبو راشد اليدري أن السلطان أبا

عنان هو الذى أحدث بفاس العلم الأزرق فى الصومعة يوم الجمعة »

وقال فى موضوع آخر منها : « حكى أن السلطان أبا عنان المرينى صعد الصومعة

يعنى بالقرويين ليعتبر المدينة وترتيبها ووقف على المنجاة وما اتصل بها

فاستحسن ذلك وأنعم على الناظر فيها بمرتب وسع عليه فيه ليستعين به على

القيام بشعائر الاسلام » وذلك فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة ، قال : وأمر باثر

ذلك بأن ينصب بأعلى الصومعة صارى من خشب وينشر فيه علم فى الاوقات
التي يصلى فيها ، وفنار فيه سراج مزهر فى أوقات صلاة الليل ليستدل بذلك
من بعد ومن لم يسمع النداء ، وفى ذلك اعتناء بأمور الاوقاف وما يتعلق بها من
وجوب الصلوات ويترتب عليها من وجوه الحقوق فى العادات والعبادات
ومما قيل فى ذلك

نور به علم الايمان مرتفع للمهتدين به للحق ارشاد
يأتون من كل صوب نحوه فلهم لديه للرشد اصدار وايراد
وقد لخص ابن الخطيب رحمه الله فى رقم الحلل سيرة السلطان أبى
عنان فقال :

وخلص الامر لكف فارس	باني الزوايا الكثر والمدارس
الاسد المفترس المصنوع له	من نال من كل المساعي أمله
واحد آحاد الملوك العظما	ومطلع النصر اذا ما أقدمنا
ومخجل الغيث اذا الغيث هما	وعالم الملك وملك العلمنا
أوجب حق الشعر والكتابة	فاملت أعلامها جنابه
واستجلب الامائل الكبارا	والنبهاء العلية الاخيـارا
يجبرهم على حضور الدولة	فهم بدور وشموس حولـه
وكان جبارا على خدامه	ينالهم بالقسر فى أحكامه
مذهبه ألا يقبل عشرة	حتى لارباب التقى والائـرة
فطرة السيف تناغى السـدرة	اذ غلبت على المزاج المـرة
ومات فيما قيل شر ميتة	بغيلة لنفسه مفيتـه
لم يغن عنه الباس والبسالـة	وأصبحت مهجته مسالـة
وألقت أزمة التديـر	من بعده فى راحة الوزير

ومن أعيان كـنابه : أبو القاسم بن رضوان وأبو القاسم البرجى
ومن أعيان قضاة : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد المقرئ وهو
جد أبى العباس المقرئ صاحب نفتح الطيب وغيره من التأليف الحسان ،

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي وغيرهما رحم الله الجميع (*)

(*) ذكر صاحب روضة النسرین اولاد السلطان ابی عنان فقال ! اولاده الذکور السلطان ابو زیان محمد والسلطان ابو یحیی ابو بکر السعید والسلطان موسی والمهدی بالله والمعتمد علی الله محمد والمعتصم بالله محمد والمنتصر بالله محمد والمکتفی بالله محمد والواثق بالله محمد ومحمد المدعو بأبی طریق . بناته : فاطمة الصالحة وست العرب ورقیة وعائشة وزنو وسکینه وسما وأم جعفر وأم هانی وجندوزة ولما العزیز المدعوتة بمدیلة . وكان جمیع ما ولد ثلاثائة ونحو خمسة وعشرین ما بین سقط وغيره .



تم الجزء الثالث

ويليه الجزء الرابع وأوله :

الخبر عن دولة السلطان السعید بالله
ابی بکر بن ابی عنان بن ابی الحسن المرینی



فهرس الموضوعات

صفحة	
٣	الخبر عن دولة بنى مرين ملوك فاس والمغرب وذكر اوليتهم وأصلهم
٤	الخبر عن دخول بنى مرين ارض المغرب الاقصى واستيلائهم عليه والسبب فى ذلك
٥	الخبر عن رياسة أبى محمد عبد الحق بن يحيو المرينى رحمه الله
٧	حرب بنى مرين مع عرب رياح ومقتل الامير عبد الحق رحمه الله
٨	بقية أخبار الامير عبد الحق وسيرته
٩	الخبر عن رياسة الامير أبى سعيد عثمان بن عبد الحق رحمه الله
١٠	الخبر عن رياسة الامير أبى معرف محمد بن عبد الحق
١١	الخبر عن دولة الامير أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله
١٢	استيلاء الامير أبى بكر عن مكناسة وبيعة أهلها لابن أبى حفص بواسطته
١٤	استيلاء الامير أبى بكر على فاس وبيعة أهلها له
١٥	انتقاض فاس على الامير أبى بكر ومحاصرته اياهم
١٧	استيلاء الامير أبى بكر على مدينة سلا ثم ارتجاعها منه وهزيمة المرتضى بعد ذلك
١٨	استيلاء الامير أبى بكر على سجلماسة ودرعة وسائر بلاد القبلة
١٩	وفاة الامير أبى بكر رحمه الله
١٩	الخبر عن دولة أبى حفص الامير عمر بن أبى بكر بن عبد الحق رحمه الله

- ٢٠ الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٢١ استيلاء نصارى الاسبنيول على مدينة سلا وايقاع السلطان يعقوب بهم وطردهم عنها
- ٢٣ خروج بنى ادريس بن عبد الحق على عمهم السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٢٤ حصار السلطان يعقوب حضرة مراکش ونزوع أبي دبوس منها اليه وهلاك المرتضى بعد ذلك
- ٢٥ وقعة تلاغ بين يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان فتح حضرة مراکش ومقتل أبي دبوس وانقراض دولة الموحدين بها
- ٢٨ مراسلة السلطان أبي عبد الله محمد المستنصر بالله الحفصي للسلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق رحمه الله عقد السلطان يعقوب ولاية العهد لابنه أبي مالك بسلا وما نشأ عن ذلك من خروج قرابته عليه
- ٢٩ هجوم النصارى على العرائش وتشمس من ثغور المغرب وقعة ايسلى بين السلطان يعقوب بن عبد الحق ويغمراسن بن زيان
- ٣٣ وفاة الامير أبي مالك بن أمير المسلمين أبي يوسف فتح طنجة وسبتة وما كان عن أمر العزفى بهما
- ٣٦ فتح سجلماسة وما كان من أمرها تاريخ وجود البارود
- ٣٧ أخبار السلطان المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المرينى فى الجهاد وما كان له بالاندلس من الذكر الجميل والفخر الجزيل رحمه الله

- ٣٩ الجواز الاول للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
فتح جبل تينملل ونبش قبور بني عبد المومن تلى يد الملياني
- ٤٢ عفا الله عنه
- ٤٤ بناء المدينة البيضاء المسماة بفاس الجديد
- ٤٥ الجواز الثاني للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
- ٤٩ حدوث الفتنة بين السلطان يعقوب وابن الاحمر وما نشأ عن ذلك
الجواز الثالث للسلطان يعقوب الى الاندلس مغينا للطاغية ومغتتما
فرصة الجهاد
- ٥٥
- ٥٦ انعقاد الصلح بين السلطان يعقوب وابن الاحمر والسبب في ذلك
- ٥٨ الجواز الرابع للسلطان يعقوب الى الاندلس برسم الجهاد
وفادة الطاغية على السلطان يعقوب باحواز الجزيرة الخضراء وعقد
الصلح بينهما والسبب في ذلك
- ٦٢
- ٦٥ وفاة السلطان يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
- ٦٥ بقية أخبار السلطان يعقوب بن عبد الحق وسيرته
الخبر عن دولة السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب بن
عبد الحق رحمه الله تعالى
- ٦٦
- ٦٨ قدوم بني اشقيلولة على السلطان يوسف بسلا واقطاعه اياهم
قصر كتامة والسبب في ذلك
- ٦٨ حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وعثمان بن يغمراسن بن زيان
صاحب تلمسان
- ٧٠ انتفاض الطاغية سانجة واجازة السلطان يوسف اليه
حدوث الفتنة بين السلطان يوسف وابن الاحمر واستيلاء الطاغية
على الطريق بمظاهرة ابن الاحمر له
- ٧١
- ٧٢ ثورة عمر بن يحيى بن الوزير الوطاسي بحصن تازوطا
انعقاد الصلح بين السلطان يوسف وابن الاحمر ووفادته عليه
بطنجة
- ٤٧

- فتكة ابن الملياني بشيوخ المصامدة وتزويره الكتاب بهم والسبب
في ذلك ٧٧
- الحصار الطويل على تلمسان وما تخلل ذلك من الاحداث ٧٩
- نكبة بنى وقاصة يهود فاس ٨٠
- انتفاض ابن الاحمر واستيلاء الرئيس أبى سعيد على سبتة ٨٢
- ثورة عثمان بن أبى العلاء بجبال غمارة ٨٣
- وفاة السلطان يوسف رحمه الله ٨٥
- بقية أخبار السلطان يوسف وسيرته ٨٨
- دخول الشريف المولى حسن جد الملوك العلويين من الينبع الى
سجلماسة ٨٨
- بناء قصبة تطاوين ٨٩
- وفاة أبى يعقوب الانقر ٨٩
- عمل المولد النبوى بالمغرب ٩٠
- رفع أيدي الموثقين من الشهادة بفاس ٩٠
- الخبر عن دولة السلطان أبى ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف بن
يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٩١
- ثورة يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد الحق وما كان من
أمره ٩٣
- غزو السلطان أبى ثابت بلاد غمارة وسبتة ومحاصرته لعثمان بن
أبى العلاء ٩٥
- بناء مدينة تطاوين القديمة ٩٦
- الخبر عن دولة السلطان أبى الربيع سليمان بن أبى عامر عبد
الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله ٩٧
- نكبة الفقيه الكاتب أبى محمد عبد الله بن أبى مدين واستئصال
بنى وقاصة اليهوديين بعد ذلك ٩٩
- انتفاض أهل سبتة على بنى الاحمر ومراجعتهم طاعة بنى مرين ١٠٠

- انتفاض الوزير عبد الرحمن بن يعقوب الوطاسي على السلطان
 ١٠١ أبي الربيع ومبايعته لعبد الحق بن عثمان والسبب في ذلك
 ١٠٢ قضية أبي الحسن الصغير
 الخبر عن دولة السلطان أبي سعيد يعقوب بن عبد الحق
 ١٠٣ رحمه الله
 ١٠٤ غزو السلطان أبي سعيد ناحية تلمسان
 خروج الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد والسبب في
 ١٠٥ ذلك
 وفادة أهل الاندلس على السلطان أبي سعيد واستصراخهم أياه
 ١٠٨ على الطاغية وما نشأ عن ذلك
 انتفاض الامير أبي علي على أبيه السلطان أبي سعيد وما نشأ عن
 ١١٠ ذلك
 ١١١ بناء مدارس العلم بحضرة فاس حرسها الله
 ١١٣ أخبار بني العزفي أصحاب سبته
 المصاهرة بين السلطان أبي سعيد في ابنه أبي الحسن وبين أبي
 ١١٦ بكر بن أبي زكرياء الحفصي والسبب في ذلك
 ١١٧ وفاة السلطان أبي سعيد بن يعقوب رحمه الله
 الخبر عن دولة السلطان المنصور بالله أبي الحسن علي بن عثمان
 ١١٨ بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله
 حدوث الفتنة بين الاخوين أبي الحسن وابي علي ثم مقتل أبي علي
 ١١٩ والسبب في ذلك
 وفادة السلطان ابن الاحمر على السلطان أبي الحسن بحضرة فاس
 ١٢١ وفتح جبل طارق
 فتح تلمسان ومقتل صاحبها ابن تاشفين وانقراض الدولة الاولى
 ١٢٣ لبني زيان

- ١٢٧ مراسلة السلطان أبي الحسن لسلطان مصر وبعثه المصاحف من خطه الى المساجد الثلاثة شرفها الله
- ١٣٢ نكبة الامير أبي عبد الرحمن يعقوب بن السلطان أبي الحسن وفرار وزيره زيان بن عمر الوطاسي والسبب في ذلك
- ١٣٣ ثورة ابن هيدور الجزائر وما كان من أمره
- ١٣٤ أخبار السلطان أبي الحسن في الجهاد وما كان من وقعة طريف التي محض الله فيها المسلمين وغير ذلك
- ١٣٧ استيلاء العدو على الجزيرة الخضراء
- ١٣٩ بقية أخبار بني العلاء
- ١٤٠ مراسلة السلطان أبي الحسن لصاحب مصر أبي الفداء اسماعيل ابن محمد بن قلاوون
- ١٥١ هدية السلطان أبي الحسن الى ملك مالي من السودان المجاورين للمغرب
- ١٥٣ مصاهرة السلطان أبي الحسن ثانيا مع السلطان أبي بكر الحفصي رحمهما الله
- ١٥٤ غزو السلطان أبي الحسن افريقيا واستيلاؤه على تونس وأعمالها انتقاض عرب بسليم بافريقية على السلطان أبي الحسن وما نشأ عن ذلك
- ١٥٨ انتقاض الاطراف وثورة أبي عنان ابن السلطان أبي الحسن واستيلاؤه على المغرب
- ١٦٢ أصل الاشراف الصقليين
- ١٦٦ ركوب السلطان أبي الحسن البحر من تونس الى المغرب وما جرى عليه من المحن
- ١٧٠ استيلاء السلطان أبي الحسن على مراکش ثم انهزامه عنها الى هنتاة أهل جبل درن ووفاته هناك
- ١٧٣ بقية أخبار السلطان أبي الحسن وسيرته
- ١٧٤

- ١٧٥ بناء المدرسة العظمى بطالعة سلا
- ١٧٥ سور الماء الداخل الى سلا المعروف بالاقواس
- ١٧٦ المدرسة المصباحية بفاس
- ١٧٨ وفاة أبي الحسن الصغير
- ١٧٩ وفاة ابن البناء
- الخبر عن دولة السلطان المتوكل على الله أبي عنان فارس بن أبي الحسن رحمه الله
- ١٨١
- ١٨٤ تملك السلطان أبي عنان بجاية وتولية عمر بن علي الوطاسي
- ١٨٤ ثورة أهل بجاية ومقتل عمر بن علي الوطاسي بها
- خروج أبي الفضل بن السلطان أبي الحسن ببلاد السوس ثم مقتله عقب ذلك
- ١٨٦
- ١٩٠ مدينة القاهرة بأرض السوس
- وفادة الوزير ابن الخطيب من قبل سلطانه الغنى بالله على السلطان أبي عنان رحمهم الله
- ١٩١
- رحلة السلطان أبي عنان الى سلا وتطارحه على وليها الاكبر أبي العباس بن عاشر رضي الله عنه
- ٢٠٠
- ٢٠١ غزو السلطان أبي عنان افريقية وفتح قسنطينة ثم فتح تونس بعدها
- ٢٠٣ وزارة سليمان بن داود ونهوضه بالعساكر الى افريقية
- ٢٠٤ وفاة السلطان أبي عنان رحمه الله
- ٢٠٥ بقية أخبار السلطان أبي عنان وسيرته

فهرس الاعلام والقبائل

حرف «أ»

- | | |
|--|--------------------------------|
| محمد ١٠١ - ١٢١ | آل زيان ٨٦ |
| ابن الاحمر : أبو الحجاج يوسف بن اسمعيل ١٣٧ - ١٣٦ - ١٣٣ | آل الحسين السبط ١٦٦ |
| ١٣٨ - ١٣٩ - ١٦٦ - ١٨٧ | آل عبد المومن ٢٧ - ٣٥ - ٤٤ |
| ١٩١ | آل يغمراسن ٨٠ - ١١٦ |
| ابن الاحمر : أبو سعيد فرج بن اسمعيل ٧٣ - ٨٢ - ٨٣ - ٩٥ | ابراهيم بن أبي حاتم العزفى ١١٧ |
| ٩٦ - ١١٣ | ابراهيم بن عيسى اليرينانى ١٠١ |
| ابن الاحمر : أبو الوليد اسمعيل بن أبي سعيد فرج ١٢١ | ١٠٥ - ١٠٦ - ١١٤ |
| ابن الاحمر : عبد الله بن أبي الحجاج ١٩٦ | ابراهيم بن هشام ١٦ |
| ابن الاحمر : محمد بن اسمعيل بن أبي سعيد فرج ١٢١ - ١٢٢ | ابراهيم بن وقاصه ٨١ |
| ١٢٣ - ١٣٩ | ابن أبي دبوس ١٦١ |
| ابن الاحمر : محمد بن محمد الفقيه المخلوع ٨٢ - ١١٣ | ابن أبي زرع ٨ - ٤٤ - ٩٦ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف بن نصر ٣٧ | ١٨٠ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢ | ابن أبي العلاء ٩٦ |
| ابن الاحمر : محمد بن يوسف الغنى بالله ١٩١ - ١٩٢ - ١٩٩ | ابن أبي عمارة ٦١ |
| | ابن أبي عمرو ١٨٦ - ١٨٧ |
| | ١٩٠ |
| | ابن أبي عياد ٩٤ |
| | ابن أبي وطاق ١٥ - ١٧ |
| | ابن الاثير ٣٥ |
| | ابن الاحمر ٢٠٦ |
| | ابن الاحمر : أبو الجيوش نصر بن |

ابن عبد السلام ١٥٦	ابن الاحمر : محمد الفقيه ٣٢
ابن عرفة ١٥٤ - ١٥٦	٤٨ - ٤٧ - ٤١ - ٤٠ - ٣٨
ابن عطوش ٢٥	٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣
ابن عطية المفسر ٦٤	٥٦ - ٥٧ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٦
ابن علان ٨٠	٦٨ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤ - ٧٥
ابن كانون ٥١	٨٢
ابن محلى ٥٠ - ٥٧٥٣	ابن أذفونش ٤٥ - ٥٣
ابن مرزوق ١٣٠	ابن تافرجين ١٦١ - ١٦٢
ابن مزني ١٨٣	ابن حجاج ٣٦
ابن الملياني ٧٨ - ٩٧	ابن جحاف ٨٧
ابن هرون ١٥٦	ابن جرار ١٦٥
ابن هيدور الجزار ١٣٣ - ١٣٤	ابن جشار ١٥ - ١٧
أبو ابراهيم بن يوسف بن عبدالمومن ٦	ابن الحميدى ١٩١
أبو اسحق ابراهيم بن أبى بكر	ابن خلدون ٣ - ١٧ - ٣٠
الحفصى ٢٠٢	٣٩ - ٥٥ - ٥٦ - ٦٢ - ٨٦
أبو اسحق بن أبى الحسن ٦٨	٩٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٤٧
أبو اسحق بن أبى العاص ١٠٩	١٥١ - ١٥٢ - ١٥٧ - ١٧٢
أبو اسحق ابراهيم بن اشقيلولة ٤٠	١٧٤ - ١٨٠ - ١٨٦ - ١٨٧
٤٥ - ٦٨	١٩٥ - ٢٠٤
أبو اسحق الساحلى ١٥٢	ابن الخطيب ٥٥ - ٧٨ - ١١٥
أبو البقاء يعيش ١٠٤ - ١٠٥	١٢٦ - ١٦٦ - ١٧٤ - ١٧٧
أبو بكر بن زكرياء الحفصى ١١٦	١٧٨ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
١١٧ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٣٢	١٩٣ - ١٩٤ - ١٩٩ - ٢٠٧
أبو بكر بن حمامة ٤	ابن راشد القفصى ١٥٦
أبو بكر بن جزى ٢٠٦	ابن زيان البلشى ١٠٩
أبو بكر بن عبد الحق ٩ - ١١	ابن عبد الرحمن المغيلى ١٥
١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦	ابن عبد الرفيع ١٥٦

٦٨	١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١
أبو الحسن بن القطان ٤٤	٣٥ - ٣٦ - ٣٨ - ٧٤
أبو الحسن بن كماشة ١٠١	أبو بكر بن يعقوب ٧٦ - ٧٧
أبو الحسن الصغير علي بن محمد	٧٩ - ٩٢
الزرويلي ١٠٢ - ١١٣ - ١٨٧	أبو بكر بن يغمراسن ١٦
١٧٨	أبو بكر الحفصي ١٢٥ - ١٣٤
أبو الحسن علي بن الحاج ٥٨	١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦
أبو الحسن علي بن عثمان ١٠٣	١٦٢
أبو الحسن علي بن القبائلي التيملي	أبو بكر السعيد بن أبي عنان ٢٠٠
١٧٨	٢٠٥
أبو الحسن علي بن أبي سعيد عثمان بن	أبو تاشفين الزياتي ١١٩ - ١٢٠
يعقوب بن عبد الحق المريسي	١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦
السلطان الاكحل ١٠٣ - ١٠٥	أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو
١٠٦ - ١٠٧ - ١١٠ - ١١١	١١٦
١١١ - ١١٢ - ١١٦	أبو ثابت بن عبد الرحمن الزياتي
١١٧ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠	١٧٢ ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤
١٢١ - ١٢٣ - ١٢٤ - ١٢٥	أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩	٨٤ - ٨٧ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣
١٣١ - ١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٤	٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٩
١٣٥ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨	١٣٩
١٤٠ - ١٤٧ - ١٥١ - ١٥٢	أبو حاتم العزفي ٥١ - ١١٣
١٥٣ - ١٥٤ - ١٥٥ - ١٥٦	١١٤
١٥٧ - ١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٠	أبو الحجاج يوسف بن محمد الهمداني
١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٥	- ابن الامير - ٣٤ - ٣٥
١٦٦ - ١٧١ - ١٧٢ - ١٧٣	أبو حديد مفتاح بن أبي بكر ١٨
١٧٤ - ١٧٥ - ١٧٦ - ١٧٧	أبو الحسن بن أبي العافية ١٢
١٨٦ - ١٩١	أبو الحسن بن اسحق بن اشقيلولة

- أبو الحسن علي بن يزكاسن ٦٦
أبو حفص بن أبي بكر بن عبد الحق
المريني ٣٥ ١٩
أبو حفص عمر بن يغمراسن ٢٦
أبو حفص عمر المرتضى ٣٤ -
٣٦
أبو حفص عمر المريني ٢٠
أبو الحكم مالك بن المرحل السبتي ٨٨
أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن
٨٦ - ٨٧ - ٩٢ - ١٠٢ -
١٠٤
أبو خالد محيو بن أبي بكر ٤
أبو الخيل بن عامر بن يحيى ٧٣
أبو دبوس ادريس بن محمد بن أبي
حفص بن عبد المومن ١٤ - ٢٤
٢٥ - ٢٦ - ٢٧
٢٦ - ٢٧ - ١٦٢
أبو دينان سليمان بن علي ١٧٣
أبو راشد اليدري ٢٠٦
أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد
الله بن يوسف بن عبد الحق المريني
٧٤ - ٩٩ - ١٠٠ - ١٠١ -
١٠٣ - ١٠٤ - ١١٣ -
١١٤ - ١٢٥ - ١٧٩
أبو زكرياء بن أبي بكر الحفصي ١١٦
١١٧ - ١١٩
أبو زكرياء بن أبي حفص ١٢
- أبو زكرياء حيون بن أبي العلاء القرشي
١١٣ - ١١٥
أبو زكرياء يحيى - الوائق - الحفصي
٢٩ - ٥٣
أبو زكرياء يحيى بن أبي طالب الغزفي
١١٤
أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد
الهنثاتي ٢٨
أبو زكرياء يحيى بن مليلة ١٠١
أبو زيان بن أبي سعيد ١٨٣
أبو زيان بن أبي عنان ٢٠٥
أبو زيان بن عثمان بن يغمراسن ٨٦
٨٧ - ٩٢
أبو زيان محمد بن عبد القوي بن
العباس بن عطية ٣٣ - ٣٨ - ٣٩
أبو زيان منديل بن يعقوب ٤٨
٥١ - ٥٨ - ٦٠ - ٦٤ - ٦٧
أبو زيد عبد الرحمن بن أبي طالب
١١٣ - ١٢٦
أبو زيد الحفصي ١٨٦
أبو زيد الغفاري ٨٣ - ٨٤
أبو زيد الفاسي ٣٦
أبو زيد محمد بن أبي بكر الحفصي
١٨٥
أبو سالم ابراهيم بن يوسف ٨٢
٩١ - ٩٢
أبو سالم بن أبي الحسن المريني

- ١٨٥ أبو العباس أحمد ابن عاشر الاندلسي
٢٠٠ - ٢٠١
- أبو العباس أحمد بن عاشر السلاوي
- الحافى - ٢٠١
- أبو العباس أحمد بن محمد الأزدي
- ابن البناء - ١٧٩
- أبو العباس أحمد بن رافع
الصقلى ١٦٦
- أبو العباس أحمد بن على المليانى ٧٧
- أبو العباس الزواوى ١٧١
- أبو العباس الغمارى ٢٩ - ٥٣
- أبو العباس الفضل بن أبى بكر الحفصى
١٥٣ - ١٥٤ - ١٦٢ - ١٧٠
- أبو العباس المقرئ ١٢٢ - ١٥١
- ٢٠٧
- أبو العباس الوشريسى ١٥٤
- أبو عبد الرحمن بن أبى الحسن
المرينى ١٢٥ - ١٢٦ - ١٣٢
- ١٣٣
- أبو عبد الرحمن المغلبى ١٥
- أبو عبد الرحمن يعقوب بن يوسف
٦٩ - ٧٥
- أبو عبد الله الآجمى ١٥٤
- أبو عبد الله الابى ١٧١
- أبو عبد الله بن أبى بكر الحفصى
١٦٣
- ١٦٠ - ١٨٦
- أبو سالم فتح الله السدراتى ٤٤
- أبو سعيد الاصغر ١٠٣
- أبو سعيد الاكبر ١٠٣
- أبو سعيد بن أبى الربيع القبائلى ٤٣
- أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء ٩٨
- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق المرينى
٤
- أبو سعيد عثمان بن عبد الحق الزيانى
١٨٢
- أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق
المرينى ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
- ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١١٠
- ١١١ - ١١٢ - ١١٣ - ١١٤
- ١١٥ - ١١٦ - ١١٧ - ١١٨
- ١١٩ - ١٣٢ - ١٣٥ - ١٤٠
- ١٧٨ - ١٧٩
- أبو سلطان عزيز الدانى ٧٤ - ٨٢
- أبو الضياء مصباح بن عبد الله الياصلونى
١٧٦
- أبو طالب بن محمد أبى مدين ١٥٢
- أبو عامر عبد الله بن يوسف ٦٧
- ٦٩ - ٧٤ - ٧٥ - ٩١
- أبو العباس ١٤
- أبو العباس أحمد بن أبى بكر الحفصى
١٥٤ - ٢٠١ - ٢٠٢
- أبو العباس أحمد بن ادريس البجائى

- أبو عبد الله بن أبي الحسن بن
اشقيلولة ٤٥
- أبو عبد الله بناني ١٣٦
- أبو عبد الله بن الحباك ٤٤
- أبو عبد الله بن خالد ١٥٦
- أبو عبد الله بن عبد الرزاق ١١٧
- أبو عبد الله بن مرزوق ١٢٨
- أبو عبد الله بن يعلو ١٧ - ٢١
- أبو عبد الله الطنجالي ١٥٩
- أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الابلي ٨٦
- أبو عبد الله محمد بن أبي زكرياء بن
أبي بكر الحفصي ١٥٥ - ١٥٦
- ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
- أبو عبد الله محمد بن أحمد الفشتالي ٢٠٨
- أبو عبد الله محمد بن أحمد المقرئ ٢٠٧
- أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندي ٨٢
- أبو عبد الله محمد بن سليمان السطلي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن الصباع المكناسي ١٧١
- أبو عبد الله محمد بن عبد السلام ١٥٤
- أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله
- ابن الحاج ٢٢
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي
عمرو ١٦٥ - ١٨٤
- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد
المقرئ ١٨٠
- أبو عبد الله محمد بن مرزوق ١٩٢
- أبو عبد الله محمد الكناسي ٢٩ -
١٠٧
- أبو عبد الله محمد المستنصر بالله بن
أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن
أبي حفص ٢٨ - ٢٩ - ٣٥ - ١٥٥
- أبو عثمان الوريكلي ٢٠
- أبو عطية العباس بن يعقوب ٦٦
- أبو عطية مهلهل بن يحيى الخلطي ١٥٣
- أبو علي أحمد الملياني ٤٣ - ٧٧
- أبو علي بن محمد ١٤
- أبو علي وانودين ٦
- أبو علي عمر بن السعود بن خرياش
الحشمي ٨٣
- أبو علي عمر بن عثمان (أبو سعيد
المريني) ١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧
- ١٠٨ - ١١٠ - ١١١ - ١١٣
- ١١٨ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٢
- ١٢٣
- أبو عنان فارس بن أبي الحسن المريني
١١٢ - ١٢٣ - ١٣٩ -

- ١٥٤ - ١١٧ أبو القاسم بن عتو
 ١٧٠ - ١٥٦
 ١٩٥ أبو القاسم الشريف
 ١٢٢ أبو مالك بن أبي الحسن المريني
 ١٣٥ - ١٣٤ - ١٣٣ - ١٢٥
 ٢٣ أبو مالك عبد الواحد بن يعقوب
 ٢٧ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٣
 ١٦٨ أبو محمد بن أجانا
 ٤٨ - ٤٠ أبو محمد بن اشقيلولة
 أبو محمد بن عبد الله بن أبي مدين
 العثماني ١٧٨
 أبو محمد عبد الحق ٦٣
 أبو محمد عبد الله بن أبي مدين ٧٨
 ٨١ - ٨٨ - ٩٩ - ١٠٠
 أبو محمد عبد الله بن تافراجين
 ١١٦ - ١١٧ - ١٣٢ -
 ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤ -
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٦٠
 ٢٠٢ - ٢٠٣
 أبو محمد عبد الله بن قاسم المزوار ١١٢
 ١٢٧ - ١١٨
 أبو محمد عبد المهيمن الحضرمي ١٢٠
 ١٧٧
 أبو محمد الفشتالي ١٤ - ١٩
 أبو المجد بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٤٤ - ١٤٩ - ١٧٣
 أبو المطرف بن عميرة المخزومي ١٢
- ١٥٥ - ١٦٤ - ١٦٥ - ١٦٦
 ١٧٢ - ١٧٣ - ١٧٤ - ١٨١
 ١٨٢ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩١ - ١٩٢
 ١٩٥ - ١٩٩ - ٢٠٠ - ٢٠١
 ٢٠٢ - ٢٠٣ - ٢٠٤ - ٢٠٧
 أبو عنان فارس يغمراسن ٣٢
 أبو عياد بن أبي يحيى بن حمامة ١٣
 أبو عياد بن عبد الحق ٩
 أبو غالب المغيلي ١٠/١١
 أبو فارس عبد العزيز المزوزي ٨٨
 ٩١
 أبو الفداء اسماعيل بن محمد بن قلاوون
 ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤٧
 أبو الفضل بن أبي الحسن المريني
 ١٧٠ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٨٩
 ١٩٠ - ١٩١
 أبو الفضل بن أبي عبد الله محمد بن
 أبي مدين ١٢٧ - ١٤٠ - ١٤٧
 ١٥٣
 أبو القاسم البرجي ٢٠٧
 أبو القاسم بن أبي العباس العزفي
 ٣٤ - ٣٥ -
 أبو القاسم بن أبي مدين العثماني
 ١/١٥
 أبو القاسم الرحوي ١٥٨
 أبو القاسم بن رضوان ٢٠٧

- أبو معرف بن يعقوب ٥٩ - ٦٧
أبو معرف محمد بن عبد الحق ٩
١٠ - ١١
أبو الملوك عبد الحق المريني ٩ - ٦٤
أبو موسى بن الامام ١٨٠
أبو موسى عيسى ١٢٦
أبو الهول بن حمزة ١٥٥
أبو الهول بن يعقوب ١٦١
أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن
فلاوون ١٤١
أبو يحيى بن أبي الصبر ٩٠ - ٩٦
٩٧
أبو يحيى بن عيسى بن علي بن أبي
الطلاق ٢٠٠
أبو يحيى القطراني ١٩ - ٣٦
أبو يعقوب الاشقر ٨٩ - ٩٠ -
١٧٨
الاتبج ٣١ - ٥٩
أحمد بن عثمان بن أبي دبوس ١٥٩
أحمد بن حمزة ١٥٩
أحمد بن محمد بن أبي بكر الحفصي
٢٠١
أحمد بن يوسف بن أبي محمد صالح
١٢٩
أحمد يوسف بن مزني ٢٠٤
ادريس بن عبد الحق ٧ - ٢٣٩
٨٨
- ادريس بن عبد الله بن عبد الحق ٩٨
ادريس بن عثمان بن أبي العلاء ١٦٥
٢٠٣
اسحق ٢٧
الاشراف العلويون ٨٨
الاصنيول ٢١
اعراب افريقية ١٥٥
الانغاز ١٣
الاکراد ٦١
أم العز ابنة محمد بن حازم العلوي ٥٨
أهل أزغار ١٠ - ٣٢
أهل الاندلس ٣٢ - ٣٩ - ٤٨
٥٣ - ١٠٠ - ١٠٩ - ١٤٢
أهل بجاية ١٦٣
أهل بلاد الجريد ١٧٠
أهل تاونت ٧٩
أهل تلمسان ٨٥
أهل تونس ١٠٧
أهل الحرمين ١٤٧
أهل الجزيرة ٥١ - ٥٢ - ١٣٨
أهل سبتة ٨٢ - ١٠٠ - ١١٣
١١٥ - ١٦٥
أهل طريف ٧١
أهل طنجة ٣٥
أهل العدو ٣٠ - ٩٥
أهل غرناطة ١٠٩
أهل فاس ١٥ - ١٦ - ١٠٤

بهلولة ٩	أهل قسنطينة ١٦٣
بنو أبي حفص ٢٨ - ٨٠	أهل مالي ١٦٣
١٢٣ - ١١٦	أهل المغرب ١١ - ٢٨ - ٣١ - ٣٢
بنو أبي العلاء ١٢٣ - ١٣٩	٥٩ - ٦٠ - ٦٩ - ٧٠ - ٨٢
بنو أبي عياد بن عبد الحق ٣٠	٨٣ - ١٣٥ - ١٦٣ - ١٦٤
بنو أبي الليل ١٦١ ٢٠٢	أهل مكناسة ١٢
بنو الاحمر ٩٨ - ١١٣ - ٣٩	أهل ندرومة ٧٩
٢٠٢	أوربة ١٣٩
بنو ادريس بن عبد الحق ٢٣	أولاد أبي العلاء ١٦٥
٢٩	أولاد أبي الليل ١٥٩ - ١٧٠
بنو ادريس بن يعقوب ٦٧	أولاد جرار ١٥٢
بنو أذفونس ٨٢	أولاد سباع بن يحيى ٢٠٤
بنو أشقيلولة ٤٩ - ٥٣ - ٦٨	أولاد علي ١٣٣
بنو أمية ٧٥	أولاد القوس ١٥٩ - ١٦١
بنو أيوب ٨٣	أولاد محبوب ١٧٦
بنو توجين ٢٠ - ٣٣ - ٥٤	أولاد محمد ٢٠٤
١٢٤ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٦٠	أولاد محلي ٦٧
١٦٣ -	أولاد مهمل ١٥٥ - ١٥٩
بنو تيربعين ٩٢ - ١٢٠	١٦١ - ١٦٢ - ٢٠٢ - ٢٠٣
بنو جابر ١٨ - ٣١ - ٩٤	الوليد بن عبد الملك ٩
بنو جشم ١٥٨	
بنو حكيم ١٥٩	
بنو حمزة بن عمر ١٥٥ - ١٦٢	
١٧٠	
بنو راشد ٣٢	
بنو رحو بن عبد الحق ٢٩	
بنو زغبة ١٢٧ - ١٣٣ - ١٥٣	

٢٥ - ٢٤ - ٢٣ - ٢٠ - ١٩	بنو زيان ١٢٤ - ١١٩ - ٩٧
٣٦ - ٣٥ - ٣٤ - ٣٢ - ٢٨	١٧٢ - ١٥١ - ١٢٥
٥٢ - ٤٨ - ٤٣ - ٣٩ - ٣٨	بنو سعيد ٧٤
٧١ - ٦٨ - ٦٦ - ٥٩ - ٥٦ - ٥٤	بنو سليم ١٥٨
٩١ - ٨٨ - ٨٧ - ٧٦ - ٧٢	بنو سويد ١٣٣
١٠١ - ١٠٠ - ٩٩ - ٩٧	بنو عامر ١٣٣
١٠٦ - ١٠٤ - ١٠٣ - ١٠٢	بنو عبد الحق ٣٠ - ٢٩ - ٢٠
١١٤ - ١١٢ - ١٠٩ - ١٠٨	٧٢ - ٦٧
١١٩ - ١١٨ - ١١٧ -	بنو عبد الله بن عبد الحق ٢٩
١٣٦ - ١٣٦ - ١٢٥ - ١٢٢	بنو عبد الواد ٢٠ - ١٦ - ٣
١٦١ - ١٥٨ - ١٥٧ - ١٥٦	٤٣ - ٣٩ - ٣٦ - ٣٢ - ٢٦
١٧٣ - ١٧٢ - ١٦٦ - ١٦٣	٩٢ - ٨٥ - ٨١ - ٧٦ - ٥٤
٢٠٢ - ٢٠١ - ٢٠٠ - ١٨٣	١٦٣ - ١٦٠ - ١٢٦ - ١٢٥
٢٠٣	١٨٣ - ١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤
بنو مسكين ١٥٩	١٩١
بنو معقل ١٥٢ - ٣٦	بنو عثمان بن أبي العلاء ١٢١
بنو واسين ١٢٦	بنو العزفي ١١٣ - ٩٠ - ٨٢
بنو هلال ١٣٤ - ١٢٧	١١٥
بنو ورتاجين ٨٧	بنو عبد المومن ١٤ - ١٢
بنو الوزير ١٨٤ - ٧٢	٣٤ - ٣١ - ٢٨ - ٢٧ - ١٥
بنو وطاس ٧٢ - ١٣	٤٣ - ٧٧ - ٧٢ - ١٠٩
بنو وقاصة ٩٩ - ٨٠	بنو عسكر ١٢٤ - ٧٩ - ٧٧ - ٧
بنو و نكاسن ١٧٢	١٥٦
بنو يدلتن ١٢٥	بنو كعب ٢٠٢ - ١٦٦ - ١٥٩
بنو يزناسن ١٣٣ - ١٣	بنو مرين ٦ - ٥ - ٤ - ٣ -
بنو يغمراسن ٩٢	٨ - ٩ - ١٠ - ١١ -
بنو يفرن ٣	١٨ - ١٧ - ١٦ - ١٥ - ١٣

الحرّة - أخت أبي الحسن المريني

١٤٠ - ١٤٧

الحرّة - أم المعز ابنة محمد حازم

العلوى - أم السلطان يعقوب المريني

٨٩

الحرّة مريم ١٣٠

الحسن بن أبي عامر بن عبد الله بن

يعقوب المريني ٩٣

الحسن بن سليمان بن يرزيكن ١٦٤

١٦٥

الحسن بن علي بن أبي الطلاق

١٠٢

حسن بن قاسم الحسنى ٨٨

الحسن بن عمر الفودودي ٢٠٤

٢٠٥

الحشم ١٢٥

الحفصيون ٢٨ - ٢٩ - ٤٣

١٠٧ ١٣٥ ١٣٢ ١١٦ ٧٢

١٥٨ - ١٥٩ - ١٦٣ - ١٨٤

١٨٥ - ٢٠٣

حمّامة بن محمد ٤ - ٧

حمو بن يحيى العسكرى ١٥٥

حميضة بن أبي ندى ٨٣

حرف «خ»

خالد بن أبي بكر الحفصى ١٥٥

خالد بن حمزة بن عمر ١٥٥

حرف «ت»

تاشفين بن أبى الحسن ١٢٠

١٣٧ - ١٦٣ - ١٨٦

تاشفين بن أبى مالك ٥٠

تاشفين بن عبد الواحد بن يعقوب

المرينى ٣٩

تاشفين بن يعقوب الوطاسى ١٠٠

١٠١

الترك ٨٣

تسول ٦ - ٩

حرف (ث)

الثعلبى المفسر ٦٤

حرف «ج»

جشم ١٧٣

الجلالقة ٤٥

جمال الدين ١٣٠

جمال الدين بن نباتة المصرى ١٣١

جوان ١٠٨ - ١٠٩

حرف «ح»

الحاج أبو الزبير طلحة بن يحيى

ابن محلى ٦١

الحاج المسعود ٩٣

رضوان ١٩٢
رميثة بن أبي نسي ٨٣
رياح ٧ - ٩ - ٢٣ - ١٣٤
٢٠٢

حرف «ز»

زانا بن يحيى ٤
زكاره ٩
زناتة ٣ - ٨ - ١٠ - ١٧ - ٣٢
٣٣ - ٤٠ - ٥٤ - ٨٣ - ١٠٤
١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٣٦
١٨٢ - ١٨٣
زواوة ١٨٣

زيان بن أبي عياد بن عبد الحق
٤٨ - ٥٠

زيان بن عبد الحق ٩
زيان بن عمر الوطاسي ١٣٣
زيد بن فرحون ١٣٥

حرف «س»

سانجة بن هـراند ٥٥ - ٥٦
٥٧ - ٥٨ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣
٦٦ - ٧٠ - ١١١
سدراة ٩
سعادة الخصى ٨٥
السعود بن خرياش ١٥
السعيد - على بن المامون الموحدى -

١٥٩ - ١٦١
الخضر الغزي ٦١
الخطيب بن مرزوق ١٧٧
الخلط ٣١ - ٥٩
خليفة الاصغر ٨١ - ٩٩
خليفة بن أبي زيد ١٥٩ - ١٦١
خليفة بن وقاصه ٨١ - ١٠٠
خليفة بن عبد الله ١٥٩
خليل الصفدي ١٤٧

حرف «د»

داود بن السلطان يوسف ٧٤
دعد ٨٦
الدولة الاحمرية ١٢١
دولة الاندلس ١٢٣
دولة زناتة ١٢٥
الدولة المرينية ١٢١ - ١٥٨
١٦١ - ٢٠٥
دولة الموحدين ٢٢

«حرف ذ»

الذواودة ١٣٤ - ١٧٣ - ١٨٥
١٨٦ ٢٠٣ - ٢٠٤
ذوى حسان ٣١

حرف «ر»

الرشيد بن المامون ١٠

حرف « ط »

طلحة بن محلى ٢٤ - ٤٣

حرف « ظ »

ظافر ١٥٦

حرف « ع »

عائشة ابنة أبى بكر بن يعقوب المرينى

١٣٦

عائشة ابنة أبى بكر الحفصى ١٨١

عائشة ابنة الامير أبى عطية مهلهل بن

يحيى الخلطى ١٠٣

عائشة الجزرية ١٨١

عام المشعلة ٦

عامر بن ادريس ٢٣ - ٢٨

٣٠

عامر بن فتح الله السدراتى ١١٥

١٧٧

عامر بن يحيى بن الوزير ٧٢

٧٣

عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد

الحق المرينى ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٣

١١٤ - ١٢٥

عبد الحق بن محمد بن عبد الحق

١٦

عبد الحق بن محيو المرينى ٤ - ٥

١١ - ١٢ - ١٣ - ٧٢ - ١٢٥

سفيان ٣١ - ٥٠ - ٩٤

سليم ١٥٩ - ٢٠٢

سيلمان بن داود ٢٠٠ - ٢٠٣

سيلمان بن عبد الملك ٩

سيلمان بن عبد الله بن السلطان يوسف

٧٤

سيلمان بن عثمان بن عبد الحق ١٩

سيلمان بن برزيكن ١٠٠

سوط النساء ٢٩

سويد ١٥٦ - ١٧٢

حرف « ش »

الشبانات - ٣١

شريد الفرنجى ١٥

شعيب بن مخلوف بن أبى عثمان ٩٩

شمسى الزواوية ١٢٤

شمس الضحى ١٨١

الشيخ خليل ٣٦

حرف « ص »

صخر بن موسى ١٥٦

صناكة ١٩١

صنهاجة ٣١ - ٣٩ - ١٥١ -

١٥٧ - ١٧٩ - ١٨٥

الصنهاجيون ١٨٥

- ٢٣-١٩-٩-٨-٧
 عبد الرحمن بن عبد الحق ٩
 عبد الرحمن الوطاسي ١١٤
 عبد الحق بن يعقوب الوطاسي - رحو
 ١٠٢-١٠٣-١٠٤-١١٤
 ١٣٥
 عبد السلام الاوربي ١٩
 عبد العزيز بن أبي بكر الحفصي ١٥٥
 عبد العزيز بن محمد القديوي ٧٨
 عبد العزيز بن محمد بن علي الهنتاتي
 ١٧٣
 عبد الكريم بن عيسى ٧٨٧٧
 عبد الله بن ابراهيم الفودودي ١٧٧
 عبد الله بن أبي الحسن المريني ١٦٣
 عبد الله بن عبد الحق ٩
 عبد الله بن علي بن سعيد ١٦٥
 ١٨٦
 عبد الله بن مسلم الزردالي ١٩١
 عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ٢٤
 عبد الله بن يوسف بن يعقوب بن عبد
 الحق المريني ٩٧
 عبد الله السكسيوي ١٩٠
 عبد الملك بن محمد العبد الوادي
 - ابن حينة - ٣٢ - ٣٧
 عبد الملك بن مكى ١٥٦
 عبد الملك بن مروان ٩
 عبد المومن بن علي ٤ - ٢٢ - ١٧٢
- عبد الواحد بن اللحياني ١٥٩
 عبد الواحد بن يعقوب ٣٢
 عبد الواحد السكسيوي ٥١ - ٩٤
 عبد الواحد الفودودي ٩٥
 العبيديون ١٥٧
 عثمان بن أبي تاشفين ١٢٥
 ١٢٦
 عثمان بن أبي العلاء أدريس بن عبد
 الحق ٨٣ - ٩٢ - ٩٥ - ٩٧
 ١٠٠ - ١٠٩ - ١٢٢ - ١٣٩
 عثمان بن عبد الحق ٧
 عثمان بن عبد الرحمن بن يحيى بن
 يغمراسن بن زيان ١٦٣ - ١٦٥
 ١٧٢
 عثمان بن عفان ٧٥
 عثمان بن عيسى اليريناني ١٠١
 عثمان بن يحيى بن جرار ١٦٤
 عثمان بن يعقوب ١٠٣
 عثمان بن يغمراسن ٥٦ - ٦٨
 ٦٩ - ٧٦ - ٧٩ - ٨١
 عثمان بن يوسف ١٠٣
 عدى بن هنو الهسكوري ١٠٤
 العرب ٣ - ٦ - ١١ - ٢٦ - ٣١
 ٣٢ - ٣٦ - ٣٩ - ٥٠ - ٤٥ - ٦٦
 ٥٨ - ٩١ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤
 ١٠٦ - ١١٨ - ١١٩ - ١٢٩
 ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٨ - ١٦٠

علي بن زيان ٢٣	١٦١ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
علي بن عبد الكريم ٧٨	١٧١ - ١٧٣ - ١٨٢ - ٢٠٢
علي بن عثمان بن عبد الحق ١٨	٢٠٤
علي بن عمر الوطاسي ١٨٥	عرب افريقية ١٥٨
علي بن غانم ١٥٢	عرب بنى رغبة ٣٢
علي بن محمد الهنتاتي ٧٧ - ٧٨	عرب جشم ٥٠ - ٦١ - ٩٤
علي بن منصور ١٥٦	عرب البحارث ٥٠
علي بن يوسف بن زريقاء ٩٧	عرب الخلط ٢٦ - ٥٩ - ١٢٧
علي بن يوسف بن يزكاتن ٧٧ - ٧٠	عرب رياح ٧ - ١٠ - ٩٤
عمر بن أبي بكر الحفصي ١٥٤	١٧٣
١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٩	عرب سليم ١٥٥
عمر بن حمزة ١٦٢ - ١٧٠	عرب سويد ١٢٥ - ١٥٣ - ١٧١
عمر بن رحو بن عبد الله بن عبد الحق	١٧٣
١٠١	عرب العاصم ٣١ - ٥٩ - ٩٤
عمر بن السعود بن خرباش ٧٥	عرب معقل ٦٧
عمر بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٩	عرب المغرب الاقصى ١٥٨
عمر بن عثمان ١٢٥	عرب المنبات ٣٦ - ٣٧
عمر بن علي الوطاسي ١٨٤	العرب الهاليون ٣
عمر بن موسى الفودودي ١٠٣	عريف بن يحيى ١٢٥ - ١٢٧
عمر بن يحيى بن محلي ٤٨ - ٥٠	١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦ - ١٧٢
٦١	العزفي ٣٨ - ٥٩ - ١٢٥
عمر بن يحيى بن الوزير ٧٢	عزونة أبنه أبي بكر ١٥٣
٧٣	عسكر بن تاحضريت ١٣٧ - ١٣٨
عمر بن يخلف الفودودي ١٠٦	عسكر بن محد ٤
عنب الخصى ١٥٢ - ١٥٣	عطية بن مهلهل ١٢٧
عنتر بن ونزمار ١٧٢	عطارد بن حاجب التميمي ٥٥
عياد بن أبي عياد الفاطمي ٦١	علان بن محمد ١٣٤ - ١٧٣

حرف «ق»

- القاضي المغيلي ١٧
قبائل بني مرين ٩٥
قبائل تازا ٨٢
قبائل المخلط ٩٤
قبائل رياح ٣٢
قبائل الريف ٨٢
قبائل زكنة ٩٤
قبائل المغرب ٣٦
قتيبة بن حمزة ١٥٩ - ١٦١
قدميوة ٧٧

حرف «ك»

- كتامة ٩٩
الكعوب ١٥٥
كندوز بن عثمان ١١٠

حرف «ل»

- ليدة بن أبي نسي ٨٣

حرف «م»

- المتوكل العباسي ٧٤
محمد بن أبي زكرياء العزفي ١١٤
١١٥
محمد بن أبي عمرو ١٨٤
محمد بن أبي عمران ١١٦

عيسى بن الحسن بن علي بن أبي الطلاق

٢٠٠

- عيسى بن عبد الكريم ٧٨
عيسى بن عبد الواحد بن يعقوب ٥٧
عيسى بن ماساي ٣٣

حرف «غ»

- الغر ٥٩
غمارة ٣٩
غنصالو الفرنجي ١٠٢

حرف «ف»

- فارح مولى سيد الناس ١٨٤
١٨٥
فارس بن ميمون بن وردار ١٢٧
١٦٥ - ١٨٣ - ١٩٠ - ٢٠١
٢٠٣
فاطمة ابنة أبي بكر الحفصي ١١٧
١١٩ - ١٣٦ - ١٥٣
فتح الله السدراتي ٤٥
الفرنجي ١١، ٣١ - ٣٢ - ٤١ - ٤٢
٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٩٣
٩٥ - ١٠٩ - ١٦٣
فشتالة ٩
الفضل بن أبي بكر الحفصي ١٥٧
١٦١ - ١٦٣
الفض ٤٨

المخضب بن عسكر ٤	محمد بن ادريس بن عبد الحق ١٠
مخلوف بن هنو الهسكوري ٩٣	٢٣ - ٦٧
المرتضى ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨	المرابطون ٤
٢٤ - ٢٥	محمد بن اسماعيل بن الاحمر ١٢١
مريم أم ولد أبي سعيد المريسي	١٣٩
١٢٩	محمد بن الحكيم ١٣٢
مريـن ٤ - ٦٦	محمد بن اشقيلولة ٤٨
المريـنيون ١٦٣ - ١٨٢ - ١٨٥	محمد بن سلامة بن علي ١٢٥
المستنصر بالله الحفصي ٢٨ - ٢٩	محمد بن سيد الناس ١١٦ ١٨٥
٣٥ - ١٧٠ - ١٠٨	محمد بن العباس بن تاحضريت ١٣٧
مسعود بن أبي تاشفين ١٢٥ -	محمد بن عبد القوي ٣٣ - ٤٤
١٢٦	٥٤ - ٦٩
مسعود بن كانون السفيايى ٣٠	محمد بن عبد الله بن أبي الحسن ٦٨
٥٤ - ٥٥	محمد بن عثمان بن يغمراسن ٨١
المشرف بن أبي عبد الرحمن المغيلي	محمد بن عطو الجانالي ٥٩ - ٦٧
١٥	محمد بن علي أبي القاسم العزفي
المصامدة ١١ - ٢٦ - ٢٨ - ٣١	١١٥ - ١٣٥
٣٩ - ٦٠ - ٧٧ - ٩٧ - ١٧٣	محمد بن علي بن يحيى ٢٧
المعتمد بن عباد ٤٩	محمد بن علي بن محلي ٦٧
معقل ١٥٢	محمد بن عمران ٥٩
مغراوة ٣ - ٢٠ - ١٢٤ - ١٦٠	محمد بن طالب ١٦١
مكناسة ٦ - ٩ - ٣٩	محمد بن المحروق ١٢١
١٦٣	محمد بن يوسف الابكم ٢٠٢
المقريني ١٤٧	محمد بن ورزير ٣ - ٤
المقرى ١٨١	محمد بن يغمراسن ٥٦ - ٦٩
المثمون ١٥١	محمد بن يوسف بن هود الجذامي
الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى	٣٧ - ٣٨

١٧٥	المنصور الموحدى ٩٠	١٢٨ - ١٢٧ - ٨٤ - ٨٣
	المهمندار ١٣٠	١٤٣ - ١٤٠ - ١٣١
	مهلهل بن يحيى الخطفى ٦١	الملند ١٣٥ - ٥٢
	الموحدون ٤ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠	منديل بن حمامه ١٢٠
	١١ - ١٣ - ١٥ - ١٧ - ١٨	منديل بن محمد الكتاني ١٠٧
	٢١ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٩ - ٣١	منسا سليمان ١٥٢ - ١٦٣
	٣٧ - ٣٩ - ٤٢ - ٥٦ - ١١٧	منسا موسى بن أبى بكر ١٥١
	١٢٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٦	١٥٢
	١٦١	المنصور بن أبى مالك المريني ١٦٤
	موسى بن أبى الفضل ١٣٣	١٦٥
	موسى بن ابراهيم اليرينانى ١٣٧	منصور بن ابراهيم بن الحاج ١٨٥
	موسى بن السبتى ٨١	منصور بن الحاج خلوق اليبانسى
	موسى بن سعيد الصيحي ٩٣	٢٠٢
	موسى بن على الهنتاتى ١١١	المنصور بن عبد الكريم ٧٨
	١٢٥	المنصور بن عبد الواحد بن يعقوب ٧٢
	ميمون بن بكرون الحفصى ١٣٩	٧٣
	ميمون بن على ٢٠٤	المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق ٤
	حرف «ن»	٨ - ١٢ - ١٤ - ١٧ - ١٨ - ١٩
	الناصر ٤	٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤
	الناصر بن أبى الحسن المريني ١٧١	٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٩ - ٣٠
	١٧٢	٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٦
	الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب	٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١
	٣٠ - ٣٢ - ٣٥ - ٤٠ - ٤٣	٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦
	٤٦ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤	٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥١ - ٥٣
	٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١	٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٨ - ٦١
		٦٢ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٧ - ٨٨
		٨٩ - ١٠٧ - ١١١ - ١٤٠

يحيى بن عبد الرحمن بن تاشفين

٢٠٣ - ٢٠٢

يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٤

يحيى بن موسى ١١٦ - ١٢٤

يحيى بن حازم العلوى

يحيى الرندامى ١١٥

يزيد بن عبد الملك ٩

يعقوب بن آصناك ٩٣ - ٩٤

يعقوب بن عبد الله بن عبد الحق ٢١

٢٤ - ٢٢

يعقوب بن على ١٣٤ - ٢٠٢ - ٢٠٣

يغمراسن بن زياد ١٢ - ١٣ -

١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢٢ - ٢٣

٢٥ - ٢٦ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣

٣٥ - ٣٦ - ٣٩ - ٤٤ - ٥٠

٥٣ - ٥٦ - ٥٤ - ٦١ - ١٢٥

اليفرنى ١٧٥

يوسف بن تاشفين ٤٨ - ٤٩ - ٧٢

يوسف بن عيسى الحشمى ٩٣

١٠٣

يوسف بن قيطون ٦٠ - ٦١

يوسف بن مزنى ١٨٦ - ٢٠٤

يوسف بن محمد بن أبى عياد بن عبد

الحق ٩٣ - ٩٥

يوسف بن يزكاسن ١٩

يوسف بن يعقوب ٩٥ - ٩٩ - ١٠٨

يوسف المنتصر ٤ - ٥

٦٣ - ٦٤ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤

٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠

٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥

٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٠ - ٩١

٩٩ - ١١٩ - ١٢٤ - ١٢٧

١٧٨

نونة ٤٠ - ٤١

حرف « ه »

هراندة بن سانجة ٥٨ - ٨٢

هشام بن عبد الملك ٩

هلال مولى سيد الناس ١٨٥

هنتاة ٢٨ - ٧٧ - ١٧٣

هواره ٩

حرف (و)

الوطاسى ١٨٥

ونزمار بن عريف يحيى ١٣٣

١٧٢

حرف (ي)

يختاتن بن عمر بن عبد المومن ١٧٢

يحيى بن داود ١٨٣ - ١٨٤

يحيى بن سليمان العسكرى ١٢٤

١٥٦ - ١٥٧

يحيى بن طلحة بن محلى ١٢٢

فهرس الاماكن

أصيلا ٣٤ - ٣٥ - ٨٣ - ٩٦
أفراك ١١٥

أفريقية ١٢ - ٢٨ - ٣٤ - ٩٠

١١٦ - ١٢٩ - ١٣٥ - ١٥١

١٥٤ - ١٥٧ - ١٥٥ - ١٥٨

١٦٣ - ١٦٢ - ١٦١ - ١٦٠ - ١٥٩

١٦٤ - ١٧٠ - ١٨٣ - ١٨٤

٢٠١ - ٢٠٣ - ٢٠٤

كرسيف ٥ - ١٣ - ٢٥

أم الربيع ٢٠

الاندلس ٤ - ٨ - ١٢ - ٢٣

٣٧ - ٣٨ - ٤٠ - ٤١ - ٤٤

٤٧ - ٤٨ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧

٥٨ - ٦١ - ٦٥ - ٦٨ - ٦٩

٧٠ - ٧١ - ٧٣ - ٧٥

٨٢ - ٨٣ - ٩٥ - ٩٧ - ٩٨

١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٨ - ١١٤

١١٥ - ١١٨ - ١٢١ - ١٢٢

١٢٣ - ١٢٥ - ١٢٦ - ١٢٩

١٣٣ - ١٣٦ - ١٣٧ - ١٣٨

١٣٩ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٨٦

١٩٤ - ٢٠٠

حرف «أ»

آزمور ٢١ - ٢٥

آنفا - الدار البيضاء - ٢٣ - ٥٢

آنكاد ٣٢

أبدن ٤٠ - ٥٧

أبو سليط ١٨

أبو طويل ٩٤

أرجونة ٤٧

أرض الاندلس ١٠٨

أرض الحامة ١٥٦

أرض حمزة ١٣٣

أرض السودان ١٥١

أرض السوس ٤٥ - ١٩٠

أرض المغرب ١٨٧

أغمات ٤٣ - ٩٤

الاسكندرية ١٢٨ - ١٦١

استجة ٦١

أسطونة ٦٤

أشبونة ١٣٦

أشيلية ٢٢ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٥

٤٦ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٣

٧٠ - ١٣٨

بلاد الاندلس ٧٥
 بلاد بطوية ٦ - ٢٠
 بلاد بنى بهلول ٩٠
 بلاد بنى توجين ٨٠
 بلاد بنى حسن ٨٤
 بلاد بنى عبد الواد ٨٠ - ١٠٥
 بلاد بنى يزناسن ٦٩ - ٧٢
 بلاد تادلا ١٨
 بلاد تامسنا ٢٢ - ٥٠ - ٩٤
 بلاد حاحة ٩٤
 بلاد درعة ٢٧ - ١٩١
 بلاد الجريد ١٥٥ - ١٥٩ - ١٧٠
 بلاد الريف ١٣ - ٦١ - ٧٢
 ٩٥
 بلاد الزاب ٣
 بلاد زناتة ١٥
 بلاد زواوة ١٧١
 بلاد السوس ٢٧ - ٥١ - ٥٨
 بلاد الصحراء ١١ - ١٢٨
 بلاد صنهاجة ٢٦ - ٩٤
 بلاد العرب ١٣٤
 بلاد العدو ٦٥
 بلاد غمارة ٣٠ - ٤٢ - ٦١
 ٩٥ - ١٢٦
 بلاد فازاز ١٠ - ١٥ - ١٧
 ٤٣
 بلاد القبلة ٥ - ١٩ - ٩٤ - ١٠٧

حرف (ب)

باب تحسنت بسجلماسة ١٨
 باب الجديد ١١٢
 باب الجيزين بفاس ١٩
 باب الشريعة بتازا ٦٧
 باب الشريفة بفاس ١٧
 باب الشريفة بمراكش ٤٣
 باب الرب بمراكش ٩٤
 باب الفتوح ٧٤
 باديس ٤٢ - ٥٢
 بحر الزقاق ٧٠ - ٧١ - ١٣٨
 بجاية ٨٠ - ١١٩ - ١٣٥
 ١٥٥ - ١٥٦ - ١٦٢ - ١٦٣
 ١٧١ - ١٨٣ - ١٨٤ - ١٨٥
 ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠ - ٢٠١
 البرت ٥٧
 برج دار الحرة عزونة ٩٤
 برشيك ٨٠
 بسائط الفرنتينة ١٦
 بستان المطارة ٨٩
 بسكره ١٧١ - ١٨٣ - ٢٠٤
 بسيط انكاد ١٨٢
 بسيط وجدة ١٦
 البطحاء ٨٠
 بطوبة ١٩
 بغداد ٣٤

تافر جينت ٨٠	١١٨ - ١١٩
تافر طاست ٧ - ٢٤ - ٦٤	بلاد مالي ١١٥٢
تافريست ٢٠	البلاد المراكشية ١٢٤
تالموت ٨٠	بلاد المشرق ٨٤
تامدغوست ١٧٣	بلاد مغراوة ٨٠
تامزوارت ٩٤	بلاد المغرب ١٠ - ١١ - ٢٠
تامزردكت ٨٠	٣٤ - ٣٦ - ٣٧ - ٥٣ - ١٠٤
تامسنا ٣١ - ٥٠	١٧٦
تامنطيت ١١٠٧	بلاد النخيل ٣
تاويرت ٧٧ - ١٢٠	بلاد الهبط ١٠ - ٣٢ - ٩٤
تطاوين ٩٦ - ٩٧	بلاد هسكورة ٦٧
تكسابس ٨٣	البلد الجديد بتلمسان ١٢٤
تلمسان ٣ - ١٢ - ١٣ -	البلد الجديد - فاس الجديد ١٠٦
١٦ - ٢٥ - ٣٠ - ٣٢ -	بلد الدمنة ٩٥
٣٣ - ٣٩ - ٥٤ -	بلد مالي ١٥٢
٦٧ - ٦٩ - ٧٠ - ٧٣ - ٧٤	بوننة ١١٦ - ١٣٥ - ١٥٣
٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠	١٥٧ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٧٠
٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٩١	بياسة ٤٠ - ٥٧
٩٢ - ٩٣ - ٩٥ - ١٠٢ - ١٠٤	
١٠٥ - ١٠٨ - ١١٦ - ١١٧	
١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣ - ١٢٤	حرف (ت)
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩	
١٣٢ - ١٣٣ - ١٣٣ - ١٥٣ - ١٥٥	تازة ١١ - ١٤ - ١٩ - ٢٠
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤ - ١٦٥	٢١ - ٢٢ - ٥٤ - ٦٩ - ٧٠
١٧١ - ١٧٨ - ١٨٠ - ١٨٢ - ١٨٣	٩٠ - ١٠٣ - ١٠٤ - ١٠٥
١٨٤ - ١٨٦ - ١٨٧ - ١٩٠	١٠٦ - ١٦٥ - ١٧١
١٩١ - ٢٠٤	تادلا ٢٦
	تاسالت ٨٥ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٤

جبال طرابلس ٣	تلمسان الجديدة ١٧٨
جبال بهلولة ١٧	تلمطيت ١٥٢
جبال غمارة ٢٣ - ٧٤ - ٩٢	تبكتو ١٥٢
٩٥	تس ٨٠ - ١٢٤
جبال غياثة ١١	توزر ١٥٩ - ١٧٠ - ١٧٢ - ٢٠٢
جبال المصامدة ١٧٣ - ١٩٠	تونس ٢٨ - ٣٥ - ٥٦ - ٦١ - ٨٠
١٩١	١١٦ - ١١٧ - ١٢٣ - ١٣٣
جبال هسكورة ٩٣	١٣٥ - ١٣٩ - ١٥٣ - ١٥٤
جبال هنتاتة ١٧٣ - ١٧٤	١٥٥ - ١٥٦ - ١٥٧ - ١٥٩
١٨٢	١٦٠ - ١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤
جبل ورغة ٦٧	١٦٦ - ١٧٠ - ١٧١ - ١٧٢
جبل آصرو ٤٣	١٨١ - ١٨٥ - ١٨٦ - ٢٠٢
جبل اوراس ٣	٢٠٣
جبل أورابن ٢٠٤	تشمش ٣١
جبل بيونش ٧٥	تيكرارين ١٠٧
جبل تينملل ٤٢ - ٤٣ - ٤٤	التينة ١٠٦
٧٧	تينملل ٢٧
جبل جيلير ٢٤	حرف (ج)
جبل درن ٦٧ - ١١١ - ١٧٣	جامع الاندلس ١١٢
جبل راشد ١٧٢	جامع بن يوسف ١٧٥
جبل زالغ ١٧٩	جامع تازة ٧٥
جبل زرهون ١٢	جامع القرويين ٩٠ - ١١٢
جبل سكسيوة ٥٠ - ١٩٠	١٧٦
جبل طارق - جبل الفتح - ٥١	جامع المنصور بمراكش ١٧٤
٥٢ - ١٠٩ - ١٢١ - ١٢٢	جبال بني يزناسن ١٠٥
١٢٣ - ١٣٧ - ١٣٨ - ١٤٦	جبال الشرف ٤٦ - ٦١
١٥٠ - ٢٠٣	

٤٦	حصون الوادى الكبير	٣٠	جبل علوان
٧١	حصن اسطبونة	١٧٨	جبل الكندرئين
٤٧	حصن بركونة	١٢٥ - ٥٤ - ٤٥	جبل وانشريس
٧٠	حصن بجير	١٧٢	
٤٠	حصن بلمة	١٧٠ - ١٣٥	جربة
٤٧	حصن بنى بشير	٢٠٣	الجريد
٧٢ - ١٣ - ٦	حصن تازوطا	١٧١ - ١٧٠ - ٨٠	الجزائر
١٨٤ - ٧٥ - ٧٤ - ٧٣		١٧٣	
٤٦	حصن جليانة	٥٣	الجزيرة الاندلسية
٣٨	حصن الحمراء	٤٠ - ٣٩	الجزيرة الخضراء
٦٤	حصن ذكوان	٤٨ - ٤٦ - ٤٥ - ٤٢ - ٤١	
٤٦	حصن روطة	٥٦ - ٥٥ - ٥٢ - ٥٠ - ٤٩	
٥٩	حصن ركش	٦٥ - ٦٤ - ٦٢ - ٥٨ - ٥٧	
٤٧	حصن الزهراء	٦٦ - ٧٥ - ٧٠ - ١٠١	
٧٥	حصن سطبونة	١٣٧ - ١٢٢ - ١٠٧ - ١٠٤	
٤٦	حصن شلوقة	١٤٩ - ١٤٥ - ١٣٩ - ١٣٨	
٦٣	حصن الصخرات	١٨٠	
٤٧	حصن فركونة	٦١	جزيرة كتور
٤٦	حصن قطنيانة	٧٤	جنوة
٥٩	حصن القناطر	١٣٠	الجيزة
٤٦	حصن القليعة	٥٦ - ٤٧	جيان
٩٥ - ٢٣	حصن علودان		
٤٦	حصن غليانة		
٦٠	حصن مرتقوط		
٤٠ -	حصن المدور		
٧٠ -	حصن بجير		
			حرف (ح)
		١٧٠	الحامة
		١٥٠ - ١٢٧	الحجاز
		١٢٧	الحرم الشريف
		١٤ - ١٣	حصون ملوية

٢٠٢ - ٢٠٤
الزقاق ٤٩ - ٥٢ - ٧٠ - ٧١

١٣٥ - ١٣٦
الزيتون - بناحية فاس - ١١٨
١١٩

حرف [س]

ساحل السوس ١٨٧ - ١٩٠
الساقية الحمراء ٥٨

ساقية غبولة ٢٤
سبتة ٢٢ - ٢٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١

٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٧٥ - ٨٣ - ٩٠
٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ١٠٠

١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ١٢٥
١٣٤ - ١٣٥ - ١٣٧ - ١٣٨

١٤٤ - ١٦٦ - ٢٠٢
سبو ١٠٢

سجل ماسة ٣ - ٥ - ١٨ - ١٩
٢٠ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٦٧

٨٨ - ٨٩ - ١٠٧ - ١١٠
١١١ - ١١٩ - ١٢٠ - ١٢٣

١٧٢ - ١٧٣
١٧٣

سطح الجعاب ١/٥٥
سلا ٣ - ١٧ - ٢١ - ٢٢

٢٣ - ٢٤ - ٢٩ - ٥٢ - ١٧٥
١٧٦ - ٢٠٠ - ٢٠١ - ٢٠٦

حرف (د)

الدار البيضاء - بفاس الجديد ١٠٧
دار الصناعة بسلا ٢٢

درعة ١٨ - ١٩ - ٣٦ - ١١٠
١٢٠ - ١٩١

الديار المصرية ١٢٨
حرف (ذ)

ذراع الصابون ٦٩

حرف (ر)

الرابطة ١٤
رباط تازا ٦ - ١٣ - ٢٦ - ٣٣

٤٥ - ٦٧ - ١٠٤
رباط الفتح ٨ - ٢١ - ٢٢

٢٤ - ٤٥ - ٥٨ - ٦١ - ٦٥
٩٤ - ١٠٤

رباط المنستير ١٥٧
رندة ٤٠ - ٤٥ - ٦٦ - ٧٥

١٠١ - ١٠٤ - ١٠٧
روض المصارة ١٠١ - ١٢٠

روطة ٥٩
الريف ٦ - ٩١

حرف (ز)

الزباب ١٥٥ - ١٨٣ - ١٨٦

صقيلة ١٦٦

حرف [ض]

ضواحي افريقية ٣

حرف [ط]

طرابلس ١٣٥ - ١٥٥

طريف ٣٩ - ٤٠ - ٤٥ - ٥٨

٦١ - ٦٦ - ٧٠ - ٧١ - ٧٤

٧٥ - ١٠٩ - ١٣٩ - ١٣٧

١٣٨ - ١٥٣ - ١٦٣ - ١٨١

طليطلة ٥٦ - ٥٧ - ١٠٨

طنجة ٣٤ - ٣٥ - ٣٨ - ٥١

٥٢ - ٥٣ - ٥٨ - ٦١ - ٦٦

٧٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ١١٥

١٥٣

حرف [ع]

العدوة ٤٢ - ١٥٧

عدوة الاندلس ١٩ - ١٥٧

١٧٦

العدوتان ٩٤ - ١٢٦ - ١٤٠

العدوة المغربية ٣١ - ٦٠

العرائش ٣١ - ٨٣

عرفة ١٥٢

عقبة الجزائرين بفاس ١٧٩

علودان ٩٧

سواحل المغرب ١٣٥ - ١٣٧

سور الاقواس بسلا ١٧٥

السودان ١٢٩ - ١٥١

السوس ٥٤ - ١٢٦

السوس الاقصى ٣ - ٣٢ - ١٥٧

سوسة ١٥٧ - ١٦١ - ١٦٢

سوق العطارين بفاس ١٧٩

سيجوم ١٥٦ - ١٥٩

حرف [ش]

شالة ٥٨ - ٦٥ - ٨٥ - ٩٧ -

١٧٤ - ١٨١ - ١٨٢

الشام ١٢٧ - ١٥٧

شدروتة ٤٧

الشرق ١٥٨ - ١٨٣

شرشال ٨٠

شريش ٤٢ - ٤٦ - ٥٧ - ٥٩

٦٠ - ٦١ - ٧٠

حرف [ص]

صبرة ٧٤ - ٩٠ - ١١٧

الصحراء ٣ - ١٠٧ - ١١٠

١٧٢

صحراء درعة ٦٧

صحراء الزاب ٤

صخرة أبي بياش ١١

صخرة عباد ٥٥

١٧٢ - ١٦٥ - ١٥٠ - ١٤٦
 - ١٧٧ - ١٧٦ - ١٧٤١٧١
 ١٩٢ - ١٨٢ - ١٨٠ - ١٧٩
 ٢٠٦ - ٢٠٤ - ٢٠٣ - ٢٠١
 فاس الجديد ١١١ - ١٠٧
 ١٨٢ - ١٦٥ - ١٦٤ - ١٢٤
 ٢٠١

فحص ازغار ٩٤
 فرضة المجاز ٤٢ - ١٣٨

حرف [ق]

قابس ١٥٦ - ١٥٥ - ١٣٥
 ٢٠٢ - ١٧٠
 القاهرة ٨٤

القاهرة بالسوس ١٩٠

قبة مكناسة الزيتون ٩٠

قبة الملعب ١٦٤

القرافة ١٣٠

قرطاجنة ١٧٦

قرطبة ٧٥ - ٥٦ - ٤٧ - ٤٦ - ٣٧

قرمونة ٦١ - ٦٠ - ٥٩

القرويين ٢٠٦

قرية مكول ٥٠

قسطنطينة ١١٦٢ - ١٥٦ - ١٥٥

٢٠١ - ١٨٦ - ١٨٥ - ١٦٣

٢٠٤ ٢٠٣ - ٢٠٢

قشتالة ٨٢

عين غبولة ٥٨ - ٢١
 عين الصفا ٧٢ - ٦٩ - ١٣
 عيون البركة ١٧٦

حرف [غ]

غابة المعمورة ٢٢

غدامس ٣

غرب الاندلس ١٣٦

غرناطة ٥٣ - ٥٢ - ٤٨ - ٣٨

١١٠ - ١٠٩ - ٨٢ - ٦٧

١٣٧ - ١٣٦ - ١٢٣ - ١١٣

١٩٦ - ١٩١ - ١٨٨ - ١٦٧

غساسة ١١٧

حرف [ف]

فاس ١٣ - ١١ - ١٠ - ٨ - ٣

٢٠ - ١٩ - ١٨١٧ - ١٥ - ١٤

٢٦ - ٢٥ - ٢٤ - ٢٢ - ٢١

٣٦ ٣٥ - ٣٣ - ٣١ - ٢٧

٥٢ - ٤٤ - ٤٣ - ٤٢ - ٣٨

٦٧ - ٦٦ - ٥٨ - ٥٤ - ٥٣

٧٩ - ٧٦ - ٧٤ - ٧٣ - ٦٩

٩٤ - ٩٣ - ٩٢ - ٩٠ - ٨٨ - ٨٠

١٠٣ - ١٠١ - ٩٨ - ٩٧ - ٩٥

١١٠ - ١٠٦ - ١٠٥ - ١٠٤

١١٤ - ١١٣ - ١١٢ - ١١١

١٣٠ - ١٢٤ - ١٢٠ - ١١٨

القيروان ١٥٧ - ١٦٠ - ١٦١	القصات ٥٤ - ٨٠
١٦٢ - ١٦٣ - ١٦٤	القصة - بتطاوين ٨٩
كلمان ٢٠	القصة (بتونس) ١٥٧ ١٦١
حرف [ك]	١٧٠ - ١٨٥ - ٢٠٢
كلمان ٢٠	القصة (بسبته) ١١٥
الكندرتان ٨٩	القصة - بطنجة - ٦٧
حرف [ل]	القصة بفاس ١٤ - ١٥ - ٨٩ - ١٦٤
لبلة ٦١	القصة (بمراكش) ٢٧ - ١٧٤
لمدية ٨٠ - ١٢٤ - ١٣٣ -	القصة (بمكناس) ٤٤
١٨٣ - ١٨٤	القصر ٦٨ - ٩٦ - ٩٩
حرف [م]	قصر الاجم ١٥٧
مازونة ٨٠	قصر كتامة ١٠ - ٢٠ - ٢٣ -
مالي ١٢٩	٨٣ - ٩٥
مالقة ٤٠ - ٤٥ - ٤٨ - ٤٩	قصر المجاز ٣٨ - ٣٩ - ٤٥
٥٠ - ٥١ - ٥٣ - ٥٧ - ٦١ -	٥٥ - ٥٨ - ٦٧ - ٧٠ - ٨٩
٦٤ - ٦٨ - ٧١ - ٧٣ - ٨٢	قصر مصمودة ٤٢ ٥٥
١١٣	قصور نوات ٢٠٧
مالي ١٢٩	القطر المغربي ٤
مجربط ٤٦	قفصة ١٥٤ - ١٧٠
مدرسة باب حسين بسلا ١٧٥	قلعة بنى سعيد ١٣٧
مدرسة الرخام - المدرسة الصباحية	قلعة تازوطا ١٣
بفاس ١٧٦	قلعة تاغزوت ١٢٥
مدرسة الصهريج بفاس ١٧٦	قلعة تامزدكت ١٣
مدرسة العطارين بفاس ١١٢	قمارش ٤٠
	قنطرة ماريج ٨٩
	قنطرة وادي النجاة ٨٩

المسجد الجامع بتازا ٩٠	المدرسة العظمى بطالعة سلا ١٧٥
المسجد الجامع بفاس الجديد ٨٩	المدرسة العظمى بمراكش ١٧٥
مسجد الفتح ١٣٠	المدرسة العنانية بفاس ٢٠٦
مسجد القرويين ١١٣	المدينة ١٣٠ - ١٣١
مسراته ١٥٧	المدينة البيضاء - فاس الجديد ٤٤
مشرع كتامة ٩٤	٤٥ - ١٨٩ - ٢٠٦
المشرق ١٢٧ - ١٢٨ - ١٦٤	مدينة شريش ٤٦
١٧٥ -	مديونة ٩
مصر ٨٣ - ٨٤ - ٩٠ - ١٢٧	مراكش ٥ - ١٠ - ١٢ - ١٥
١٢٨ - ١٢٩ - ١٣١ - ١٤٠	١٧ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨
١٥٧	٢٩ - ٣١ - ٣٤ - ٣٥ - ٤٢
المعاهد الشريفة ١٢٧	٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٠ -
معدن العوام ١٥	٥١ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦
معقل ٣١	٥٨ - ٦٧ - ٦٩ - ٧٢ - ٧٧
المغرب ٣ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - ٩	٨٥ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥
١٠ - ١٥ - ١٦ - ٢٠ - ٢١ -	٩٤ - ٩٥ - ١٠٧ - ١١٠ -
٢٣ - ٢٥ - ٢٧ - ٢٨ - ٣١	١١١ - ١٢٠ - ١٧٢ - ١٧٣
٣٣ - ٣٤ - ٣٧ - ٤٢ - ٤٤	١٧٤ - ٢٠١
٤٥ - ٤٨ - ٥٤ - ٥٧ - ٥٨ -	مرس بجاية ١٧٠
١٦٥ ١٦٤ ١٦١ ١٦٥ ١٦٦	مرسى غساسة ٧٣ - ١١٦
٧١ - ٧٢ - ٧٦ - ٧٧ - ٨٠	مرسى سبتة ١٣٦
٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٧ ٨٨ ٨٩	مرسى المرية ١٦٨
٩٠ - ٩٣ - ٩٧ - ٩٩ - ١٠١	مریالة ٦٦
١٠٥ - ١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨	مرسى المنكب ١٦٨
١١٣ ١١٤ ١٢٠ ١٢٣ ١٢٤	المرية ٥١ - ١٧٦
١٢٦ - ١٢٨ - ١٣٨ - ١٤٧	مرقا سبتة ٥٢ - ١٧٦
١٥١ - ١٥٥ - ١٥٧ - ١٥٨	مستغانم ٨٠

١٧٨ - ١٦٤ - ١٢٤ - ٩٢	١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦١ ١٦٠
المنكب ٦١ - ٥١	١٧٥ - ١٧٢ - ١٧١ - ١٧٠
المهدية ١٥٧ - ٢٠٢ - ٢٠٣	١٨٦ - ١٨٥ - ١٧٩ - ١٧٨
حرف [ن]	١٨٧ - ٢٠٣ - ٢٠٤
ندرومة ٧٦ - ٨٠ - ١٢٤	المغرب الثلاثة ١٦٤
١٥٥	المغرب الأقصى ٦٨ - ٣٥ - ٣
نفطة ١٧٠ - ٢٠٢	٨٨ - ١٤٤
نهر شنيل ١٠٩	المغربان ١٢ - ١١٨ - ١٢٧
حرف [ه]	١٣٥
هين ٨٠ - ١٢٤	المغرب الاوسط ٣ - ١٥١ - ١٥٥
حرف [و]	١٨٣
وادي آش ٤٠ - ٦٠	مقبرة الشيخ أبي بكر بن العربي ١٠٠
وادي أبي الجراف ١٦٥	المقرمة ١٨ - ١٠٦
وادي أم الربيع ١٤ - ٢٤ - ٢٦	مكة ٨٣ - ١٣٠ - ١٥٨
٣٢ - ٩٣ - ٩٤ - ١٧٣	مكناسة ١٠ - ١٢ - ١٣ - ١٨
وادي أم الرجلين ٢٤	٢٠ - ٧٢ - ٧٦ - ١٣٩ - ١٥٦
وادي ايسلي ١١٦ - ٣٢	١٦٥ - ١٧١ - ١٧٦ - ١٧٩
وادي بهت ١١٢	١٨٤
وادي تافنا ٥٤	مليلة ٣
وادي تلاغ ٥٤	ملوية ١٩ - ٢٠ - ٥٣ - ٧٤
وادي الزيتون ١٦٥	مليانة ٤٣ - ٨٠ - ١٢٤
وادي سبو ٧ - ١١٨ - ١٧٦	مملكة برنو ١٥١
وادي شلف ١٨٣	مملكة غانة ١٥١
وادي العيد ٢٦	مملكة كاغو ١٥١
	مملكة المغرب ١٥١
	مملكة مالي ١٥١
	المنصورة ٨٠ - ٨٤ - ٩١

وانشريس ٨٠	ودغفو ٢٧
وجدة ٧٦ - ٧٧ - ٧٩	وطاط ١٣
٩٢ - ١٠٥ - ١٢٤ - ١٣٣	وطاط الحاح ١٩
١٣٤ - ١٥٥	وهراڤ ٨٠ - ١٢٤
<u>حرف [ي]</u>	الوادي الكبير ٤٥ - ٦٠
يثرڤ ١٥٨	وادي لك ٥٩ - ٦٣
ينبع الحجاز ٨٨	وادي ملوية ١٠٥ - ١١٠
وادي فاس ٨٩ - ١٧٦	١١٧
وادي قصر كتامة ١٧٦	وادي مكور ٦
	واقعة أم الرجلين ٢٤

فهرس الخطأ والصواب

صواب	خطأ	سطر	صفحة
ظواعن	ظواعن	٢٢	٣
تيربعين	تيربعين	٣	٤
بنى	بنى	٢٤	٧
شفى	شفا	١٣	٩
انجاش	انجاش	٤	١٦
فراره	فراره	٥	٢٥
كثرة	كثر	٢٣	٤١
وحرقة	وحرقه	٦	٦٠
لحقوا	لحقو	٧	٧٢
والبعث	والبعث	٨	٧٧
غاضهم	عاضهم	٨	٧٧
لحق	الحق	٦	٨٣
السلطان	السلطان	٨	١٠٠
أبا الحسن	أبا الحسين	٣	١٠٥
يوعز	يوعز	١٧	١٠٧
أغد	أغد	١٦	١١٠
المعروف	المعرف	٥	١١٣
اغذ	أغد	١٠	١٢٠
قبل	وقبل	٢١	١٢١
نقلهم	نقلهم	٧	١٢٢

صواب	خطا	سطر	صفحة
عشرة	عشر	٢٢	١٢٥
وكظت	وكضت	٢٦	١٢٥
أيضا	أبضا	٦	١٤٠
رحمة	رحمه	٢١	١٤١
وقفناه	وقفنه	٤	١٤٤
ازالة	ازله	٩	١٤٩
شق	سى	١٣	١٤٩
فتح	فنج	١١	١٥٠
قاضي	قاضى	١٣	١٥٤
بقسنطينة	بقسطنطينية	٢٠	١٥٥
كبر	كر	١	١٦٦
كان هذا السلطان	كان السلطان	١٩	١٨١
وعشيرته	وعشريته	١٩	١٨١
سعيد	سعا.	٢١	١٨٢
رفعوا لسماء	رافعوا السماء	١١	١٨٨
واوضحوا لسيل	وأوضحوا السيل	١١	١٨٨
أنبيائه	أنبائه	٨	١٩٦
بمعتبر	معتبر	١١	١٩٧
ينظر	بنظر	٢١	١٩٧
لم	لما	٢٣	١٩٧
ومدار	ومضار	٩	١٩٩
وذلك	ذلك	٢٦	٢٠٦

